فريدا ماكفادن
FREIDA McFADDEN

الخادمة
THE HOUSEMAID

رواية

تُرجمت إلى 27 لغة وتحولت إلى فيلم سينمائي

مكتبة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الخادمة

THE HOUSEMAID

مكتبة
t.me/soramnqraa

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

THE HOUSEMAID

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر

An imprint of Storyfire Ltd. Carmelite House 50 Victoria Embankment London EC4Y0DZ

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Copyright © 2021 by Freida McFadden, 2022

First Published in Great Britain in 2022 by Storyfire Ltd trading as Bookouture

All rights reserved

Arabic Copyright © 2022 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2022 م - 1444 هـ

ردمك 978-614-01-3538-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر:

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

التوزيع في المملكة العربية السعودية

دار إقـــراء للـنـشـــر

إصدار

الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر

المنطقة الحرة، الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة 23 9 23

t.me/soramnqraa

فريدا ماكفادن
FREIDA McFADDEN

الخادمة
THE HOUSEMAID

رواية

مكتبة
t.me/soramnqraa

ترجمة

زينة إدريس

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مقدّمة

مكتبة
t.me/soramnqraa

لن أغادر هذا المنزل إلّا بالأغلال.

كان يجدر بي الهرب بينما كانت الفرصة لا تزال متاحة لي، أمّا الآن، فقد خسرت فرصتي. الآن، وقد أصبح رجال الشرطة في المنزل واكتشفوا ما هو موجود في الطابق العلويّ، فلا عودة إلى الوراء.

خمس ثوانٍ ويقرأون عليّ حقوقي. لا أدري أساسًا ماذا ينتظرون بعد؛ ربّما كانوا يأملون خداعي لقول ما لا ينبغي لي قوله.

يستحيل أن أفعل.

جلس بجواري شرطيّ أسود الشعر بدأ يغزوه الشيب، وحرّك جسده الممتلئ على الأريكة الجلدية الإيطالية بلون الكراميل. تُرى ما نوع الأريكة التي يجلس عليها في منزله؟ من المؤكّد أنّها ليست باهظة الثمن بقدر هذه، لا بل من المحتمل أن يكون لونها مبتذلًا، كالبرتقالي مثلًا، يكسوها فراء حيوان أليف، وتشوبها تمزّقات هنا وهناك. هل تُراه يفكّر في أريكته في المنزل ويتمنّى لو كانت لديه واحدة كهذه؟

لكن على الأرجح كان باله مشغولًا بالجثّة القابعة في العلّيّة في الأعلى.

قال الشرطي بلكنة أهالي نيويورك: "إذًا، لنستعرض هذا الأمر مرّة أخرى"، كان قد أخبرني باسمه في وقت سابق، لكنّه غاب عن ذهني. على رجال الشرطة تعليق بطاقات بأسمائهم بأحرف حمراء زاهية، وإلّا، فكيف يُفترض بالمرء أن

يتذكّر أسماءهم في موقف شديد التوتّر؟ إنّه محقّق على ما أعتقد، ثم تابع سائلًا إيّاي: "متى عثرتِ على الجثّة؟".

لزمتُ الصمت لبرهة متسائلة ما إذا كان هذا هو الوقت المناسب لطلب محامٍ. ألا يفترض بهم أن يعرضوا عليّ واحدًا؟ أنا لا أعرف شيئًا عن هذا البروتوكول.

أجبته: "منذ نحو الساعة".

"ولماذا صعدتِ إلى هناك في المقام الأوّل؟".

ضغطتُّ على شفتيّ قائلةً: "أخبرتك، كنت قد سمعت صوتًا".

"و...؟"

مال الرجل إلى الأمام محملقًا إليّ بعينيه. كانت لحيته خفيفة، وكأنّه تغاضى عن حلاقتها هذا الصباح، كما برز لسانه قليلًا من بين شفتيه. أنا لست غبيّة، أعرف تمامًا ماذا يريدني أن أقول.

أنا فعلتها. أنا المذنبة. خذني من هنا.

بدلًا من ذلك، أسندتُ ظهري إلى الأريكة قائلةً: "هذا كلّ شيء، هذا كلّ ما أعرفه".

طغت أمارات الخيبة على وجه المحقّق، وحرّك فكّيه وهو يفكّر في الأدلّة التي تمّ العثور عليها حتّى الآن في هذا المنزل، ولا شكّ في أنّه يتساءل ما إذا كانت كافية لوضع الأغلال حول معصميّ، غير أنّه لم يكن واثقًا؛ لو كان واثقًا، لفعل أساسًا.

"كونورز".

أتانا صوتُ شرطي آخر، فقطعنا التواصل البصري ونظرنا إلى أعلى الدرج حيث وقف الشرطي الأصغر سنًّا هناك ممسكًا بأصابعه الطويلة بأعلى الدرابزين، وقد بدا وجهه شاحبًا.

قال الشرطي الأصغر سنًّا: "كونورز، تعالَ إلى هنا حالًا، عليك رؤية ما وجدناه"، حتّى من أسفل الدرج، استطعت أن أرى حنجرته تتراقص، ثمّ تابع قائلًا: "لن تصدّق ذلك".

الجزء الأول

قبل ثلاثة أشهر

الفصل 1

ميلي

"أخبريني عن نفسك يا ميلي".

مالت نينا وينشستر إلى الأمام على أريكتها الجلدية بلون الكراميل، واضعة ساقًا فوق ساقٍ كاشفةً شيئًا من ركبتيها تحت تنّورتها الحريرية البيضاء. لا أعرف الكثير عن الماركات، لكن من الواضح أنّ كلّ ما ترتديه نينا وينشستر باهظ الثمن إلى حدّ موجع. أغراني قميصها قشديّ اللون بمدّ يدي لتحسّس القماش، على الرغم من أنّ خطوة كهذه ستقضي على أيّ فرصة لي بنيل الوظيفة.

لأكون منصفة، ليست لديّ أيّ فرصة لنيل الوظيفة أساسًا.

"حسنًا..."، بدأتُ باختيار كلماتي بعناية، فمع كلّ الرفض الذي واجهتُه، ما زلت أحاول، "لقد نشأت في بروكلين، وعملت في كثير من الوظائف كمدبّرة منزل، كما يتّضح من سيرتي الذاتية"؛ سيرتي الذاتية التي تمّ تحويرها بعناية؛ "أنا أحبّ الأطفال. كما أحبّ..."، ألقيتُ نظرة سريعة حول الغرفة بحثًا عن لعبةِ كلب أو صندوق هرّة، "الحيوانات الأليفة أيضًا".

لم يُذكَر بالإعلان عبر الإنترنت لوظيفة مدبّرة المنزل شيءٌ عن الحيوانات الأليفة، لكنّني قلت ذلك من باب الحيطة، فمن لا يقدّر محبّي الحيوانات؟

"بروكلين؟"، ابتسمت لي السيّدة وينشستر مضيفة: "أنا أيضًا نشأت في بروكلين. عمليًا، نحن جارتان".

"بالفعل"، أكّدتُ ذلك على الرغم من أنّ كلامها بعيدٌ كلّ البعد عن الحقيقة. فثمّة كثير من الأحياء المرغوبة في بروكلين، والتي يدفع فيها المرء مبالغ باهظة للحصول على منزل ريفيّ صغير، وهذا ليس المكان الذي نشأت فيه. لا يمكن أن نكون أكثر اختلافًا أنا ونينا وينشستر، ولكن إذا كانت ترغب في الاعتقاد أنّنا جارتان، فلا مانع لديّ في مجاراتها.

أبعدت السيّدة وينشستر خصلة من الشعر الأشقر الذهبي اللامع خلف أذنها؛ كان طول شعرها يصل إلى مستوى ذقنها في قصّة قصيرة أنيقة تقلّل من بروز ذقنها المزدوج. قدّرتُ أنّها في أواخر العقد الثالث من عمرها، ولو كانت بتصفيفة شعر مختلفة وبملابس مختلفة، لبدت عادية للغاية، لكنّها استخدمت ثروتها الضخمة للاستفادة إلى الحدّ الأقصى ممّا تملكه، ولا يمكنني القول إنّني لا أحترم ذلك.

كنت قد ذهبت في الاتّجاه المعاكس تمامًا بمظهري. قد أكون أصغر بعشر سنوات من المرأة الجالسة أمامي، لكنّني لا أريدها أن تشعر بأيّ تهديد من جانبي. لذا، اخترتُ للمقابلة تنّورة طويلة وسميكة من الصوف اشتريتها من متجر توفيري، مع قميص أبيض من البوليستر واسع الكمّين، أمّا شعري الأشقر الداكن، فجمعتُه في كعكة مشدودة أسفل رأسي، حتّى إنّني اشتريت نظّارة كبيرة لا لزوم لها ووضعتُها، بحيث بدوت احترافية وغير جذّابة على الإطلاق.

قالت: "إذًا، بالنسبة إلى الوظيفة، فهي تشتمل في الغالب على التنظيف وبعض الطهي الخفيف، إذا كنت قادرة على ذلك. هل أنت طبّاخة ماهرة يا ميلي؟".

"نعم"، كانت مهارتي في المطبخ الشيء الوحيد في سيرتي الذاتية الذي لم أكذب فيه، "أنا طبّاخة ممتازة".

أشرقت عيناها الزرقاوان الشاحبتان وقالت: "هذا رائع. بصراحة، لم نحصل قطّ على وجبة جيّدة مطهوّة في المنزل"، ثمّ أضافت مبتسمة: "فمن لديه الوقت؟".

ابتلعتُ أيّ نوع من الردود على كلامها، فنينا وينشستر لا تعمل، ولديها طفلة واحدة تُمضي يومها في المدرسة، وتستخدم عاملة للقيام بالتنظيف عنها. حتّى إنّني

رأيت رجلًا في حديقة منزلها الهائلة يقوم عنها بأعمال البستنة. فكيف يُعقل ألّا تجد الوقت لطهي وجبة لعائلتها الصغيرة؟

يجب ألّا أحكم عليها، فأنا لا أعرف شيئًا عن حياتها، ومجرّد أنّها غنية، فذلك لا يعني أنّها مدلّلة.

مع ذلك، أنا شبه واثقة من أنّ نينا وينشستر امرأةٌ أفسدها الدلال.

قالت السيّدة وينشستر: "سنحتاج أيضًا إلى المساعدة من حين إلى آخر مع سيسيليا، ربّما لأخذها إلى دروس بعد الظهيرة أو إلى مواعيد اللّعب. لديك سيّارة، أليس كذلك؟".

كدت أضحك من سؤالها؛ نعم، لديّ سيارة، وهي كلّ ما أملك الآن. كانت سيّارة النيسان التي أملكها منذ عشر سنوات تتعفّن في الشارع أمام منزلها، وهي مسكني حاليًّا. كلّ ما أملكه موجود في صندوق تلك السيّارة، فقد أمضيت الشهر الماضي أنام في المقعد الخلفي.

بعد شهر من العيش في سيّارة، يدرك المرء أهمّيّة بعض الأمور الصغيرة في الحياة، كالمرحاض، والبالوعة، والقدرة على مدّ الساقين خلال النوم، وهذا أكثر ما أفتقد إليه في الواقع.

أجبتها مؤكّدة: "نعم، لديّ سيّارة".

صفّقت السيّدة وينشستر بيديها قائلة: "ممتاز، سأزوّدك بمقعد سيّارة لسيسيليا بالطبع، فهي لا تحتاج سوى إلى مقعد داعم، ذلك لأنّها لم تبلغ بعد الوزن والطول المناسبين للاستغناء عنه، وتوصي أكاديمية طبّ الأطفال...".

بينما كانت نينا وينشستر تستفيض في الحديث عن المتطلّبات الدقيقة للطول والوزن من أجل مقاعد السيّارة، ألقيت نظرة سريعة على غرفة المعيشة. كان الأثاث بأكمله حديثًا للغاية، مع أكبر شاشة تلفاز رأيتها على الإطلاق، والتي تمتاز بالتأكيد بمواصفات عالية وتشتمل على مكبّرات صوت محيطية مدمجة في كلّ زاوية وركن من أركان الغرفة للاستمتاع بتجربة مشاهدة مثالية، كما احتلّ زاوية الغرفة موقد

مشتعل، تعلوه صور لأسرة وينشستر في رحلات إلى كلّ بقعة من بقاع العالم. وعندما ألقيت نظرة خاطفة إلى الأعلى حيث توهّج السقف بارتفاعه الشاهق تحت ضوء ثريا متلألئة، كانت السيّدة وينشستر تقول: "ألا تعتقدين ذلك يا ميلي؟".

رمشت بعينيّ وأنا أنظر إليها محاولة إرجاع ذاكرتي إلى الوراء لتخيّل ما كانت تسألني عنه، لكن عبثًا، ومع ذلك قلت: "نعم".

أيًّا يكن ما وافقتُ عليه، فقد سرّها ذلك كثيرًا، وقالت: "أنا سعيدة جدًّا لأنّك توافقينني على ذلك أنت أيضًا".

أجبت بحزم أكبر هذه المرّة: "بالتأكيد".

فردَت ساقيها الممتلئتين إلى حدّ ما، ثمّ أعادت لفّ ساقٍ على الأخرى مضيفة: "وبالطبع، لدينا مسألة الراتب. رأيتِ العرض المذكور في الإعلان، أليس كذلك؟ أهو مقبول بالنسبة إليك؟".

ازدردت لعابي، إذ كان الرقم المذكور في الإعلان أكثر من مقبول، ولو كنت شخصية كرتونية، لظهرت علامات الدولار في مقلتيّ عندما قرأت ذاك الإعلان، لكنّ المبلغ كاد أن يمنعني من التقدّم للوظيفة. فما من أحد يعرض كلّ هذا المال ويعيش في منزل كهذا يفكّر في توظيفي.

قلت بصوت مختنق: "نعم، إنّه جيّد".

رفعت أحد حاجبيها قائلة: "وتعرفين أنّه يُتوقَّع منك العيش معنا، أليس كذلك؟".

هل تسألني ما إذا كنت موافقة على التخلّي عن رفاهية مقعد سيّارتي الخلفي؟ أجبت: "صحيح، أنا أعرف".

"عظيم"، شدّت طرف تنّورتها ونهضت واقفة مضيفة: "هل تودّين القيام بجولة في المنزل لكي تري بماذا ورّطتِ نفسك؟".

وقفت أنا أيضًا. كانت السيّدة وينشستر تتجاوزني طولًا ببضعة إنشات فقط، ولكن مع حذائها عالي الكعب، ولأنّني كنت أنتعل حذاء مسطّحًا، فبدت أطول منّي بكثير. وقلت: "فكرة ممتازة".

جالت بي في أرجاء المنزل متحدثة عن كل ركن فيه بالتفصيل، لدرجة أنّني خشيت أن أكون قد أخطأت في الإعلان وانتهى بي الأمر لدى سمسارة عقارات تظنّني مستعدّة للشراء. كان منزلًا جميلًا، ولو كنت أملك أربعة أو خمسة ملايين دولار أودّ إنفاقها، لاشتريته. فبالإضافة إلى الطابق الأرضي الذي يحتوي على غرفة المعيشة العملاقة والمطبخ الذي تمّ تجديده حديثًا، يضمّ الطابق الثاني من المنزل غرفة النوم الرئيسة للزوجين وينشستر، وغرفة ابنتهما سيسيليا، ومكتب السيّد وينشستر، وغرفة نوم الضيوف التي بدت أقرب إلى إحدى غرف أفضل فنادق مانهاتن. توقّفَت مطوّلًا أمام الباب التالي. وقالت:

"وهنا..."، فتحَت الباب متابعة: "مسرح منزلنا".

كان ثمّة مسرح سينمائي فعليّ داخل منزلهم بالإضافة إلى التلفاز الضخم في الطابق السفلي. تحتوي هذه الغرفة على عدّة صفوف من المقاعد بمواجهة شاشة تمتدّ من الأرض إلى السقف، حتّى إنّني رأيت آلة لصنع الفشار في زاوية الغرفة.

بعد برهة، لاحظت أنّ السيّدة وينشستر تنظر إليّ بانتظار ردٍّ.

"رائع"، قلت ذلك آملة أن أكون قد أبديت القدر المناسب من الحماسة.

ارتجفَت من شدّة البهجة قائلة: "أليس رائعًا؟ ولدينا أيضًا مكتبة كاملة من الأفلام للاختيار من بينها. بالطبع، نحن نستفيد أيضًا من جميع القنوات المعتادة بالإضافة إلى خدمات البثّ".

"بالطبع".

بعد أن غادرنا الغرفة، وصلنا إلى باب في نهاية الرواق. توقّفت نينا، وبقيت يدها على مقبض الباب.

سألتها: "أهي الغرفة التي ستُخصّص لي؟".

"نوعًا ما..."، أدارت مقبض الباب، فصدر عنه صرير عالٍ. لم يسعني ألّا ألاحظ أنّ خشب هذا الباب كان أكثر سماكة من أيّ باب آخر. خلف المدخل، رأيت درجًا مظلمًا. أضافت: "غرفتك في الطابق العلوي، فقد قمنا بتجهيز العلّيّة أيضًا".

كان هذا الدرج الضيّق والمظلم أقلّ فخامة إلى حدّ ما من بقيّة المنزل. *هل كان سينقص منهم شيء لو وضعوا مصباحًا هنا؟* لكن بالطبع، أنا لست سوى موظّفة هنا، ولا أتوقّع منها أن تنفق من المال على غرفتي بقدر ما أنفقَت على مسرح المنزل.

عند أعلى الدرج امتدّ رواق صغير ضيّق، على عكس الطابق الأوّل للمنزل، كان السقف هنا واطئًا على نحو خطير، ومع أنّني لست طويلة القامة، إلّا أنّني شعرت بالحاجة إلى الانحناء.

"لديك حمّام خاصّ بك"، ثمّ أومأت برأسها إلى باب إلى اليسار مضيفةً: "وهذه ستكون غرفتك هنا".

فتحت الباب الأخير؛ كان المكان مظلمًا تمامًا من الداخل إلى أن شدّت حبلًا وأضاءت الغرفة.

كانت الغرفة صغيرة، ولا يمكن وصفها بغير ذلك. ليس هذا فحسب، بل كان سقفها مائلًا مع سطح المنزل، بحيث لا يتجاوز ارتفاع الجانب الأدنى من السقف ارتفاع خصري. بدلًا من السرير الضخم في غرفة النوم الرئيسة للزوجين وينشستر، بخزانتهما الكبيرة وطاولة الزينة المصنوعة من خشب الكستناء، احتوت هذه الغرفة على سرير نقّال، ونصف مكتبة، ومنضدة صغيرة، يضيئها مصباحان عاريان يتدلّيان من السقف.

كانت هذه الغرفة متواضعة، ولكنّني لم أمانع ذلك، ولو كانت جميلة جدًّا، فمن المؤكّد أنّني لن أملك فرصة لنيل هذه الوظيفة، وكون هذه الغرفة وضيعة نوعًا ما ربّما يعني أنّ معاييرها متدنّية بما فيه الكفاية لتكون لديّ فرصة ضئيلة للغاية.

ولكنّ ثمّة شيئًا آخر أزعجني في هذه الغرفة.

قالت السيّدة وينشستر عابسة: "أنا آسفة لأنّها صغيرة، ولكنّك ستتمتّعين بقدر كبير من الخصوصيّة هنا".

مشيت إلى النافذة الوحيدة؛ كانت صغيرة، على غرار الغرفة، بالكاد أكبر من يدي، وتطلّ على الفناء الخلفي. كان ثمّة بستانيّ هناك، الرجل نفسه الذي رأيته في الحديقة الأمامية يشذّب أحد الأسيجة بمقصّ كبير.

"إذًا، ما رأيك يا ميلي؟ هل أعجبتك؟".

ابتعدت عن النافذة لألقي نظرة على وجه السيّدة وينشستر المبتسم. ما زلت عاجزة عن وضع إصبعي تمامًا على ما يزعجني، فثمّة شيء في هذه الغرفة يسبّب لي تشنّجًا في معدتي.

ربّما كانت النافذة، فهي تطلّ على الجزء الخلفي من المنزل، ولو وقعتُ في مشكلة وحاولت جذب انتباه شخص ما، فما من أحد سيتمكّن من رؤيتي هنا، ومهما صرخت، فلا أحد سيسمعني.

ولكن أيّ كلام هذا؟ سأكون محظوظة بالعيش في هذه الغرفة، مع حمّامي الخاصّ وسريرٍ فعليّ يمكنني أن أمدّ فيه ساقيّ بقدر ما أشاء. فذاك السرير النقّال يبدو جيّدًا مقارنة بسيّارتي إلى حدّ يدفعني للبكاء.

قلت: "إنّها ممتازة".

بدت السيّدة وينشستر منتشية بإجابتي، واصطحبتني مجدّدًا إلى أسفل الدرج المظلم، وصولًا إلى الطابق الثاني من المنزل، وعندما خرجتُ من ذاك الدرج، أطلقتُ نفسًا لم أدرك أنّني كنت أحبسه. كان ثمّة شيء مخيف للغاية في تلك الغرفة، ولكن إذا تمكّنت بطريقة ما من نيل هذه الوظيفة، فسوف أتغاضى عنه بكلّ سهولة.

أخيرًا، استرخت كتفاي تمامًا وكنت على وشك طرح سؤال آخر عندما تناهى إليّ صوت من خلفنا:

"أمّي؟".

توقّفتُ واستدرت لأرى فتاة صغيرة تقف خلفنا في الرواق. كانت عينا الفتاة بلون عينَي نينا وينشستر الزرقاوين الفاتحتين، باستثناء أنّها أكثر شحوبًا بقليل،

وشعرها أشقر لدرجة البياض تقريبًا. ارتدت الفتاة فستانًا أزرق باهتًا للغاية مزيّنًا بالدانتيل الأبيض، وراحت تحدّق إليّ كما لو كانت قادرة على الرؤية من خلالي؛ من خلال روحي.

في الواقع، لو كانوا يختارون أطفالًا لأحد تلك الأفلام عن أطفال مخيفين قادرين على قراءة الأفكار والعيش في حقول الذرة أو شيء من هذا القبيل، فإنّ هذه الفتاة ستنال الدور حتمًا، حتّى إنّهم لن يضطرّوا إلى اختبارها. لن يكون عليهم سوى إلقاء نظرة واحدة عليها ليقولوا: *نعم، أنت هي الفتاة المخيفة رقم ثلاثة.*

هتفت السيّدة وينشستر: "سيسي. هل عدت من درس الباليه؟".

أومأت الفتاة برأسها ببطء قائلةً: "لقد أوصلتني والدة بيلّا".

لفّت السيّدة وينشستر ذراعيها حول كتفَي الفتاة النحيلتين، لكنّ تعبير الفتاة لم يتغيّر ولم يفارق نظر عينيها الزرقاوين الشاحبتين وجهي على الإطلاق. هل ثمّة خطب بي لأخاف أن تقتلني هذه الفتاة التي لا يتجاوز عمرها التسع سنوات؟

قالت السيّدة وينشستر لابنتها: "هذه ميلي. ميلي، هذه ابنتي سيسيليا".

كانت عينا سيسيليا أشبه بحوضين صغيرين من المحيط. قالت بتهذيب: "تشرّفت بلقائك يا ميلي".

شعرت أنّ ثمّة احتمالًا بنسبة خمسة وعشرين بالمائة أن تقتلني هذه الفتاة أثناء نومي إذا ما حصلتُ على هذه الوظيفة، ومع ذلك، ما زلت أريدها.

ربّتت السيّدة وينشستر على رأس ابنتها الأشقر، فأسرعت الفتاة الصغيرة إلى غرفتها. لا شكّ في أنّها تملك هناك منزلًا للدمى المخيفة التي تُبَثّ فيها الحياة ليلًا، وربّما كانت إحدى تلك الدمى هي التي ستقتلني.

حسنًا، أنا أفكّر بسخافة بلا شكّ. ربّما تكون تلك الفتاة الصغيرة لطيفة للغاية، فالذنب ليس ذنبها إن كانت أمّها قد ألبستها زيّ طفلة شبح مخيفة من العصر الفيكتوري، كما أنّني أحبّ الأطفال بشكل عامّ، مع أنّني لم أتفاعل معهم كثيرًا على مدار العقد الماضي.

ما إن عدنا إلى الطابق الأوّل حتّى تلاشى التوتّر من جسدي. كانت السيدة وينشستر لطيفة وطبيعية بما فيه الكفاية - بالنسبة إلى سيّدة بهذا الثراء - وبينما كانت تتحدّث عن المنزل وابنتها والوظيفة، أصغيتُ إليها بشرود، فكلّ ما أعرفه أنّ هذا المكان سيكون مكانًا رائعًا للعمل، وأنا مستعدّة للتضحية بذراعي اليمنى لنيل هذه الوظيفة.

سألتني: "هل لديك أيّ أسئلة يا ميلي؟".

هززت رأسي نافية ثمّ قلتُ: "كلّا يا سيدة وينشستر".

أصدرَت صوت اعتراض بلسانها قائلة: "من فضلك، ناديني نينا. إذا عملتِ هنا، فإنّني سأشعر بالسخافة إن ناديتني بالسيّدة وينشستر"، ضحكَت مضيفة: "كأنّني سيّدة عجوز ثريّة".

"شكرًا لك... يا نينا".

أشرق وجهها، مع أنّ ذلك قد يكون عائدًا إلى الأعشاب البحرية أو قشر الخيار أو أيّ من تلك الموادّ التي يضعها الأثرياء على وجوههم. كانت نينا وينشستر من نوع النساء اللواتي يحصلن على جلسات عناية منتظمة بالبشرة. قالت: "لديّ شعور جيّد حيال هذا يا ميلي، حقًّا".

من الصعب ألّا يلتقط المرء عدوى حماستها، كما من الصعب عدم الشعور بذاك البصيص من الأمل وهي تضغط على راحة يدي الخشنة بيدها الناعمة كأيدي الأطفال. أريد أن أصدّق أنّني سأتلقّى مكالمة من نينا وينشستر في الأيام القليلة المقبلة وهي تعرض عليّ فيها فرصة المجيء للعمل في منزلها وإخلاء فيلّا نيسان أخيرًا؛ أريد أن أصدّق ذلك بشدّة.

لكن أيًّا يكن ما أقوله عن نينا، فهي ليست غبية. لن تقوم بتوظيف امرأة للعمل والعيش في منزلها ورعاية طفلتها من دون إجراء تحقيق بسيط عن تاريخها. وبمجرّد أن تفعل...

ابتلعتُ ريقي.

ودّعتني نينا وينشستر بحرارة عند الباب قائلةً: "شكرًا جزيلًا لمجيئك يا ميلي"، ثمّ مدّت يدها لمصافحتي مرّة أخرى مضيفة: "أعدك أنّك ستتلقّين اتّصالًا منّي قريبًا".

لن أفعل، إذ ستكون هذه هي المرّة الأخيرة التي تطأ فيها قدماي هذا المنزل الرائع. ما كان ينبغي أن آتي إلى هنا في المقام الأوّل، بل كان عليّ أن أحاول الحصول على وظيفة لديّ فرصة في نيلها عوضًا عن إضاعة وقتنا نحن الاثنتين هنا. ربّما أجد وظيفة في تحضير الوجبات السريعة مثلًا.

عاد البستانيّ الذي رأيته من نافذة العلّيّة إلى الحديقة الأمامية. كان لا يزال يحمل أحد تلك المقصّات العملاقة ويشذّب سياجًا أمام المنزل مباشرة. كان رجلًا ضخمًا، يرتدي قميصًا يُظهر عضلاته الملفتة وبالكاد يُخفي الوشم على أعلى ذراعيه. عدّل قبّعة البيسبول التي يعتمرها، ورفع نظره للحظات عن المقصّ ليلتقي بنظري من فوق العشب.

رفعتُ يدي لتحيّته قائلة: "مرحبًا".

حدّق إليّ الرجل من دون أن يردّ التحيّة. لم يقل *كُفّي عن تأمّل وضعيّاتي*، بل اكتفى بالتحديق إليّ.

"تمتمتُ في سرّي: *أهلًا بك*.

خرجتُ من البوّابة المعدنية الإلكترونية المحيطة بالبناء، ومشيت عائدة إلى سيّارتي/ منزلي. نظرت إلى الوراء للمرّة الأخيرة، إلى البستانيّ في الفناء، وكان لا يزال يراقبني. كان ثمّة شيء في تعبيره أرسل القشعريرة عبر عمودي الفقري. بعد ذلك، بالكاد هزّ رأسه كما لو أنّه يحاول تحذيري.

غير أنّه لم ينبس ببنت شفة.

الفصل 2

عندما يعيش المرء في سيّارته، فعليه الالتزام بالبساطة.

بادئ ذي بدء، لا يمكنه أن يستضيف أيّ تجمّعات كبيرة؛ لا حفلات عشاء، ولا سهرات؛ ولا بأس في ذلك، فأنا ليس لديّ من أودّ رؤيته. غير أنّ المشكلة الأكبر تتمثّل في إيجاد مكان للاستحمام، فبعد ثلاثة أيّام من إخلائي الاستوديو الذي كنت أعيش فيه، وذلك بعد مرور ثلاثة أسابيع على طردي من وظيفتي، اكتشفت حمّامًا عامًّا يمكنني الاستحمام فيه، وكدت أبكي فرحًا عندما رأيته. صحيح أنّ مكان الاستحمام يمتاز بخصوصيّة متدنّية جدًّا وبرائحة نتنة بعض الشيء، ولكن في تلك المرحلة، كنت يائسة لتنظيف نفسي.

أنا الآن أستمتع بغدائي على المقعد الخلفي للسيّارة. لديّ طبق ساخن يمكن توصيله بولّاعة السجائر للمناسبات الخاصّة، لكنّني في الغالب أتناول الشطائر؛ الكثير الكثير من الشطائر. لديّ برّاد أخزّن فيه اللحوم المبرّدة والجبن، ورغيفًا من الخبز الأبيض اشتريته بتسعة وتسعين سنتًا من السوبر ماركت. لديّ أيضًا وجبات خفيفة بالطبع؛ أكياس من رقائق البطاطا، ومقرمشات بزبدة الفول السوداني، وكيك جاهز؛ الخيارات غير الصحّية لا حصر لها.

أنا أتناول اليوم اللحم البارد والجبن الأمريكي مع قليل من المايونيز، ومع كلّ قضمة، أحاول عدم التفكير كم سئمت من أكل الشطائر.

بعدما أجبرت نفسي على تناول نصف شطيرتي، رنّ هاتفي في جيبي. كنت أحمل أحد تلك الهواتف القابلة للطيّ وبخطّ مسبوق الدفع، والتي لا يستخدمها الناس إلّا إذا كانوا ينوون ارتكاب جريمة أو إن كانوا قد عادوا إلى الماضي خمسة عشر عامًا، لكنّني بحاجة إلى هاتف وهذا كلّ ما يمكنني شراؤه.

"ويلهيلمينا كالواي؟"، أتاني صوت امرأة من الطرف الآخر من الخطّ.

أجفلتُ عندما سمعت اسمي الكامل؛ كانت ويلهيلمينا اسم جدّتي لأبي التي رحلت منذ زمن بعيد. لا أعرف أيّ مريض نفسي قد يسمّي ابنته ويلهيلمينا، ولكنّني لم أعد أتحدّث مع والدَيّ - وبالمثل، ما عادا يتحدّثان معي - لذلك فات الأوان على طرح السؤال. على أيّ حال، كان اسمي دائمًا ميلي، وكنت أحاول التصحيح للناس بأسرع ما يمكن. لكن ساورني شعور أنّه أيًا يكن المتّصل، فهو ليس شخصًا سأتحدّث معه بالاسم الأوّل قريبًا. "نعم...؟".

قالت المرأة: "آنسة كالواي، معك دونا ستانتون من مانش برغرز".

آه صحيح، مطعم مانش برغرز للوجبات السريعة الدهنية الذي منحني مقابلة قبل بضعة أيّام. كان المطلوب أن أقوم بتقليب البرغر أو الإشراف على ماكينة تسجيل المدفوعات النقدية، لكن إذا عملت بجدّ، فثمّة فرصة للتقدّم، والأفضل من ذلك، فرصة لتقاضي ما فيه الكفاية من المال للخروج من سيّارتي.

بالطبع، كانت الوظيفة التي أرغب فيها حقًّا في منزل وينشستر، لكنّ أسبوعًا كاملًا مرّ منذ أن قابلت نينا وينشستر، ومن الآمن القول إنّني لم أنل وظيفة أحلامي.

تابعت الآنسة ستانتون قائلة: "أردت إبلاغك أنّنا ملأنا الوظيفة الشاغرة في مانش برغرز، لكنّنا نتمنّى لك التوفيق في بحثك عن عمل".

تقلّب اللحم والجبن الأمريكي في معدتي. كنت قد قرأت عبر صفحات الإنترنت أنّ أصحاب مانش برغرز لا يعتمدون ممارسات توظيف صارمة جدًّا، وعلى الرغم من سجلّي الإجرامي، قد تكون ثمّة فرصة لقبولي. كانت تلك آخر مقابلة تمكّنتُ من حجزها منذ أن خسرت وظيفة السيّدة وينشستر، وأنا يائسة.

لم أعد قادرة على تناول شطيرة واحدة أخرى في سيّارتي؛ لا يمكنني ذلك.

قلت: "آنسة ستانتون، أتساءل ما إذا كان بإمكانك توظيفي في أيّ مكان آخر. أنا حقًّا عاملة مجتهدة، وموثوقة للغاية. ودائمة...".

توقّفتُ عن الكلام، فقد قُطع الاتّصال أساسًا.

كنت أحمل شطيرتي بيدي اليمنى والهاتف بيدي اليسرى. هذا أمر ميؤوس منه، فما من أحد يرغب في توظيفي، فكلّ صاحب عمل محتمل ينظر إليّ بالطريقة نفسها تمامًا، وأنا لا أريد سوى بداية جديدة. سأبذل كلّ جهدي إذا اضطررت، وسأفعل كلّ ما يتطلّبه ذلك.

قاومت دموعي مع أنّني لم أعرف لماذا، فما من أحد سيراني أبكي في المقعد الخلفي لسيّارتي، وما من أحد يكترث لأمري بعد الآن؛ فقد نفض والداي أيديهما منّي منذ أكثر من عشر سنوات.

رنّ هاتفي مجدّدًا، وأخرجني من جلسة الشفقة على نفسي، فمسحتُ عينيّ بظاهر يدي وضغطت على الزرّ الأخضر للردّ على المكالمة. قلت بصوت أجشّ: "ألو؟".

"مرحبًا، هل أنت ميلي؟".

بدا الصوت مألوفًا إلى حدّ ما، فضغطت الهاتف على أذني، وشعرت بقلبي يقفز من مكانه وأجبت: "نعم".

"معك نينا وينشستر. لقد أجريت مقابلة معك الأسبوع الماضي".

"أوه"، عضضت بقوّة على شفتي السفلية. لماذا تعيد الاتّصال بي الآن؟ افترضتُ أنّها سبق ووظّفت أحدًا ما وقرّرَت عدم إبلاغي، "نعم تفضّلي".

"إذا كنت لا تزالين مهتمّة، يسعدنا إعطاؤك الوظيفة".

شعرت بالدم يندفع إلى رأسي مسببًا لي الدوار تقريبًا؛ *يسعدنا إعطاؤك الوظيفة*. أهي جادّة؟ كان احتمال نَيلي وظيفة مانش برغرز منطقيًا، ولكن بدا لي من المستحيل تمامًا أن تدعوني امرأة مثل نينا وينشستر إلى منزلها للعيش فيه.

أمن المحتمل ألّا تكون قد تحقّقت من مراجعي؟ ألم تجرِ أيّ تدقيق لتاريخي؟ ربّما كانت مشغولة للغاية بحيث لم تتمكّن من ذلك على الإطلاق، وربّما كانت من أولئك النساء اللواتي يتباهين بقوّة حدسهنّ.

"ميلي؟ أما زلت معي؟".

أدركت أنّني كنت صامتة تمامًا، فقد دُهشت إلى هذا الحدّ، فأجبتها: "نعم، أنا معك".

"إذًا، هل أنت مهتمّة بالوظيفة؟".

"نعم"، حاولتُ ألّا أبدو متلهّفة على نحو مضحك، "بالتأكيد. يسرّني العمل لديك".

صحّحت لي نينا قائلة: "العمل معي".

أفلتت منّي ضحكة مخنوقة وقلت: "صحيح، بالطبع".

"إذًا، متى يمكنك مباشرة العمل؟".

"أممم، متى تريدين منّي أن أبدأ؟".

"في أقرب وقت ممكن"، شعرت بالغيرة من ضحكة نينا الحاضرة التي بدت مختلفة جدًّا عن ضحكتي. فقط لو كان بإمكاني أن أطقطق بأصابعي وأتبادل الأدوار معها، "لدينا طنّ من الغسيل الذي يحتاج إلى الطيّ".

ازدردت ريقي قائلةً: "ماذا عن الغد؟".

"سيكون ذلك رائعًا. لكن، ألا تحتاجين إلى وقت لتوضيب أمتعتك؟".

لم أشأ إخبارها أنّ كلّ ما أملكه موجود أساسًا في صندوق سيّارتي، بل قلت: "أنا سريعة في التوضيب".

ضحكَت مجدّدًا وقالت: "تعجبني طاقتك يا ميلي. لا أطيق الانتظار حتّى تبدأي العمل هنا".

بينما تبادلنا أنا ونينا التفاصيل حول يوم غد، رحت أتساءل ما إذا كانت ستشعر كذلك نحوي لو عرفَت أنّني أمضيت السنوات العشر الأخيرة من حياتي في السجن.

الفصل 3

وصلت إلى منزل آل وينشستر في صباح اليوم التالي، وكانت نينا قد سبق وأوصلت سيسيليا إلى مدرستها، وركنت سيّارتي خارج البوابة المعدنية المحيطة بالمنزل. لم يسبق لي أن دخلت منزلًا محميًّا ببوابة من قبل، فما بالك بالعيش فيه؟ لكن يبدو أنّ هذا الحيّ الفاخر من لونغ آيلاند لا يضمّ سوى منازل مسوّرة، وبما أنّ معدّل الجريمة منخفض هنا، فقد بدا لي ذلك مبالغًا فيه. لكن مَن أكون أنا لأحكم؟ فبغضّ النظر عن أيّ شيء آخر، لو كان لديّ الخيار بين منزل ببوّابة وآخر من دونها، لاخترت البوّابة أنا أيضًا.

كانت البوّابة مفتوحة عندما وصلت أمس، لكنّها مغلقة اليوم، لا بل مقفلة على ما يبدو. وقفت هناك للحظة مع حقيبتين قماشيتين عند قدميّ، محاولة أن أعرف كيف سأدخل. لم يبدُ لي أنّ ثمّة جرسًا هناك، غير أنّني رأيت البستانيّ هناك مجدّدًا، جاثمًا فوق التراب، وبيده مجرفة.

ناديته قائلة: "المعذرة".

نظر الرجل إليّ من فوق كتفه، ثمّ تابع الحفر. *لطيف*.

"المعذرة"، قلت ذلك مجدّدًا بصوتٍ عالٍ بما فيه الكفاية بحيث لا يستطيع أن يتجاهلني.

هذه المرّة، نهض واقفًا ببطء شديد؛ من الواضح أنّه لم يكن على عجلة من

أمره على الإطلاق وهو يعبر الباحة الأمامية الهائلة وصولًا إلى المدخل عند البوّابة. خلع القفّاز المطّاطيّ السميك، ونظر إليّ مقوّسًا حاجبيه.

قلت محاولة إخفاء انزعاجي منه: "مرحبًا، اسمي ميلي كالواي، وهذا يومي الأوّل في العمل هنا. أنا أحاول وحسب الدخول لأنّ السيّدة وينشستر تنتظرني".

لم يقل شيئًا. من المسافة التي أقف فيها، لم ألاحظ في البداية سوى حجمه – كان يتجاوزني طولًا بشبر على الأقلّ، وعضلات ذراعيه بحجم فخذَيّ – ولكن عن كثب، أدركت أنّه جذّاب للغاية. بدا في أواسط العقد الثالث من عمره، شعره أسود داكن كثيف ومبلّل بالعرق، وبشرته سمراء، وملامحه حسنة وخشنة، لكنّ عينيه كانتا أكثر ما لفت انتباهي، فهما سوداوان جدًّا، داكنتان إلى حدّ لا يمكن معه التمييز بين البؤبؤ والقزحية، غير أنّ شيئًا ما في نظرته جعلني أتراجع خطوة إلى الوراء.

سألته: "إذًا... هل يمكنك مساعدتي؟".

أخيرًا، فتح الرجل فمه. توقّعت منه أن يطلب منّي أن أغرب عن وجهه أو أن أريه بطاقة ما، لكن عوضًا عن ذلك، تفوّه بسيل من الكلمات الإيطالية السريعة؛ على الأقلّ أعتقد أنّها كانت إيطالية. لا يمكنني القول إنّني أعرف كلمة واحدة من تلك اللغة، لكنّني شاهدت فيلمًا إيطاليًا مترجمًا ذات مرّة، وبدا لي كلامه مشابهًا.

قلت عندما انتهى المونولوج: "أوه، إذًا... ألا تتحدّث الإنكليزية؟".

"الإنكليزية؟"، قال ذلك بلكنة واضحة أكّدت لي الجواب، "كلّا، الإنكليزية كلّا".

عظيم. تنحنحت محاولة إيجاد الطريقة الفضلى للتعبير عمّا أريد قوله: "إذًا، أنا..."، أشرت إلى صدري، "أنا أعمل لدى السيّدة وينشستر"، ثمّ أشرتُ إلى المنزل، "وأريد... دخول..."، والآن أشرت إلى القفل على البوّابة، "المنزل".

اكتفى بالعبوس في وجهي. *ممتاز.*

كنت على وشك إخراج هاتفي والاتّصال بنينا عندما ابتعد جانبًا، وضغط على زرّ ما، ثمّ انفتحت البوّابة بحركة بطيئة.

عندما فُتحت البوّابة، توقّفت للحظة لأنظر إلى المنزل الذي سيكون بيتي في المستقبل المنظور. كان مؤلّفًا من طابقين، بالإضافة إلى العلّيّة، ويترامى على مساحة بدت بطول مبنى في مدينة بروكلين. كان ناصع البياض - مطليًّا حديثًا على الأرجح - وبدت هندسته المعمارية معاصرة، لكن ما أدراني أنا؟ كلّ ما أعرفه أنّ الأشخاص الذين يعيشون هنا يملكون من المال على ما يبدو أكثر ممّا يعرفون كيف ينفقونه.

هممت بحمل إحدى حقيبتَيّ، ولكن قبل أن أفعل، رفع الرجل كلتيهما من دون أن يئنّ حتّى، ووضعهما عند باب المنزل. كانت الحقيبتان ثقيلتين للغاية، لا سيّما وأنّهما تحتويان على كلّ ما أملك بخلاف سيّارتي، ولذلك شعرت بالامتنان عندما تطوّع لحملهما عنّي.

قلت: "*غراسياس*".

بدت التسلية واضحة في نظرته. حسنًا، ربّما كانت تلك الكلمة إسبانية، لكن لا بأس.

أشرت إلى صدري قائلة: "ميلي".

أومأ رأسه في إشارة إلى أنّه فهم كلامي، ثمّ أشار إلى صدره وقال: "أنا إنزو".

"تشرّفت بلقائك"، قلت ذلك مربكة على الرغم من أنّه لن يفهمني. لكن هل يعقل أن يعيش ويعمل هنا من دون أن يتعلّم ولو القليل من الإنكليزية؟

قال: "*بياتشيري دي كونوشيرتي*".

أومأت برأسي بصمت، إذ لم تكن إقامة صداقة مع البستانيّ فكرة حسنة.

قال مجدّدًا بلكنته الإيطالية القوية: "ميلي"، بدا كما لو أنّ لديه ما يقوله، ولكنّه يكافح مع اللغة، "أنت...".

همس بكلمة بالإيطالية، ولكن بمجرّد أن سمع الباب وهو يُفتح، أسرع عائدًا إلى حيث كان جاثمًا في الفناء الأمامي، وشغل نفسه جدًّا. بالكاد استطعت أن أفهم الكلمة التي قالها - *بيريكولو* - أيًّا يكن معناها، ربّما تعني أنّه يريد مشروبًا غازيًا. *بيري كولا ... كولا مع عصرة ليمون.*

"ميلي"، بدت نينا سعيدة برؤيتي، سعيدة إلى حدّ أنّها أحاطتني بذراعيها واحتضنتني بقوّة مضيفةً: "أنا سعيدة للغاية لأنّك قرّرت تولّي الوظيفة. فقد شعرت كما لو أنّ ثمّة رابطًا بيننا، هل تفهمينني؟".

هذا ما ظننته. كان لديها "حدس" تجاهي، ولذلك لم تكلّف نفسها عناء إجراء البحث. والآن، ما عليّ سوى الحرص على عدم إعطائها سببًا لعدم الوثوق بي. عليّ أن أكون الموظّفة المثالية، فأجبتها: "نعم، أفهم قصدك، فقد ساورني الشعور نفسه".

"إذًا، تفضّلي".

أمسكت نينا بمرفقي واصطحبتني إلى داخل المنزل متجاهلة كفاحي مع الحقيبتين. بالطبع، لم أتوقّع منها أن تساعدني، حتّى إنّ ذلك ما كان ليخطر ببالها.

عندما دخلتُ المنزل، لاحظتُ على الفور أنّه مختلف جدًّا عن المرّة الأولى التي زرته فيها، مختلف حقًّا. فعندما أتيت لإجراء المقابلة، كان منزل آل وينشستر قمّة في النظافة، بحيث يمكن للمرء تناول الطعام عن أيّ سطح من أسطح الغرفة، أمّا الآن، فقد بدا المكان أقرب إلى زريبة، فقد اصطفّت على طاولة القهوة أمام الأريكة ستّة فناجين بكمّيات متفاوتة من السوائل اللزجة، ونحو عشر جرائد ومجلّات متغضّنة، وعلبة بيتزا فارغة، وكانت الملابس والقمامة متناثرة في جميع أنحاء غرفة المعيشة، وطاولة الطعام لا تزال عامرة ببقايا عشاء الليلة الماضية.

قالت نينا: "كما ترين، لقد وصلتِ في الوقت المناسب".

إذًا، نينا وينشستر قذرة، ذاك هو سرّها. سيستغرق منّي الأمر ساعات ليصبح هذا المكان بحالة لائقة، لا بل ربّما أيّامًا. ولكن لا بأس، فقد كنت متلهّفة للقيام بمجهود جيّد وصادق، كما أنّني أحبّ احتياجها إليّ، وإن تمكّنتُ من جعل نفسي ثمينة بالنسبة إليها، فمن غير المرجّح أن تطردني إذا، أو عندما، تكتشف الحقيقة.

قلت لها: "دعيني أضع حقيبتيّ ومن ثمّ أقوم بترتيب المنزل بالكامل".

تنهّدت نينا بسعادة قائلةً: "أنت معجزة يا ميلي، شكرًا جزيلًا لك. أيضًا..."، تناولت حقيبتها عن طاولة المطبخ وبحثت فيها، ثمّ أخرجت أخيرًا أحدث إصدار

من هواتف آيفون وتابعت: "أحضرتُ لك هذا، إذ لاحظتُ أنّك تستخدمين هاتفًا قديمًا جدًّا، وإذا احتجتُ إلى التواصل معك، أودّ أن يكون لديك وسيلة اتّصال موثوقة".

أحطتُ الهاتف الجديد بأصابعي بتردّد قائلةً: "أوه، هذا كرم بالغ منك، لكنّني لا أستطيع تحمّل تكاليفه".

لوّحت بيدها مجيبة: "لقد أضفتك إلى خطّتنا العائلية، لم يكلّف ذلك شيئًا تقريبًا".

لم يكلّف شيئًا تقريبًا؟ لديّ شعور أن تعريفها لهذه العبارة مختلف تمامًا عن تعريفي.

قبل أن أتمكّن من الاحتجاج أكثر، تردّد وقع أقدام على الدرج خلفي، فاستدرت لأرى رجلًا ببدلة رمادية ينزل الدرج، وعندما رآني أقف في غرفة المعيشة، توقّف عند أسفل الدرج وكأنّه مصدوم من وجودي، وحدّق إليّ أكثر عندما لاحظ أمتعتي.

قالت نينا: "آندي. تعالَ لأعرّفك على ميلي".

لا بدّ أنّه آندرو وينشستر. عندما كنت أُجري بحثًا عبر غوغل عن أسرة وينشستر، جحظت عيناي قليلًا عندما عرفت صافي ثروة هذا الرجل، وبعد رؤية كلّ علامات الدولار تلك، أصبح المسرح المنزلي والبوّابة المحيطة بالممتلكات أكثر منطقية. كان رجلَ أعمال تولّى إدارة شركة والده المزدهرة، وضاعف أرباحها منذ ذلك الحين، ولكن نظرًا لأمارات الدهشة التي علت وجهه، من الواضح أنّه يسمح لزوجته بتولّي معظم أمور المنزل، ويبدو أنّه قد فاتها إخباره أنّها وظّفت مدبّرة منزل جديدة.

"مرحبًا..."، دخل السيّد وينشستر غرفة المعيشة مقطّب الحاجبين، "ميلي، أليس كذلك؟ أنا آسف، لم أدرك...".

"آندي، لقد أخبرتك عنها"، أمالت رأسها جانبًا مضيفةً: "قلت إنّنا بحاجة إلى

توظيف شخص ما للمساعدة في التنظيف والطهي وسيسيليا. أنا واثقة أنّني أخبرتك".

"حسنًا، هذا جيّد"، استرخت عضلات وجهه أخيرًا، ثم وجّه حديثه إليّ قائلًا: "أهلًا بك يا ميلي. بالتأكيد سنستفيد من مساعدتك"، ومدّ يده مصافحًا.

كان من الصعب ألّا ألاحظ مدى وسامته؛ عيناه بنّيتان ثاقبتان، وشعره بنّي كثيف، وتتوسّط غمّازة صغيرة جذّابة ذقنه. كان من الصعب أيضًا ألّا ألاحظ أنّه يتجاوز زوجته جاذبية بعدّة مستويات، حتّى على الرغم من عنايتها البالغة بنفسها، الأمر الذي أثار استغرابي بعض الشيء. فالرجل فاحش الثراء في النهاية، وبإمكانه الحصول على أيّ امرأة يريدها، وأنا أحترمه لأنّه لم يقم باختيار عارضة في العشرين من عمرها لتكون شريكة حياته.

دسست هاتفي في جيب سروالي الجينز ومددت يدي لمصافحته قائلةً: "تشرّفت بلقائك يا سيّد وينشستر".

ابتسم لي بحرارة وقال: "من فضلك، ناديني آندرو".

بينما كان يقول ذلك، ومَض شيء في وجه نينا وينشستر، فقد ارتعشت شفتاها وضاقت عيناها، مع أنّني لم أفهم السبب تمامًا، فهي نفسها سمحت بأن أناديها باسمها الأوّل، وآندرو وينشستر لم ينظر إليّ على نحو مثير للريبة، بل بقي نظره باحترام على وجهي ولم ينخفض تحت عنقي، علمًا أنّه ما من شيء مهمّ يمكن رؤيته. صحيح أنّني لم أزعج نفسي بوضع نظّارتي اليوم، إلّا أنّني اكتفيت بارتداء قميص متواضع وسروال جينز أزرق مريح في أوّل يوم عمل لي.

قالت نينا: "على أيّ حال، ألم تكن ذاهبًا إلى المكتب يا آندي؟".

أجاب مسوّيًا ربطة عنقه الرمادية: "أوه، نعم، لديّ اجتماع عند الساعة التاسعة والنصف في المدينة. لذا، من الأفضل أن أسرع".

طبع قبلة طويلة على شفتَي نينا وضغط على كتفيها. بحسب ما أرى، كانا زوجين سعيدَين. كما بدا آندرو متواضعًا جدًّا بالنسبة إلى رجل يبلغ صافي ثروته

ثمانية أرقام بعد علامة الدولار. جميل كيف أرسل لها قبلة في الهواء وهو يقف عند الباب؛ هذا رجل يحبّ زوجته حقًّا.

قلت لنينا بينما كان الباب يُغلق: "يبدو زوجك لطيفًا".

ردّت وقد عادت النظرة القاتمة والمرتابة إلى عينيها: "أهذا رأيك؟".

جازفتُ مجيبة: "حسنًا، نعم. أعني، يبدو كأنّه... منذ متى وأنتما متزوّجان؟".

نظرت إليّ بتمعّن، لكن بدلًا من الإجابة على سؤالي، قالت: "ماذا حلّ بنظارتك؟".

"ماذا؟".

رفعَت أحد حاجبيها وقالت: "كنت تضعين نظّارة خلال المقابلة، أليس كذلك؟".

"أوه"، قلت ذلك بصوت خافت متردّدة في الاعتراف بأنّ النظّارة كانت فقط للزينة، وأنها مجرّد محاولة لأبدو أكثر ذكاءً وجدّية، وأجل، أقلّ جاذبية وتهديدًا، "أنا... آه، أضع عدستين لاصقتين".

"أحقًّا؟".

لا أدري لماذا كذبت، كان ينبغي أن أجيب ببساطة أنّني لا أحتاج إلى النظّارة كثيرًا، وبدلًا من ذلك، تماديتُ واخترعت قصة العدستين اللاصقتين اللتين لا أستخدمهما في الواقع. شعرتُ بنينا تتفحّص عينيّ بحثًا عن العدستين.

سألتها أخيرًا: "هل... هل ثمّة مشكلة في ذلك؟".

ارتعشت عضلة تحت عينها اليمنى، وللحظة خشيت أن تطلب منّي الرحيل، ولكن سرعان ما استرخت عضلات وجهها قائلة: "بالطبع لا، لكنّني وجدت تلك النظّارة لطيفة للغاية عليك. إنّها لافتة جدًّا للنظر، لذا عليك استخدامها أكثر".

"نعم، حسنًا..."، أمسكت بإحدى حقيبتيّ بيد مرتعشة وقلت: "ربّما يجدر بي حمل أمتعتي إلى الأعلى لكي أبدأ".

صفّقت نينا بيديها قائلة: "فكرة ممتازة".

مجدّدًا، لم تعرض نينا حمل أيّ من حقيبتيّ ونحن نصعد الدرج المؤدّي إلى العلّيّة. عندما وصلنا إلى منتصف المجموعة الثانية من الدرجات، شعرت وكأنّ ذراعي على وشك الانهيار، ولكن لم يبدُ أنّه خطر ببال نينا التوقّف لمنحي استراحة قصيرة. تنفّستُ الصعداء عندما تمكّنتُ أخيرًا من إنزال حقيبتَيّ على أرض غرفتي الجديدة.

شدّت نينا الحبل لإضاءة المصباحين اللّذين ينيران مسكني الصغير وقالت: "أتمنّى أن ترتاحي هنا. أعتقد أنّك تفضّلين التمتّع بخصوصيّة العيش هنا في الأعلى، فضلًا عن امتلاك حمّام خاصّ بك".

ربّما كانت تشعر بشيء من الذنب لأنّ غرفة الضيوف العملاقة فارغة، بينما أعيش أنا في هذه الغرفة التي تزيد مساحتها بقليل عن مساحة خزانة المكنسة، ولكن لا بأس. أيّ شيء أكبر من المقعد الخلفي لسيّارتي يشبه القصر بالنسبة إليّ، وأنا توّاقة للنوم هنا هذه الليلة، لا بل إنّني شديدة الامتنان.

قلت بصدق: "إنّها مثالية".

بالإضافة إلى السرير وخزانة الملابس والمكتبة، لاحظت شيئًا آخر لم أره في زيارتي الأولى، فقد كان ثمّة برّاد صغير بطول قدم تقريبًا، وكان موصولًا بالحائط ويصدر صوتًا منتظمًا، فانحنيتُ وفتحتُه.

كان يحتوي على رفّين صغيرين، وعلى رفّه العلوي وُضعت ثلاث عبوات صغيرة من الماء.

قالت نينا بجدّية: "شرب الماء بانتظام أمر مهمّ جدًّا".

"نعم...".

عندما رأت التعبير الحائر على وجهي ابتسمَت مضيفة: "هذا بالطبع براد خاصّ بك ويمكنك وضع ما تشائين فيها. أردت أن تكوني مرتاحة".

"شكرًا لك"، هذا ليس غريبًا، فبعض الناس يضعون نعناعًا على الوسادة، أمّا نينا، فتترك ثلاث عبوات صغيرة من المياه.

"على أيّ حال..."، مسحت نينا يديها على فخذيها، مع أنّهما نظيفتان وأضافت: "سأدعك تفرغين أمتعتك ثمّ تبدأين بتنظيف المنزل. أمّا أنا، فسأحضّر لاجتماع الغد".

"اجتماع؟".

"رابطة الآباء والمعلّمين"، ابتسمت لي مضيفة: "أنا نائبة الرئيس".

"هذا رائع"، أجبتها بذلك لأنّ هذا ما تريد سماعه؛ من السهل جدًّا إرضاء نينا؛ ثم قلت: "سأُخرِج كلّ شيء بسرعة وأبدأ فورًا".

"شكرًا جزيلًا"، لمست أصابعها ذراعي العارية لفترة وجيزة، وكانت دافئة وجافّة، "أنت منقذة يا ميلي، وأنا سعيدة بوجودك هنا".

وضعت يدي على مقبض الباب بينما كانت نينا تهمّ بمغادرة غرفتي، وعندئذٍ لاحظتُ أمرًا؛ لاحظتُ ما كان يزعجني في هذه الغرفة منذ لحظة دخولي إليها، وداهمني شعور مفاجئ بالذعر.

"نينا؟".

"نعم".

"لماذا..."، تنحنحتُ متابعة: "لماذا تُقفل هذه الغرفة من الخارج وليس من الداخل؟".

نظرت نينا إلى مقبض الباب وكأنّها تلاحظ ذلك للمرّة الأولى وقالت: "أوه، أنا آسفة جدًّا. لقد اعتدنا على استخدام هذه الغرفة كخزانة، ولذلك من البديهي أن نقفلها من الخارج، ولكن عندما حوّلتُها إلى غرفة نوم للمساعِدة، أعتقد أنّنا لم نقم بتبديل القفل".

إذا أراد أحدهم، فيمكنه بسهولة حبسي هنا، وما من منفذ آخر سوى تلك النافذة الوحيدة المطلّة على الجهة الخلفية من المنزل؛ بإمكان هذه الغرفة أن تكون فخَّ موتٍ.

ولكن، لماذا قد يرغب أحدهم بحبسي هنا؟

سألتها: "هل يمكنني الحصول على مفتاح الغرفة؟".

هزّت كتفيها بلا اكتراث قائلةً: "أنا لا أعرف حتّى أين هو".

"أودّ الحصول على نسخة عنه".

ضاقت عيناها وهي تنظر إليّ سائلة إياي: "لماذا؟ ما الذي تريدين إخفاءه في غرفتك ولا ترغبين في أن يراه أحد منّا؟".

فتحتُ فمي بدهشة قائلةً "أنا... لا شيء، ولكن...".

أرجعت نينا رأسها إلى الخلف ضاحكة وقالت: "أنا أمزح وحسب، هذه غرفتك يا ميلي، وإذا أردتِ مفتاحًا، فسأحضر لك واحدًا، أعدك".

يبدو لي في بعض الأحيان أنّ نينا تعاني من انفصام في الشخصية، فهي تتقلّب بين نقيضين بسرعة كبيرة. تدّعي أنّها تمزح، ولكنّني لست واثقة تمامًا من ذلك. على أيّ حال، هذا لا يهم. ليست لديّ أيّ آفاق أخرى، وهذه الوظيفة نعمة، ولذلك سأجعل الأمور تسير كما ينبغي، وبغضّ النظر عن كلّ شيء آخر، سأجعل نينا وينشستر تحبّني.

بعد أن غادرَت نينا غرفتي، أغلقتُ الباب خلفها. أردت إقفاله، ولكنّني لم أستطع بالطبع.

بينما كنت أغلق الباب، لاحظت وجود علامات على الخشب هي عبارة عن خطوط رفيعة طويلة تمتدّ على طول الباب وصولًا إلى مستوى كتفيّ. مرّرتُ أصابعي عليها، وبدا لي أنّها تشبه تقريبًا...

الخدوش، كما لو أنّ أحدهم خدش الباب...

محاولًا الخروج.

كلّا، هذا سخيف، هذه مجرّد هواجس، ففي بعض الأحيان، تظهر خدوش على الخشب القديم، وهذا ليس نذيرًا بأيّ شيء سيّئ.

شعرت فجأة أنّ الغرفة حارّة وخانقة. كان ثمّة مدفأة صغيرة في زاوية الغرفة، وأنا متأكّدة أنّها تحافظ على الدفء في الشتاء، ولكن ما من شيء يبرّدها في الأشهر الحارّة، ولذلك سأضطرّ لشراء مروحة ووضعها أمام النافذة. مع أنّ الغرفة أكبر بكثير من سيّارتي، إلّا أنّها تبقى صغيرة جدًّا، ولا أستغرب أن يستخدموها كخزانة.

نظرت حولي، وبدأت أفتح الأدراج للتحقّق من حجمها. كان ثمّة خزانة صغيرة مدمجة بالغرفة، بالكاد تتّسع لتعليق ثيابي القليلة، وكانت الخزانة فارغة، باستثناء علاّقتين ودلو أزرق صغير في الزاوية.

حاولت فتح النافذة الصغيرة للحصول على بعض التهوئة، ولكن عبثًا، فأخذت أتفحّصها عن كثب ومرّرت إصبعي على طول إطار النافذة، لكنّه بدا وكأنّه مثبّت في مكانه.

لديّ نافذة، ولكنّها لا تُفتح.

بإمكاني أن أسأل نينا عن ذلك، ولكن لا أريد أن أبدأ بالشكوى من أوّل يوم عمل لي هنا. ربّما أذكر لها الأمر في الأسبوع المقبل، فأنا لا أعتقد أنّني أطلب الكثير إذا أردت نافذة واحدة صالحة.

كان البستانيّ، إنزو، في الفناء الخلفي الآن يستخدم جزّازة العشب. توقّف للحظة لمسح العرق عن جبهته بساعده العضلي، ثمّ نظر إلى الأعلى. عندما رأى وجهي من خلال النافذة الصغيرة، هزّ رأسه مثلما فعل في المرّة الأولى التي قابلته فيها. تذكّرتُ الكلمة التي همسها بالإيطالية قبل دخولي إلى المنزل؛ *بيريكولو*.

أخرجت هاتفي الجديد من جيبي، فأضاءت الشاشة عندما لمستها وامتلأت برموز صغيرة للرسائل النصّية، والاتّصالات، والطقس. لم يكن هذا النوع من الهواتف شائعًا في بداية دخولي السجن، ولم أتمكّن من شراء هاتف منذ خروجي. لكنّ بعض الفتيات اللواتي تعرّفت إليهنّ بعد خروجي كنّ يحملن هواتف كهذه، ولذلك أعرف نوعًا ما كيفيّة استخدامها. كنت أعرف مثلًا الرمز الذي يفتح المتصفّح.

كتبت في نافذة المتصفّح *ترجمة pericolo*. لا بدّ أنّ الإشارة ضعيفة هنا في العلّيّة، لأن الأمر استغرق وقتًا طويلًا. مرّت دقيقة تقريبًا عندما ظهرت الترجمة أخيرًا على شاشة هاتفي:

خطر.

الفصل 4

أمضيت الساعات السبع التالية في التنظيف.

لم يكن بوسع نينا أن تجعل هذا المنزل أكثر قذارة حتّى لو حاولَت. كانت كلّ الغرف متّسخة، ولا تزال علبة البيتزا الموجودة على طاولة القهوة تحتوي على شريحتين من البيتزا، وكان ثمّة شيء لزج وكريه الرائحة مسكوبًا في قعر العلبة، وقد تسرّب من خلاله والتصق بالطاولة. استغرق الأمر ساعة من النقع وثلاثين دقيقة من الفرك المكثّف لتنظيفها بالكامل.

كان المطبخ هو الأسوأ حالًا في المنزل بأكمله، فبالإضافة إلى كلّ ما هو موجود في سلّة المهملات نفسها، كان ثمّة كيسان للقمامة في المطبخ يفيضان بمحتوياتهما، ويبدو أنّ أحدهما كان مشقوقًا من الأسفل، لأنّني عندما حملته لإخراجه، سقطت كلّ القمامة منه وانتشرت في المكان وفاحت منها رائحة رهيبة سبّبت لي الغثيان، ولكنّني لم أخسر غدائي.

كانت الأطباق مكدّسة في أكوام عالية في حوض الجلي، فتساءلت لماذا لم تضعها نينا ببساطة في غسّالة الأطباق الحديثة، إلى أن فتحتُ الآلة ولاحظتُ أنّها مليئة هي الأخرى بالأطباق القذرة. من الواضح أنّ تلك المرأة لا تعتقد بضرورة مسح الأطباق قبل وضعها في غسّالة الأطباق، أو حتّى تشغيلها. قبل أن أنتهي، كنت قد شغّلت غسّالة الأطباق ثلاث مرّات، أمّا المقالي، فغسلتُها بيدي، وكانت

بمعظمها تحتوي على بقايا طعام منذ عدّة أيّام.

بحلول منتصف بعد الظهيرة، أصبح المطبخ لائقًا إلى حدّ ما من جديد، فشعرت بالفخر بنفسي. كان أوّل يوم عمل شاقًّا منذ أن طُردت من المقهى - ظلمًا، ولكن تلك هي حياتي هذه الأيّام - وقد شعرت بالرضا حيال ذلك. كلّ ما أريده هو الاستمرار في العمل هنا، وربما أيضًا نافذة يمكن فتحها في غرفتي.

"من أنت؟".

أجفلني صوت طفلة وأنا أضع آخر فوج من الأطباق، فاستدرت لأرى سيسيليا واقفة خلفي يخترقني نظر عينيها الزرقاوين الباهتتين. كانت ترتدي فستانًا أبيض بكشاكش جعلها تبدو أشبه بدمية صغيرة. وعندما أقول دمية، فأنا أعني بالطبع تلك الدمية المتكلّمة المخيفة في فيلم *منطقة الشفق* التي تقتل الناس.

لم أرها حتّى وهي تدخل، ونينا ليست في الجوار. من أين أتت يا ترى؟ إن كان هذا هو الجزء من الوظيفة الذي أكتشف فيه أنّ سيسيليا ميتة منذ عشر سنوات وهي شبح، فإنّني أستقيل.

حسنًا، ربّما لا، ولكن قد أطلب علاوة.

قلت بمرح: "مرحبًا يا سيسيليا، أنا ميلي. سأعمل في منزلكم من الآن فصاعدًا، أنظّف المكان وأراقبك عندما تطلب منّي والدتك ذلك. أتمنّى أن نستمتع برفقة بعضنا".

رمشت سيسيليا بعينيها الباهتتين وقالت: "أنا جائعة".

عليّ أن أتذكّر أنّها مجرّد فتاة صغيرة عادية يصيبها الجوع والعطش والمرض وتستخدم الحمّام، فسألتها: "ماذا تريدين أن تأكلي؟".

"لا أدري".

"حسنًا، ما هي الأطعمة التي تحبّينها؟".

"لا أدري".

صرَرتُ على أسناني، فقد تحوّلت سيسيليا من فتاة صغيرة مخيفة إلى فتاة صغيرة مزعجة، ولكنّنا التقينا للتوّ، وأنا واثقة من أنّنا سنكون صديقتَين بعد بضعة أسابيع. قلت: "حسنًا إذًا، سأحضّر لك وجبة خفيفة".

هزّت برأسها وصعدت على أحد المقاعد المحيطة بالمنضدة الرخامية التي تتوسّط المطبخ. ما زلت أشعر أنّ نظرها يخترقني، كما لو أنّها تستطيع قراءة كلّ أسراري. أتمنّى لو تذهب إلى غرفة المعيشة وتشاهد الرسوم المتحرّكة على التلفاز العملاق بدلًا من... مراقبتي.

سألتها على أمل أن تفهم التلميح: "إذًا، ماذا تحبّين أن تشاهدي على التلفاز؟".

عبسَت كما لو أنّني وجّهتُ إليها إهانة وأجابت: "أنا أفضّل القراءة".

"هذا رائع. وماذا تحبّين أن تقرأي؟".

"الكتب".

"أيّ نوع من الكتب؟".

"النوع الذي يحتوي على كلمات".

أوه، إذًا هكذا ستكون الأمور يا سيسيليا. حسنًا، إذا كانت غير راغبة في التحدّث عن الكتب، فبإمكاني تغيير الموضوع. سألتها: "هل عدتِ للتوّ من المدرسة؟".

نظرت إليّ باستغراب قائلةً: "ومن أين سأعود إذًا؟".

"ولكن... كيف أتيتِ إلى المنزل؟".

تأفّفَت غاضبة وأجابت: "اصطحبتني والدة لوسي من درس الباليه وأحضرتني إلى المنزل".

سمعتُ نينا تتنقّل في الطابق العلوي منذ نحو خمس عشرة دقيقة، لذلك أفترض أنّها في المنزل. أتساءل عمّا إذا كان يجب أن أخبرها أنّ سيسيليا في المنزل، غير أنّني لم أرغب في إزعاجها، لا سيّما وأنّ رعاية سيسيليا من واجباتي.

حمدًا لله، يبدو أنّ سيسيليا لم تعد مهتمّة بي وقرّرت التجوّل بحقيبة ظهرها الوردية الفاتحة. وجدتُ بعض البسكويت المالح في الخزانة فضلًا عن مرطبان من

زبدة الفول السوداني، فدهنت الزبدة على البسكويت، كما اعتادت والدتي أن تفعل. إن تكرار الحركة نفسها التي اعتادت والدتي القيام بها من أجلي مرّات عديدة جعلني أشعر بشيء من الحنين والحزن. لم أعتقد يومًا أنّها ستتخلّى عنّي كما فعلَت. *لقد فاض الكيل يا ميلي.*

بعد أن دهنتُ البسكويت بزبدة الفول السوداني، قطّعتُ موزة، ووضعتُ شريحة على كلّ منها. أحبّ مزيج زبدة الفول السوداني والموز.

"ها نحن ذا"، أزحت الطبق فوق المنضدة لتقديمه لسيسيليا قائلةً: "بسكويت زبدة الفول السوداني والموز".

اتّسعت عيناها دهشة وسألت: "زبدة الفول السوداني والموز؟".

"صدّقيني، إنّها لذيذة".

"أنا أتحسّس من زبدة الفول السوداني"، اصطبغ خدّا سيسيليا باللون الوردي الزاهي وأضافت: "من شأن زبدة الفول السوداني أن تقتلني. هل تحاولين قتلي؟".

غاص قلبي فزعًا. لم تذكر نينا شيئًا عن تحسّس سيسيليا على زبدة الفول السوداني، كما أنّها تحتفظ بها في المطبخ. إذا كانت ابنتها تعاني من حساسيّة قاتلة على الفول السوداني، فلماذا تحتفظ بها في المنزل؟

"أمّي"، صرخت سيسيليا وهي تجري نحو الدرج، "لقد حاولت الخادمة أن تؤذيني بزبدة الفول السوداني. ساعديني يا أمّي".

يا إلهي.

قلت بصوت خافت: "سيسيليا. لم أقصد ذلك. لم أكن أعرف أنّك تعانين من التحسّس و...".

لكنّ نينا كانت تهبط الدرج بسرعة أساسًا. على الرغم من الفوضى التي تسود منزلها، إلّا أنّها بدت الآن في غاية الأناقة في واحدة أخرى من تنانيرها البيضاء الناصعة مع قميص أبيض. الأبيض لونها المفضّل، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سيسيليا على ما يبدو؛ إنّهما تتطابقان مع المنزل.

صاحت نينا عندما وصلت إلى أسفل الدرج: "ماذا يجري هنا؟".

أجفلتُ حين اندفعت سيسيليا إلى أمّها، ولفّت ذراعيها حول حضنها قائلةً: "لقد حاولت أن تجعلني آكل زبدة الفول السوداني. ماما، لقد قلت لها إنّني أعاني من التحسّس، لكنّها لم تسمع".

احمرّ وجه نينا وقالت: "ميلي، هل هذا صحيح؟".

"أنا..."، جفّ حلقي تمامًا، ثم تابعتُ قائلةً: "لم أكن أعرف أنّها تعاني من التحسّس، أقسم لك".

عبست نينا قائلة: "لكنّني أخبرتك عن وضعها يا ميلي، هذا غير مقبول".

لم تخبرني قطّ، لم تقل شيئًا عن تحسّس سيسيليا تجاه الفول السوداني، أنا متأكّدة من ذلك، وحتّى لو فعلَت، فلماذا تترك مرطبانًا من زبدة الفول السوداني في المطبخ؟ كان بمتناول اليد.

لكنّها لن تصدّق أيًّا من أعذاري، ففي عقلها، كدت أقتل ابنتها. هذه الوظيفة تنزلق من بين أصابعي كما أرى.

"أنا آسفة حقًّا"، تكلّمتُ وأنا أختنق، "لا بدّ أنّني نسيت، أعدك أنّ ذلك لن يتكرّر".

كانت سيسيليا تبكي الآن بينما تحتضنها أمّها وتمرّر يدها برفق على شعرها الأشقر. في النهاية، هدأَت، لكنّها ظلّت متمسّكة بوالدتها. شعرتُ بذنب رهيب، ففي أعماقي، أعلم أنّه ليس من المفترض إطعام الأطفال قبل التحقّق من الوالدين. أنا المخطئة هنا، ولو لم تكن سيسيليا بهذه اليقظة، لوقع ما لا تُحمَد عقباه.

أخذت نينا نفسًا عميقًا مغمضةً عينيها للحظة ثمّ فتحتهما مجدّدًا وقالت: "حسنًا، ولكن من فضلك احرصي على عدم نسيان شيء بهذه الأهمّية مجدّدًا".

"لن أفعل، أقسم لك"، شددتُ قبضتيّ متابعة: "هل تريدين منّي التخلّص من مرطبان زبدة الفول السوداني الذي كان في الخزانة؟".

صمتت للحظة ثم قالت: "كلّا، من الأفضل ألّا تفعلي، فقد نحتاج إليه".

أردت أن أرفع يديّ باستسلام، ولكن هذا قرارها إذا كانت تريد الاحتفاظ بزبدة الفول السوداني في المنزل على الرغم من أنّها تهدّد حياة ابنتها. كلّ ما أعرفه أنّني لن أستخدمها مرّة أخرى.

أضافت نينا: "إذًا، متى يجهز العشاء؟".

العشاء؟ وهل يفترض بي تحضير العشاء؟ هل تخيّلَت نينا محادثة أخرى لم تجرِ بيننا قطّ؟ إلا أنّني لست مستعدّة لتقديم الأعذار مجدّدًا بعد كارثة زبدة الفول السوداني. سأجد شيئًا في الثلّاجة لأعدّه.

قلت: "الساعة السابعة؟"، لا شكّ أنّ ثلاث ساعات أكثر من كافية.

أومأت برأسها موافقة: "ولا تضعي زبدة الفول السوداني في الطعام، اتّفقنا؟".

"لن أفعل بالطبع".

"لا تنسي من فضلك يا ميلي".

"لن أفعل. وهل يعاني أيّ شخص آخر من أنواع أخرى من التحسّس؟".

هل لديها تحسّس تجاه البيض؟ لدغ النحل؟ كثرة الفروض المدرسية؟ عليّ أن أعرف. لا أستطيع المجازفة بحادثة أخرى من هذا النوع.

هزّت نينا رأسها نافية، وفي هذه اللحظة رفعت سيسيليا وجهها المبلّل بالدموع عن صدر والدتها لتحدّق إليّ. لم تكن البداية موفّقة بيننا، لكنّني سأجد طريقة لإصلاح الأمور. سأعدّ لها الكيك بالشوكولاته، أو شيئًا من هذا القبيل، فمن السهل إرضاء الأطفال، أما البالغون فهم أكثر تعقيدًا، لكنّني مصمّمة على الفوز بمحبّة نينا وآندرو أيضًا.

الفصل 5

بحلول الساعة 6:45، كان العشاء جاهزًا تقريبًا. وجدتُ بعض صدور الدجاج المتبّلة في الثلّاجة مع تعليمات مطبوعة على الكيس، فنفّذت ما نصّت عليه التعليمات وأدخلتها في الفرن. لا بدّ أنّهم يشترون طعامهم من مكان ما يضع التعليمات على المنتجات.

كانت رائحة المطبخ رائعة عندما أُغلِق باب المرأب. بعد دقيقة، دخل آندرو وينشستر الغرفة وهو يحلّ ربطة عنقه. كنت أحرّك بعض الصلصة على النار وأقوم ببعض التحضيرات عندما رأيته، وكنت قد نسيت كم هو وسيم.

ابتسم لي؛ كان أكثر وسامة عندما ابتسم؛ وقال: "ميلي، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

تنشّق الهواء بعمق وقال: "أوه، الرائحة رائعة".

احمرّ خدّاي وأنا أجيب: "شكرًا لك".

نظر إلى المطبخ حوله باستحسان قائلًا: "لقد نظّفتِ كلّ شيء".

"هذا عملي".

ضحك قائلًا: "هذا واضح. هل كان يومك الأوّل جيّدًا؟".

"نعم". لن أخبره عن كارثة زبدة الفول السوداني، إذ لا حاجة لأن يعرف، مع أنّني أظنّ أنّ نينا ستخبره، وأنا متأكّدة أنّه لن يقدّر كوني أوشكت على قتل ابنته، ثم

قلت له: "لديكم منزل جميل".

"في الواقع، الشكر لنينا في ذلك، فهي من تدير أمور المنزل".

في تلك اللحظة، دخلت نينا المطبخ مرتدية ملابس أخرى بيضاء مختلفة عن تلك التي كانت ترتديها قبل ساعات قليلة وحسب. مرّة أخرى، بدت بلا أيّ شائبة. بينما كنت أقوم بالتنظيف في وقت سابق، توقّفتُ لبضع دقائق لتأمّل الصور المصفوفة فوق المدفأة. كانت بينها صورة لنينا وآندرو معًا منذ سنوات عديدة، وبدت فيها مختلفة جدًّا. لم يكن شعرها أشقر إلى هذا الحدّ، وكانت تضع قدرًا أقلّ من مساحيق التجميل وترتدي ملابس أكثر عمليّة، كما كانت أخفّ وزنًا بعشرين كيلوغرامًا على الأقلّ. لم أتعرّف عليها تقريبًا، أمّا آندرو، فبدا كما هو تمامًا.

"نينا"، أشرقت عينا آندرو عندما رأى زوجته، "تبدين جميلة كالعادة".

جذبها إليه وعانقها مطوّلًا، فذابت بين ذراعيه، وتمسّكت بكتفيه بتملّك. عندما انفصلا، حدّقَت إليه قائلة: "لقد اشتقت إليك اليوم".

"أنا أكثر".

"لا، بل أنا أكثر".

يا إلهي، إلى متى سيناقشان من اشتاق إلى الآخر أكثر؟ أشحتُ بنظري وشغلتُ نفسي في المطبخ، فمن المحرج أن يكون الإنسان قريبًا من هذا الاستعراض العاطفي.

كانت نينا أوّل من ابتعدت وهي تقول: "إذًا، هل تتعرّفان على بعضكما؟".

قال آندرو: "نعم، وأيًّا يكن ما تحضّره ميلي فرائحته لا تصدّق، أليس كذلك؟".

ألقيتُ نظرة ورائي. كانت نينا تراقبني وأنا أقف عند الفرن بتعبير قاتم في عينيها الزرقاوين. من الواضح أنّها لا تحبّ مديح زوجها لي، مع أنّني لا أعرف ما المشكلة في ذلك، فهو مجنون بها.

وافقَته قائلة: "بالفعل".

ضحك آندرو، وأحاط خصرها بذراعه قائلًا: "نينا ميؤوس منها في المطبخ، سنموت جوعًا لو تُرك الأمر لها. اعتادت والدتي على إرسال وجبات تعدّها هي أو طاهيها الشخصي، ولكن منذ تقاعدهما هي وأبي في فلوريدا، أصبحنا نعيش في الغالب على الوجبات السريعة. لذا، أنت منقِذة يا ميلي".

ابتسمت نينا بتوتّر. كان يمازحها وحسب، ولكن ما من امرأة تحبّ أن تُقارَن سلبيًا بأخرى، وهو غبيّ إن كان يجهل ذلك؛ غير أنّ كثيرًا من الرجال أغبياء بالفعل.

قلت: "سيكون العشاء جاهزًا في غضون عشر دقائق تقريبًا، فلماذا لا تستريحان في غرفة المعيشة وسأناديكما عندما يصبح جاهزًا؟".

رفع حاجبيه متسائلًا: "هل ترغبين في الانضمام إلينا لتناول العشاء يا ميلي؟".

الشهقة الحادّة التي صدرت عن نينا ملأت المطبخ، وقبل أن تتمكّن من قول شيء، هززت رأسي بقوّة مجيبة: "كلّا، سأصعد إلى غرفتي للاسترخاء، ولكن شكرًا على الدعوة".

"أحقًّا؟ هل أنت واثقة؟".

صفعت نينا زوجها على ذراعه قائلة: "آندي، لقد كانت تعمل طوال اليوم، وهي لا تريد تناول العشاء مع مستخدميها. لا تريد سوى الصعود إلى الطابق العلوي ومراسلة أصدقائها. أليس كذلك يا ميلي؟".

"صحيح"، قلت ذلك على الرغم من أنّني لا أملك أصدقاء؛ على الأقلّ، ليس خارج قضبان السجن.

لم يبدُ على آندرو الاكتراث على أيّ حال. كان يحاول معاملتي بلياقة، غافلًا عن حقيقة أنّ نينا لا تريدني أن أجلس إلى مائدة العشاء، ولا بأس في ذلك، فأنا لا أرغب فعل شيء يُشعرها بالتهديد، بل أريد أن أبقي رأسي منخفضًا وأقوم بعملي.

الفصل 6

نسيت مدى روعة النوم وساقاي ممدودتان.

حسنًا، هذا السرير ليس مميّزًا؛ فراشه متكتّل ورفّاصاته تُصدر صوتًا كلّما تحرّكتُ ولو لملّيمتر واحد، ولكنّه أفضل بكثير من سيّارتي، والأفضل من ذلك، أنّني إذا أردت استخدام الحمّام أثناء الليل، فهو بجواري مباشرة، ولست بحاجة إلى القيادة لإيجاد حمّام عامّ وحمل رذاذ الدفاع عن النفس وأنا أفرغ مثانتي؛ لم أعد بحاجة إلى الرذاذ بعد الآن.

شعرتُ بالرضا للاستلقاء في سرير عادي لدرجة أنّني استغرقتُ في النوم ما إن وضعت رأسي على الوسادة.

عندما فتحت عينيّ مجدّدًا، كان الظلام لا يزال مخيّمًا. جلست مذعورة محاولة أن أتذكّر مكاني. كلّ ما أعرفه أنّني لست في سيّارتي، وقد استغرق الأمر بضع ثوانٍ حتّى عادت إليّ أحداث الأيّام الماضية: نينا تعرض عليّ وظيفة هنا، فأنتقل من سيّارتي، وأنام في سرير حقيقي.

تدريجيًّا، تباطأ تنفّسي.

تحسّست المنضدة المجاورة للسرير بحثًا عن الهاتف الذي اشترته لي نينا. كانت الساعة 3:46 فجرًا، وهذا ليس الوقت المناسب للاستيقاظ. دفعتُ الغطاء المسبّب للحكّة عن ساقيّ ونزلت عن السرير، بينما بدأت عيناي تتكيّفان مع ضوء

القمر المتسلّل من النافذة. سأذهب إلى الحمّام، ثمّ أحاول معاودة النوم.

صدر صرير عن ألواح الأرضية العارية لغرفة نومي الصغيرة عندما وقفتُ. فتثاءبت واستغرقت ثانية من الوقت إلى أن عثرتُ على الحبل الذي يُنير مصابيح السقف. أشعر في هذه الغرفة أنّني عملاقة.

وصلت إلى باب غرفتي وأمسكت بالمقبض و...

لم يتحرّك.

الذعر الذي استنزف جسدي عندما أدركت أين أنا تصاعد مرّة أخرى. كان الباب مقفلًا؛ لقد حبسني آل وينشستر في هذه الغرفة. لقد حبستني نينا في هذه الغرفة. ولكن لماذا؟ أهي لعبة قذرة؟ هل يبحثان عن محتالين سابقين لمحاصرتهم هنا، شخص لن يسأل عنه أحد؟ مرّرتُ أصابعي على خدوش الباب، وتساءلت مَن كانت آخر مسكينة حُبست هنا.

كنت أعلم أنّ ما أعيشه يصعب تصديقه، حتّى مع المطبخ بالغ القذارة، بدت هذه وظيفة الأحلام. لا شكّ في أنّ نينا تحقّقت من تاريخي، وسجنتني هنا على الأرجح ظنًّا منها أنّ أحدًا لن يسأل عنّي.

عدت بذكرياتي عشر سنوات إلى الوراء، إلى الليلة الأولى التي أُغلق فيها باب زنزانتي عليّ، وعرفت أنّ ذاك المكان سيكون منزلي لفترة طويلة قادمة. أقسمتُ لنفسي يومذاك إنّني إذا خرجت، فلن أسمح لنفسي بأن أحاصَر مرّة أخرى تحت أيّ ظرف من الظروف.

مع ذلك، مرّ أقلّ من عام على خروجي، وها أنا ذا هنا.

ولكنّني أملك هاتفًا، ويمكنني الاتّصال برقم الطوارئ.

تناولت هاتفي عن المنضدة حيث تركته. كانت فيه إشارة في وقت سابق من هذا اليوم، ولكنّها اختفت الآن؛ لا تغطية.

أنا عالقة هنا، مع نافذة صغيرة واحدة لا تُفتح وتطلّ على الفناء الخلفي.

ماذا سأفعل؟

مددت يدي إلى مقبض الباب مجدّدًا، وتساءلت ما إذا كان بإمكاني أن أخلعه بطريقة ما، لكن هذه المرّة، عندما أدرت المقبض بحدّة، تحرّك في يدي...

وفُتح الباب فجأة.

تعثّرتُ في الردهة وأنا ألهث. وقفت هناك للحظة، بينما كان قلبي يستعيد وتيرته الطبيعية. لم أكن سجينة في الغرفة في النهاية، ولم تقم نينا بحياكة مؤامرة جنونية لسجني هنا، بل كان الباب عالقًا وحسب.

غير أنّني لم أستطع التخلّص من ذاك الشعور المزعج الذي كان يحثّني على الخروج من هنا بينما ما زلت أستطيع ذلك.

الفصل 7

عندما نزلت الدرج في الصباح، كانت نينا تدمّر المطبخ بشكل منهجي.

كانت قد أخرجت كلّ القدور والمقالي من الخزانة أسفل المنضدة، وأنزلت نصف الأطباق من فوق الحوض، وكان العديد منها محطّمًا على الأرض. والآن انتقلت إلى البرّاد، وراحت ترمي الطعام بشكل عشوائي على الأرض. وقفتُ أشاهدها بدهشة وهي تُخرج حاوية كاملة من الحليب من البرّاد وتلقي بها على الأرض، فبدأ الحليب ينسكب على الفور مشكّلًا نهرًا أبيض حول الأواني والمقالي والأطباق المحطّمة.

قلت بتردّد: "نينا؟".

تجمّدت نينا، ووقفت حاملة بيديها قطعة بيغل. التفتت فجأة لتنظر إليّ وقالت: "أين هي؟".

"أين... أين ماذا؟".

"ملاحظاتي"، ثمّ أطلقت صرخة حزينة وأضافت: "لقد تركت كلّ ملاحظاتي لاجتماع المدرسة هذه الليلة على طاولة المطبخ، والآن اختفت. ماذا فعلتِ بها؟".

أوّلًا، لماذا تعتقد أنّ ملاحظاتها في البرّاد؟ ثانيًا، أنا متأكّدة من أنّني لم أرمِ ملاحظاتها. أعني، أنا متأكّدة بنسبة تسعة وتسعين بالمائة. هل ثمّة فرصة ضئيلة لوجود ورقة صغيرة مجعّدة على الطاولة افترضتُ أنّها قمامة وتخلّصتُ منها؟ نعم.

لا يمكنني استبعاد هذا الاحتمال، ولكنّني كنت حريصة جدًّا على عدم رمي أيّ شيء ليس قمامة، ولأكون منصفة، كان كلّ شيء تقريبًا مجرّد قمامة.

قلت: "لم أفعل بها شيئًا".

وضعت نينا يديها على وركيها قائلة: "إذًا، أنت تقولين إنّ ملاحظاتي اختفت من تلقاء نفسها؟".

"كلّا، لم أقل ذلك"، قمت بخطوة نحوها ودستُ بحذائي على طبق مكسور، فسجّلتُ في ذهني ملاحظة بعدم دخول المطبخ حافية القدمين بتاتًا، "ولكن، ربّما تركتِها في مكان آخر؟".

قالت بحدّة: "لم أفعل. لقد تركتها هنا"، وضربت براحة يدها على طاولة المطبخ بقوّة جعلتني أقفز مجفلة، "هنا تمامًا على هذه المنضدة. والآن... ليست موجودة. اختفت".

جذبت كلّ هذه الضجّة انتباه آندرو وينشستر، فدخل المطبخ مرتديًا بدلة داكنة جعلته يبدو أكثر وسامة ممّا كان عليه بالأمس، إن كان هذا ممكنًا. من الواضح أنّه كان يضع ربطة عنقه، ولكنّ أصابعه تجمّدت في منتصف العقدة عندما رأى الفوضى التي تعمّ الأرض.

"نينا؟".

استدارت نينا لتنظر إلى زوجها وعيناها تفيضان بالدموع قائلةً: "لقد رمت ميلي ملاحظاتي لاجتماع هذه الليلة".

فتحت فمي للاعتراض، لكن لا طائل من ذلك، فنينا متأكّدة من أنّني رميت ملاحظاتها، ومن الممكن تمامًا أن أكون قد فعلت. أعني، إذا كانت مهمّة لهذا الحدّ، فلماذا تتركها على طاولة المطبخ؟ فمع الفوضى التي كانت تعمّ المطبخ يوم أمس، من الممكن أن تخسرها حتمًا.

"هذا رهيب"، فتح آندرو ذراعيه فاندفعت نحوه، ثم سألها: "ولكن ألم تحفظي بعضًا منها على الكمبيوتر؟".

واصلت نينا بكاءها على سترته باهظة الثمن التي كانت تلوّثها بدموعها على الأرجح، ولكن لم يبدُ على آندرو الاكتراث، وأجابت: "بعضها، ولكن سيتعيّن عليّ إعادة تحضير جزء كبير منها".

بعد ذلك، التفتَت إليّ بنظرات اتّهام.

لقد سئمت من محاولة إثبات براءتي. إذا كانت واثقة من أنّني رميت ملاحظاتها، فمن الأفضل أن أعتذر بكل بساطة، فقلت: "أنا آسفة يا نينا. إذا كان ثمّة شيء يمكنني فعله...".

خفضت نينا نظرها إلى الكارثة على أرض المطبخ قائلة: "يمكنك تنظيف هذه الفوضى المقزّزة التي سبّبتِها في مطبخي بينما أعالج هذه المشكلة".

على ذلك، اختفت من المطبخ. تلاشى وقع أقدامها على الدرج وأنا أتأمّل كيف سأنظّف كلّ هذه الأطباق المحطّمة التي اختلطت الآن بالحليب المسكوب ونحو عشرين حبّة عنب تتدحرج على الأرض. دستُ على إحداها، فلوّثت أسفل حذائي.

بقي آندرو واقفًا في المطبخ يهزّ رأسه. بعد أن غادرت نينا، شعرتُ أنّه يجدر بي قول شيء، ولذلك قلت: "اسمع، لم أكن أنا من...".

قال قبل أن أسجّل اعتراضي: "أعلم. نينا... حادّة، ولكنّها تملك قلبًا طيّبًا".

"نعم...".

خلع سترته السوداء وبدأ يرفع كمّي قميصه الأبيض الناصع قائلًا: "دعيني أساعدك في التنظيف".

"لستَ مضطرًّا لذلك".

"سيكون العمل أسهل إذا تعاونّا".

توجّه بعد ذلك إلى خزانة قريبة من المطبخ وأخرج الممسحة، ففوجئتُ لمعرفته مكانها بالضبط. في الواقع، كان يعرف تمامًا مكان لوازم التنظيف، والآن فهمت كلّ شيء. لا شكّ في أنّ نينا قامت بأمور كهذه من قبل، واعتاد على التنظيف من ورائها.

مع ذلك، أنا أعمل هنا، وهذه وظيفتي.

"أنا سأنظّف"، وضعتُ يدي على الممسحة التي يحملها لأخذِها منه متابعةً: "أنت ترتدي ملابس العمل، وهذا ما أتيتُ أنا لفعله".

للحظة، ظلّ ممسكًا بالممسحة، ثمّ سمح لي أخيرًا بأخذها قائلًا: "حسنًا، شكرًا لك يا ميلي. أنا أقدّر عملك الشاقّ".

على الأقلّ، ثمّة من يفعل.

عندما انصرفتُ لتنظيف المطبخ، فكّرتُ في الصورة الموضوعة فوق المدفأة لآندرو ونينا عندما كانا معًا في الماضي، قبل زواجهما، وقبل إنجاب سيسيليا، فقد بدوَا شابّين جدًّا وفي غاية السعادة. من الواضح أنّ آندرو لا يزال مجنونًا بنينا، ولكنّ شيئًا ما قد تغيّر، يمكنني الشعور بذلك. لم تعد نينا المرأة التي كانت عليها.

ولكن لا يهمّ، فهذا ليس من شأني.

الفصل 8

لا شكّ في أنّ نينا ألقت نصف محتويات البرّاد على أرض المطبخ، لذلك تحتّم عليّ الذهاب إلى السوبرماركت اليوم، وبما أنّني مسؤولة كما يبدو عن الطهي أيضًا، فقد قمت باختيار بعض اللحوم النيئَة والتوابل التي يمكنني استخدامها لإعداد بعض الوجبات. قامت نينا بتحميل بطاقتها الائتمانية على هاتفي، وبذلك سُجّل كلّ ما اشتريته تلقائيًّا على حسابها.

في السجن، لم تكن خيارات الطعام مثيرة للاهتمام، حيث كانت القائمة تتناوب بين الدجاج، والهامبرغر، والهوت دوغ، واللازانيا، والبورّيتو، وفطيرة سمك كانت تسبّب لي الغثيان دائمًا، وكانوا أيضًا يقدّمون لنا خضارًا إلى جانبها يتمّ طهيها حتّى درجة التحلّل. اعتدت على تخيّل ما سآكله عندما أخرج، ولكن نظرًا لميزانيتي، لم تكن الخيارات أفضل بكثير. لم أستطع شراء سوى ما كان عليه حسومات، ومنذ أن بدأت أعيش في سيّارتي، أصبحت خياراتي محدودة أكثر.

أمّا التسوّق لآل وينشستر فكان مختلفًا. ذهبت مباشرة لاختيار أفضل شرائح اللحم، بعد أن أجريت بحثًا على يوتيوب حول كيفيّة طهيها. كنت أحضّر أحيانًا شرائح اللحم لوالدي، لكن مضى على ذلك زمن طويل، وبما أنّني أشتري الآن مكوّنات باهظة الثمن، فلا بدّ لي من تحضيرها كما ينبغي.

عندما عدت إلى منزل آل وينشستر، كنت أحمل أربعة أكياس مليئة بالمشتريات في صندوق سيّارتي. تحتلّ سيّارتا نينا وآندرو الموقفَين المتاحَين في المرأب، وكانت قد طلبت منّي عدم ركن سيّارتي في الممرّ المؤدّي إلى المنزل، لذلك تحتّم عليّ تركها في الشارع. بينما كنت أحاول إخراج الأكياس من الصندوق، خرج البستانيّ إنزو من المنزل المجاور حاملًا أداة بستنة مخيفةً نوعًا ما بيده اليمنى.

رآني وأنا أكافح مع الأكياس، وبعد لحظة تردّد، ركض إلى سيّارتي. عبس بوجهي قائلًا بلكنته الواضحة: "أنا أفعل".

بدأتُ بإخراج أحد الأكياس، لكنّه حمل الأربعة بين ذراعيه الضخمتين، وذهب بها إلى باب المنزل. أشار برأسه إلى الباب، وانتظر بصبر أن أفتحه، ففعلتُ ذلك بأسرع ما يمكن، نظرًا لأنّه يحمل ما يعادل خمسة وثلاثين كيلوغرامًا من المشتريات بين ذراعيه. مسح حذاءه على الدوّاسة، ثمّ حمل الأغراض إلى داخل المطبخ ووضعها على المنضدة.

قلت له: "غراسياس".

فلوى شفتيه مجيبًا: "كلّا، غراتْسييه".

كرّرت من بعده: "غراتْسييه".

وقف في المطبخ للحظة عاقدًا حاجبيه. لاحظت مجدّدًا كم أنّ إنزو وسيم، إلى حدّ غامض ومرعب. كان لديه وشمٌ على أعلى ذراعه، يغطّي القميص جزءًا منه، واستطعت أن أتبيّن اسم "أنطونيا" منقوشًا داخل قلب على عضلات ذراعه اليمنى. بإمكانه بهاتين الذراعين العضليتين أن يقتلني من دون جهد إذا ما طاب له ذلك، لكنّني لا أشعر أنّ هذا الرجل يريد إيذائي على الإطلاق، لا بل بدا مهتمًّا بسلامتي.

تذكّرتُ ما قاله لي قبل أن تقاطعنا نينا في ذلك اليوم. بيريكولو؛ *خطر*. ما الذي كان يحاول قوله لي؟ هل يعتقد أنّني في خطر هنا؟

ربّما يجب أن أقوم بتنزيل تطبيق للترجمة على هاتفي، وهكذا يمكنه أن يطبع ما يريد قوله لي و...

قاطع أفكاري ضجيج في الطابق العلوي. فأجفل إنزو وقال: "أنا ذاهب"، ثمّ استدار على عقبيه وتوجّه إلى الباب.

"ولكن..."، لحقتُ به، غير أنّه كان أسرع منّي بكثير، فخرج من الباب حتّى قبل أن أغادر المطبخ.

وقفت في غرفة المعيشة للحظة، محتارة بين إفراغ المشتريات واللحاق به، ولكن تمّ اتّخاذ القرار عنّي عندما هبطت نينا الدرج إلى غرفة المعيشة، مرتدية طقمًا أبيض. لا أعتقد أنّني رأيتها ترتدي شيئًا غير الأبيض، فهو يلائم شعرها، لكنّ الجهد المبذول في الحفاظ على نظافته يدفعني إلى الجنون. بالطبع، أنا التي ستهتمّ بالغسيل من الآن فصاعدًا، ولذلك سجّلت ملاحظة في ذهني لشراء مزيد من مواد التبييض في المرّة القادمة التي أخرج فيها لشراء اللوازم.

رأتني نينا أقف هناك، فارتفع حاجباها وصولًا إلى خطّ شعرها وقالت: "ميلي؟".

أجبرتُ نفسي على الابتسام مجيبة: "نعم".

"سمعت أصواتًا هنا، هل كان معك أحد".

"كلّا، على الإطلاق".

"لا يمكنك دعوة الغرباء إلى منزلنا"، عبست بي متابعة: "إذا كنت ترغبين في استقبال أيّ ضيوف، أتوقّع منك أن تطلبي الإذن وتعطينا إشعارًا قبل يومين على الأقلّ، وسأطلب منك أن تستقبليهم في غرفتك".

شرحت لها قائلة: "لم يكن سوى ذاك الشابّ البستانيّ. في الواقع، فقد ساعدني في نقل المشتريات إلى المنزل، هذا كلّ ما في الأمر".

توقّعتُ أن يُرضي التفسير نينا، ولكن عوضًا عن ذلك، تجهّم وجهها، وارتعشت عضلة تحت عينها اليمنى وقالت: "البستانيّ؟ إنزو؟ هل كان هنا؟".

"أممم"، فركتُ مؤخّر عنقي متابعة: "هل هذا اسمه؟ لا أدري. لقد قام بإدخال المشتريات إلى المنزل وحسب".

حدّقت نينا إلى وجهي وكأنّها تحاول كشف كذبة وقالت: "لا أريده أن يدخل هذا المنزل مجدّدًا، فهو قذر من عمله في الخارج. أنا أبذل جهدي للحفاظ على نظافة هذا المنزل".

لم أعرف بماذا أجيب. لقد مسح إنزو حذاءه قبل دخوله ولم يخلّف أيّ قذارة، وما من شيء يقارَن بالفوضى التي رأيتها عندما دخلت هذا المنزل أمس.

ضغطَت قائلة: "هل فهمت يا ميلي؟".

أجبت بسرعة: "نعم، فهمت".

جال نظرها عليّ بطريقة سبّبت لي عدم الارتياح، فنقلت وزني من قدم إلى أخرى وقالت: "بالمناسبة، لماذا لا تضعين نظّارتك أبدًا؟".

مرّرتُ أصابعي على وجهي مخاطبة نفسي: *لماذا وضعت تلك النظّارة التافهة في ذلك اليوم الأوّل؟ ما كان يجب أن أضعها، وعندما سألتني عنها يوم أمس، ما كان يجب أن أكذب.*

"أممم...".

قوّست حاجبيها قائلة: "مررت بحمّام العلّيّة ولم أرَ أيّ محلول للعدسات. لم أقصد التطفّل، ولكن إذا كنت ستقودين السيّارة مع طفلتي في وقت ما، أتوقّع أن يكون بصرك جيّدًا".

"صحيح..."، مسحتُ يديّ المتعرّقتين بسروالي. عليّ أن أوضح هذه المسألة، لذلك قلت: "في الواقع، أنا لا...". تنحنحت متابعةً: "أنا لا أحتاج حقًّا إلى تلك النظّارة. تلك التي وضعتها في مقابلتي كانت... إلى حدّ ما، من باب الزينة".

لعقت شفتيها قائلةً: "فهمت. إذًا، فقد كذبتِ عليّ".

"لم أكذب، وضعتُها كزينة وحسب".

"نعم"، أصبحت عيناها الزرقاوان كالجليد وأضافت: "ولكن عندما سألتك عنها لاحقًا قلتِ إنّك تضعين عدستين لاصقتين، أليس كذلك؟".

"أوه"، ضغطتُ قبضتيّ معًا وتابعت: "حسنًا، أعتقد... نعم، كذبت في تلك المرّة. أعتقد أنّني شعرت بالإحراج بشأن النظّارة... أنا آسفة حقًّا".

انخفضت زاويتا فمها وقالت: "من فضلك، لا تكذبي عليّ مرّة أخرى".

"لن أفعل، أنا آسفة".

حدّقت إليّ للحظة، ولم أستطع فهم نظرتها. بعد ذلك، ألقت نظرة حول غرفة المعيشة ومسحت بعينيها كلّ الأسطح ثم قالت: "ومن فضلك، نظّفي هذه الغرفة. أنا لا أدفع لك لقاء تمضية الوقت مع البستانيّ".

على ذلك، خرجت من الباب، وصفقته خلفها.

الفصل 9

كانت نينا في اجتماعها هذه الليلة؛ الاجتماع الذي دمّرتُه عندما رميت ملاحظاتها. من المفترض أن تتناول شيئًا مع بقيّة الأهالي، ولذلك كُلّفت بإعداد العشاء لآندرو وسيسيليا.

يكون المنزل أكثر هدوءًا بكثير في غياب نينا. لست واثقة من السبب، لكنّها تتمتّع بطاقة تملأ المكان بأكمله. حاليًّا، أنا وحدي في المطبخ، أقلّب شريحة لحم في المقلاة قبل وضعها في الفرن، ويخيّم صمت مطبق على منزل آل وينشستر. كان هذا جميلًا. حقًّا، لكان العمل أروع بكثير لولا مستخدمتي.

توقيت آندرو مثالي، فقد وصل إلى المنزل في اللحظة التي أخرجتُ فيها شرائح اللحم من الفرن وتركتها على منضدة المطبخ. أطلّ إلى المطبخ قائلًا: "رائحة رائعة، مجدّدًا".

"شكرًا"، أضفتُ مزيدًا من الملح إلى البطاطا المهروسة التي مزجتها أساسًا بالزبدة والقشدة، وقلت: "هل يمكنك أن تطلب من سيسيليا النزول؟ لقد ناديتها مرّتين ولكن..."، في الواقع، ناديتها ثلاث مرّات، ولم تجبني بعد.

أومأ آندرو قائلًا: "بالطبع".

سرعان ما اختفى آندرو في قاعة الطعام وناداها، فسمعت خطواتها السريعة على الدرج. *هكذا إذًا*.

جهّزت طبقين يحتويان على شريحة لحم، والبطاطا المهروسة مع بعض قطع البروكلي. كانت الحصص أصغر في طبق سيسيليا، ولن أصرّ على أن تأكل البروكلي. إذا أراد والدها أن تأكلها، فليجبرها هو على ذلك، ولكنّني سأكون مقصّرة إذا لم أضع الخضار في طبقها. في صغري، كانت والدتي تحرص دائمًا على وضع حصّة من الخضار في طبق العشاء.

أنا متأكّدة أنّها ما زالت تتساءل أين أخطأَت في تربيتي.

كانت سيسيليا ترتدي فستانًا آخر من فساتينها الفاخرة للغاية، وكان بلون فاتح وغير عمليّ. لم يسبق أن رأيتها من قبل بملابس الأطفال العادية، ويبدو لي ذلك خاطئًا ببساطة. فمن غير الممكن اللعب بتلك الفساتين لأنّها غير مريحة إطلاقًا وسريعة الاتّساخ. جلسَت على أحد المقاعد حول طاولة الطعام، وتناولت المنديل الذي وضعتُه، ثمّ مدّته على حجرها بلطف. للحظة، فُتنتُ بها قليلًا، ثمّ ما لبثت أن فتحت فمها.

"لماذا أعطيتني الماء؟"، كشّرت أمام كوب الماء الذي وضعته أمامها، "أنا أكره الماء. أحضري لي عصير تفّاح".

لو تحدّثتُ على هذا النحو مع أحد ما وأنا طفلة، لصفعتني والدتي على يدي وطلبت منّي أن أقول: "من فضلك"، لكنّ سيسيليا ليست ابنتي، ولم أتمكّن بعد من جعلها تحبّني خلال إقامتي هنا. لذلك ابتسمتُ بتهذيب، وأخذت الماء، ثمّ أحضرت لها كوبًا من عصير التفّاح.

عندما وضعتُ الكوب الجديد أمامها، تفحّصَته بعناية، ثم حملَته أمام الضوء وحدّقت إليه قائلةً: "هذا الكوب قذر، أحضري لي واحدًا آخر".

اعترضتُ قائلة: "إنّه ليس قذرًا، فقد أخرجته للتوّ من غسّالة الأطباق".

نظرت إليّ قائلة: "إنّه ملطّخ ولا أريده. أحضري لي واحدًا آخر".

أخذتُ نفسًا عميقًا. أنا لن أتشاجر مع هذه الفتاة الصغيرة. إذا أرادت كوبًا آخر لعصير التفّاح، فإنّني سأحضر لها واحدًا.

بينما كنت أحضر لسيسيليا كوبها الجديد، حضر آندرو إلى طاولة العشاء. كان قد نزع ربطة عنقه وفكّ الزرّ العلوي لقميصه الأبيض حيث ظهر بعض الشعر من فتحة قميصه، فأشحتُ بنظري.

ما زلت أتعلّم كيفيّة التعامل مع الرجال في حياتي بعد خروجي من السجن. وبكلمة "أتعلّم"، أعني بالطبع أنّني أتجنّبهم تمامًا. في وظيفتي الأخيرة كنادلة - الوظيفة الوحيدة التي شغلتها منذ خروجي - كان الزبائن يطلبون منّي حتمًا الخروج أحيانًا، وكنت أرفض دائمًا. فما من مكان لشيء كهذا الآن في حياتي التي تعمّها الفوضى. وبالطبع، لم يكن الرجال الذين طلبوا منّي الخروج برفقتهم من النوع الذي أريد أن يتقرّب منّي.

دخلتُ السجن عندما كنت في السابعة عشر من عمري، وفي تلك السنّ، كانت لديّ بعض العلاقات العابرة في الثانوية. خلال إقامتي في السجن، شعرت أحيانًا بالانجذاب إلى بعض الحرّاس الذكور الجذّابين، وفي بعض الأحيان، كان ذلك مؤلمًا. لذلك، فإنّ إمكانية إقامة علاقة مع رجل هي من الأمور التي كنت أتوق إليها عند خروجي. أنا أريد ذلك بالطبع،

ولكن ليس الآن، بل يومًا ما.

مع ذلك، عندما أنظر إلى رجل مثل آندرو وينشستر، أفكّر في حقيقة أنّني لم أعرف رجلًا منذ عقد من الزمن، ليس هكذا، على أيّ حال. فهو ليس مثل أولئك الرجال الذين يدخلون الأماكن التي اعتدت على العمل فيها كنادلة، ولدى التفكير في الأمر، أجد أنّه من نوع الرجال الذين أتطلّع إليهم، باستثناء أنّه متزوّج.

خطرت ببالي فكرة: إذا رغبت يومًا في التخلّص من بعض التوتّر، فقد يكون إنزو مرشّحًا جيّدًا. صحيح أنّه لا يتحدّث الإنكليزية، ولكن إن كانت مسألة ليلة واحدة، فلا أهمّية لذلك، فهو يبدو أنّه يعرف ما عليه أن يفعل من دون الحاجة إلى قول الكثير، وعلى عكس آندرو، فهو لا يضع خاتم زواج، مع أنّني أتساءل من تكون أنطونيا التي وشم اسمها على ذراعه.

انتزعت نفسي من تخيّلاتي بشأن البستانيّ الجذّاب وعدت إلى المطبخ لإحضار طبقَي الطعام. أشرقت عينا آندرو عندما رأى شريحة اللحم الطرّية والمشويّة على نحو مثالي. كنت فخورة حقًّا بما آل إليه طبق اليوم.

قال: "يبدو رائعًا يا ميلي".

"شكرًا".

نظرتُ إلى سيسيليا التي كان ردّ فعلها معاكسًا حيث قالت: "أوه. شرائح لحم؟"، كان ذلك بديهيًا على ما أظنّ.

قال لها آندرو: "شرائح اللحم لذيذة يا سيسي، عليك تجربتها".

نظرت سيسيليا إلى والدها ومن ثمّ إلى طبقها ودفعت شريحة اللحم بحذر بشوكتها، كما لو أنّها كانت تخشى أن تقفز من الطبق إلى فمها، وبدا تعبير الألم على وجهها.

قال آندرو: "سيسي...".

انتقل نظري بين سيسيليا وآندرو غير واثقة ممّا عليّ فعله. وفي تلك اللحظة، خطر ببالي أنّه ما كان يجدر بي ربّما تحضير شرائح اللحم لفتاة لا يتجاوز عمرها التسع سنوات، غير أنّني افترضت أنّها تتمتّع بذوق رفيع، كونها تعيش في مكان كهذا.

قلت: "أممم، هل عليّ أن...؟".

دفع آندرو كرسيّه إلى الخلف وتناول طبق سيسيليا عن الطاولة قائلًا: "حسنًا، سأعدّ لك قطع الدجاج".

لحقتُ بآندرو إلى المطبخ وأنا أعتذر باستفاضة، فاكتفى بالضحك قائلًا: "لا تقلقي بشأن ذلك، فسيسيليا مهووسة بالدجاج، ولا سيّما قطع الدجاج المقليّة. قد نكون أحيانًا في أفخم مطاعم لونغ آيلاند، ولا تطلب سوى قطع الدجاج".

استرخيت قليلًا وقلت: "ليس عليك القيام بذلك، يمكنني إعداد الدجاج لها".

وضع آندرو طبقها على منضدة المطبخ ولوّح بإصبعه في وجهي قائلًا: "أوه، ولكن أنا من سيحضّرها. إذا أردتِ العمل هنا، فأنت بحاجة إلى برنامج تعليميّ".

"حسنًا...".

فتح الثلّاجة وأخرج كيسًا ضخمًا من قطع الدجاج قائلًا: "انظري، هذه هي القطع التي تحبّها سيسيليا. لا تشتري أيّ ماركات أخرى، فأيّ شيء آخر غير مقبول".

فتح سحّاب الكيس، وأخرج إحدى القطع المجلّدة وأضاف: "أيضًا، يجب أن تكون على شكل ديناصور. ديناصور، هل فهمتِ؟".

لم أستطع كتم ابتسامتي وأجبت: "فهمت".

"أيضًا"، حمل قطعة الدجاج قائلًا: "عليك أوّلًا تفحّص القطعة بحثًا عن أيّ تشوّهات. رأس أو ساق أو ذيل مفقود. إذا كان الديناصور مصابًا بأيّ من هذه العيوب الخطيرة، فسيتمّ رفضه". الآن سحب طبقًا من الخزانة فوق الميكروويف ووضع خمس قطع كاملة في الطبق، ثم قال: "تحبّ سيسيليا تناول خمس قطع، تضعينها في الميكروويف لمدّة تسعين ثانية تمامًا. أقلّ من ذلك، تبقى مجلّدة، وأكثر من ذلك، تكون ناضجة أكثر من اللزوم؛ إنّه توازن دقيق للغاية".

أومأت برأسي بجدّية قائلةً: "فهمت".

بينما كانت قطع الدجاج تدور في الميكروويف، ألقى نظرة سريعة على المطبخ الذي كان على الأقلّ بضعفَي حجم الشقّة التي طُرِدْتُ منها وقال: "لا يمكنني إخبارك بالمبلغ الذي أنفقناه على تجديد هذا المطبخ، ومع ذلك لا تأكل سيسيليا أيّ شيء لا يخرج من الميكروويف".

كدت أن أقول "شقيّة مدلّلة"، ولكنّني أمسكت لساني وقلت: "إنّها تعرف ماذا تحبّ".

"بكلّ تأكيد"، عندما أصدر الميكروويف صفيرًا، أخرج طبق قطع الدجاج الساخنة سائلًا إيّاي: "ماذا عنك؟ ألم تأكلي بعد؟".

"سآخذ بعض الطعام إلى غرفتي".

رفع أحد حاجبيه متسائلًا: "ألا تريدين الانضمام إلينا؟".

جزء منّي أراد ذلك، فثمّة شيء جذّاب في آندرو وينشستر، وأشعر حقًّا برغبة في التعرّف عليه بشكل أفضل، لكن في الوقت نفسه، سيكون ذلك خاطئًا. لو دخلت نينا ورأتنا نضحك حول طاولة العشاء، فلن تحبّ ذلك. لديّ إحساس أيضًا أنّ سيسيليا لن تجعل الأمسية ممتعة.

قلت: "أفضّل أن أتناول الطعام في غرفتي".

بدا أنّه على وشك الاعتراض، لكن بعد التفكير في الأمر قال: "أنا آسف، لم يسبق أن كانت لدينا مساعِدة تعيش في المنزل من قبل، ولذلك لست متأكّدًا من آداب السلوك".

قلت: "وأنا أيضًا، ولكن لا أعتقد أنّ نينا سترحّب بفكرة جلوسي معكما إلى المائدة".

حبست أنفاسي متسائلة ما إذا كنت قد تجاوزت الحدّ بقول ما هو واضح، لكنّ آندرو اكتفى بهزّ رأسه موافقًا وقال: "أنت محقّة على الأرجح".

رفعت رأسي للنظر إلى عينيه قائلة: "على أيّ حال، شكرًا على البرنامج التعليمي حول كيفيّة إعداد قطع الدجاج".

ابتسم لي قائلًا: "أهلًا بك في أيّ وقت".

أخذ آندرو الطبق إلى غرفة الطعام، وبعد ذهابه، التهمتُ الطبق الذي رفضته سيسيليا وأنا واقفة أمام حوض الجلي، ثمّ عدت إلى غرفتي.

الفصل 10

بعد أسبوع، نزلت إلى غرفة المعيشة ووجدت نينا تحمل كيسَ قمامة مليئًا. كان أوّل ما تبادر إلى ذهني: *ربّاه! ما خطبها الآن؟*

بعد أسبوع واحد من العيش مع آل وينشستر، بتّ أشعر أنّني أعيش هنا منذ سنوات، لا بل منذ قرون. فمزاج نينا غير متوقّع بتاتًا. في لحظة، تراها تعانقني وتخبرني كم تقدّر وجودي هنا، وفي اللحظة التالية، توبّخني لعدم إنجازي مهمّة لم تطلب منّي حتّى القيام بها، فأقلّ ما يمكن أن يقال عنها إنّها متقلّبة. كما أنّ سيسيليا فتاة شقيّة، ومن الواضح أنّها مستاءة من وجودي هنا. لو كانت لديّ خيارات أخرى، لاستقلت حتمًا، لكن ليست لديّ خيارات أخرى، ولذلك لن أستقيل.

كان آندرو الفرد الوحيد في العائلة الذي يمكن احتماله، ومع أنّه لا يتواجد في المنزل كثيرًا، لكنّ تعاملاتي القليلة معه كانت... بلا حوادث. وفي هذه المرحلة، أصبح انعدام الحوادث مصدر بهجة بالنسبة إليّ. صدقًا، أشعر بالأسف أحيانًا على آندرو، إذ ليس بالأمر السهل أن يكون المرء متزوّجًا من نينا.

وقفت عند مدخل غرفة المعيشة محاولة أن أتبيّن ما الذي تفعله نينا بكيس القمامة. هل تريدني أن أفرز القمامة من الآن فصاعدًا بحسب الأحرف الأبجدية واللون والرائحة؟ هل اشتريت نوعًا غير مقبول من أكياس القمامة وعليّ الآن إعادة تعبئتها؟ لم أستطع حتّى أن أخمّن.

نادتني قائلة: "ميلي".

انقبضت معدتي. لديّ شعور أنّني على وشك أن أعرف ما تريد منّي فعله بالقمامة، فأجبتُ: "نعم".

لوّحت لي بيدها، فحاولت ألّا أمشي كمن يُقتاد إلى حبل المشنقة، لكنّ ذلك لم يكن سهلًا.

سألتها: "هل ثمّة خطب ما؟".

حملت نينا كيس القمامة ووضعته على أريكتها الجلدية الرائعة، فكشّرتُ وأردت تحذيرها من إلقاء القمامة على الجلد باهظ الثمن.

قالت: "لقد قمت للتوّ بفرز خزانتي، ومع الأسف، وجدت أنّ بعض الملابس ضاقت عليّ كثيرًا، ولذلك جمعتها في هذا الكيس. فهلّا أخذتِها إلى مركز تبرّعات؟".

أهذا كلّ شيء؟ لم يكن الأمر بهذا السوء، فقلت: "بالطبع، لا مشكلة".

"مهلًا..."، تراجعت نينا خطوة إلى الوراء، وجال نظرها عليّ، "كم مقاسك؟".

"أممم، ستّة؟".

أشرق وجهها وقالت: "أوه، ممتاز. كلّ هذه الفساتين بمقاس ستّة أو ثمانية".

ستّة أو ثمانية؟ لكن مقاس نينا لا يبدو أقلّ من أربعة عشر. لا بدّ أنّها لم تفرز خزانتها منذ مدّة.

"أوه...".

قالت: "عليك أخذها، فأنت لا تملكين أيّ ملابس جميلة".

انقبضتُ لدى سماعها، مع أنّها على حقّ، فأنا لا أملك ملابس جميلة. قلتُ: "لست متأكّدة ممّا إذا كان ينبغي ذلك...".

"بالطبع عليك أخذها"، دفعت الكيس باتّجاهي مضيفة: "ستبدو رائعة عليك، لن أقبل أن ترفضي".

قبلت الكيس منها وفتحته. وقع نظري على فستان أبيض صغير فمددت يدي وأخرجته. بدا باهظ الثمن على نحو لا يصدّق والقماش ناعمًا للغاية. إنّها على

حقّ، سيبدو هذا الثوب رائعًا عليّ، لا بل سيبدو رائعًا على أيّ امرأة، وإذا ما قرّرتُ الخروج والمواعدة مجدّدًا، فعليّ ارتداء بعض الملابس اللائقة، حتّى لو كانت كلّها بيضاء اللون.

وافقتُ قائلة: "حسنًا، شكرًا جزيلًا لك. هذا لطف بالغ من جانبك".

"لا داعي للشكر. أتمنّى أن تهنأي بها".

"وإذا ما قرّرتِ يومًا استعادتها، أخبريني من فضلك".

عندئذٍ، أرجعت رأسها إلى الخلف وانفجرت ضاحة، فاهتزّ ذقنها المزدوج قائلةً: "لا أعتقد أنّ مقاسي سيتراجع قريبًا، لا سيّما وأنّنا ننوي إنجاب طفل أنا وآندي".

فغرتُ فاهي دهشة، وسألتها: "هل أنت حامل؟".

لم أعرف ما إذا كان حمل نينا جيّدًا أم سيّئًا، على الرغم من أنّه قد يفسّر تقلّباتها المزاجية. لكنّها هزّت رأسها مجيبة: "ليس بعد. نحن نحاول منذ مدّة، ولكن لم يحالفنا الحظّ بعد. لكنّنا راغبان حقًّا في إنجاب طفل، وقد حصلنا على موعد لدى أخصّائي قريبًا. لذلك أعتقد أنّه في العام المقبل أو نحو ذلك، سيكون لدينا طفل صغير في المنزل".

لم أعرف بماذا أجيب لكنني قلت: "أممم... تهانينا".

ابتسمت لي قائلة: "شكرًا لك. على أيّ حال، أتمنّى أن تستمتعي بالملابس. أيضًا، لديّ شيء آخر لك"، بحثت في حقيبتها البيضاء وأخرجت مفتاحًا وقالت: "لقد أردتِ مفتاحًا لغرفتك، أليس كذلك؟".

"شكرًا". بعد تلك الليلة الأولى، عندما استيقظت في حالة رعب ظنًّا منّي أنّني حبيسة الغرفة، لم أفكّر كثيرًا في قِفل الباب. لاحظت أنّ الباب يعلق أحيانًا، لكن لا أحد يتسلّل إلى غرفتي ويحبسني هناك، علمًا أنّ المفتاح لن يساعد حقًّا لو كنت بالداخل. مع ذلك، دسست المفتاح في جيبي؛ فقد يكون من الحكمة إقفال الباب في غيابي، لا سيّما وأنّ نينا تبدو متطفّلة. بدا لي الوقت مناسبًا لطرح مسألة أخرى تؤرقني، فقلت: "ثمّة أمر آخر. النافذة في الغرفة لا تُفتح، تبدو كأنّها مثبّتة في مكانها".

"أحقًّا؟"، بدت نينا كأنّها تجد هذه المعلومة غير مثيرة للاهتمام حقًّا.

"إنّها تزيد من خطر الحريق على الأرجح".

نظرت إلى أظافرها وعبست وهي تلاحظ أنّ الطلاء الأبيض تقشّر في أحد المواضع ثم قالت: "لا أعتقد ذلك".

"حسنًا، لست واثقة، ولكن... أعني، يجب أن يكون ثمّة نافذة في الغرفة يمكن فتحها، أليس كذلك؟ فالجوّ يصبح خانقًا على نحو رهيب هناك".

الجوّ في العلّيّة ليس خانقًا في الواقع، لا بل العكس تمامًا، لكنّني سأقول ما يلزم قوله ليتمّ إصلاح تلك النافذة، فأنا أكره فكرة كون النافذة الوحيدة في الغرفة مغلقة تمامًا.

"إذًا، سأطلب من أحدهم إلقاء نظرة عليها"، قالت ذلك بطريقة جعلتني أعتقد أنّها لن تطلب من أحد إلقاء نظرة عليها، ولن يكون لديّ في الغرفة نافذة يمكن فتحها. نظرَت إلى كيس القمامة قائلة: "ميلي، يسعدني أن أعطيك ملابسي، ولكن من فضلك لا تتركي كيس القمامة ذاك في غرفة المعيشة. هذا ليس لائقًا".

"أوه، أنا آسفة".

ثمّ تنهّدَت كما لو أنّها لا تعرف ماذا تفعل بي.

الفصل 11

"ميلي!" بدا صوت نينا محمومًا من الطرف الآخر من الخطّ. "أريد منك أن تجلبي سيسيليا من المدرسة!".

كنت أحمل كومة من الغسيل بين ذراعيّ وهاتفي الخلوي بين كتفي وأذني. فأنا أحرص دائمًا على الإجابة على الفور عندما تتّصل نينا، بغضّ النظر عمّا أفعله، وإلّا فإنّها ستتّصل مرارًا وتكرارًا حتّى أجيب.

قلت: "بالتأكيد، سأفعل".

"أوه، شكرًا لك! أنت مُنقذة! أحضريها من أكاديمية وينتر عند الساعة 2:45! أنت رائعة يا ميلي!".

قبل أن أتمكّن من طرح أيّ أسئلة أخرى، كالمكان الذي يفترض بي أن أقابل سيسيليا فيه أو عنوان الأكاديمية، أغلقت نينا الخطّ. عندما أبعدتُ الهاتف عن أذني، نظرتُ إلى الساعة، وذُعرت عندما رأيت الوقت. لديّ أقلّ من خمس عشرة دقيقة لمعرفة مكان هذه المدرسة وإحضار ابنة مستخدمتي. أمّا الغسيل، فيمكنه الانتظار.

طبعت اسم المدرسة على غوغل وأنا أهبط الدرج، لكنّني لم أحصل على أيّ شيء. أقرب مدرسة بهذا الاسم موجودة في ويسكونسن، ومع أنّ نينا تطلب بعض الأمور الغريبة، إلّا أنّني أشكّ في أن تتوقّع منّي إحضار ابنتها من ويسكونسن في

غضون خمس عشرة دقيقة. أعدت الاتّصال بنينا، ولكن بطبيعة الحال، لم تجب، وكذلك الأمر بالنسبة إلى آندي عندما حاولت الاتّصال به.

عظيم.

بينما كنت أذرع المطبخ ذهابًا وإيابًا محاولة معرفة ما عليّ فعله تاليًا، لاحظتُ وجود ورقة معلّقة على البرّاد بمغناطيس. كان جدول عطل مدرسية، من أكاديمية وينزر.

غير أنّها قالت أكاديمية وينتر، أنا واثقة من ذلك. ألم تفعل؟

لم يكن لديّ الوقت للتساؤل عمّا إذا كانت نينا قد لفظت الاسم الخاطئ أم أنّها تجهل اسم المدرسة التي تتعلّم فيها ابنتها، والتي تشغل فيها أيضًا منصب رئيسة رابطة الآباء والمعلّمين. لحسن الحظّ، كان ثمّة عنوان على المنشور، ولذلك عرفتُ بالضبط إلى أين أذهب. ولم يكن لديّ سوى عشر دقائق للوصول إلى هناك.

تعيش عائلة وينشستر في مدينة تضمّ بعضًا من أفضل المدارس العامّة في البلاد، لكنّ سيسيليا ترتاد مدرسة خاصّة، لأنّها هذا أمر طبيعي. أكاديمية وينز عبارة عن مبنى أنيق وضخم يمتاز بكثير من الأعمدة العاجية والطوب البنّي الداكن واللبلاب الممتدّ على طول الجدران، بحيث شعرت وكأنّني أحضر سيسيليا من هوغوارتس أو من مكان غير واقعي كهذا. أمر آخر أتمنّى لو أنّ نينا حذّرتني بشأنه، ألا وهو وضع المواقف في ساعة انصراف الأطفال. لقد كان كابوسًا مطلقًا. تحتّم عليّ أن أقود سيّارتي لبضع دقائق بحثًا عن مكان أركنها فيه، إلى أن تمكّنت من حشرها بين مرسيدس ورولز رويس. وقد خشيت أن يعمد أحدهم إلى قطر سيّارتي المتهالكة من هناك من حيث المبدأ وحسب.

نظرًا لضيق الوقت الذي تحتّم عليّ الوصول فيه إلى المدرسة، كنت ألهث وأنا أهرول نحو المدخل. بطبيعة الحال، كان للمدرسة خمسة مداخل منفصلة. من أيّها ستخرج سيسيليا يا ترى؟ لم أجد أيّ إشارة إلى المكان الذي يجب أن أقف عنده. حاولت الاتّصال بنينا مجدّدًا، ولكنّها لم تجب أيضًا، بل تمّ تحويل المكالمة

إلى البريد الصوتي. أين هي؟ هذا ليس من شأني، ولكنّ المرأة لا تعمل وأنا من يقوم بكلّ الأعمال المنزلية. فما الذي تفعله إذًا؟

بعد سؤال عدد من الآباء المزعجين، تأكّدت من أنّ سيسيليا ستخرج من المدخل الأخير الواقع إلى يمين المدرسة. ولكن لمجرّد أنّني عازمة على عدم إفساد هذا الأمر، سألتُ امرأتين ترتديان ملابس أنيقة وتتحدّثان عند الباب: "هل هذا مخرج طلّاب الصفّ الرابع؟".

"نعم، هذا هو". رمقتني إحدى المرأتين من رأسي إلى أخمص قدميّ، وكانت الأنحف بينهما، امرأة سمراء ذات حاجبين مثاليين لم أر مثلهما في حياتي. "عمّن تبحثين؟".

انقبضتُ تحت نظرها. "سيسيليا وينشستر".

تبادلت المرأتان النظرات. قالت المرأة الأقصر قامة، ذاتُ الشعر الأحمر: "لا بدّ أنّك الخادمة الجديدة التي وظّفتها نينا".

صحّحتُ لها قائلة من دون أن أعرف السبب: "مدبّرة المنزل". بإمكان نينا أن تسمّيني كما تشاء.

ابتسمت السمراء ساخرة من تعليقي، ولكنّها لم تقل شيئًا. "إذًا، كيف يسير العمل هناك؟".

يبدو أنّها تبحث عن المشاكل. بالتوفيق إذًا، لن تحصل منّي على شيء. "إنّه عظيم".

تبادلت المرأتان النظرات مجدّدًا، ثمّ سألتني ذات الشعر الأحمر: "إذًا، نينا لا تقودك إلى الجنون؟".

سألتُها بحذر: "ما قصدك؟". أنا لا أريد استغابتها مع هاتين الثرثارتين، ولكن في الوقت نفسه، شعرت بالفضول بشأن نينا.

قالت السمراء: "نينا... شديدة التوتّر".

قالت ذات الشعر الأحمر: "نينا مجنونة، حرفيًا".

حبست أنفاسي. "ماذا؟".

وكزتها المرأة السمراء بقوّة جعلتها تشهق. "لا شيء، إنّها تمزح وحسب".

في تلك اللحظة، فُتحت بوّابة المدرسة وتوافد منها الأطفال. إن كانت ثمّة فرصة للحصول على مزيد من المعلومات من هاتين السيّدتين، فقد ضاعت عندما توجّهتا نحو أطفالهما من طلّاب الصفّ الرابع. لكنّني لم أستطع أن أكفّ عن التفكير في ما قالتاه.

رأيت شعر سيسيليا الأشقر الفاتح بالقرب من المدخل. مع أنّ معظم الأطفال الآخرين يرتدون الجينز والقمصان القطنية، إلّا أنّها كانت ترتدي فستانًا مخرّمًا آخر، هذه المرّة باللون الأخضر الباهت. برزَت بينهم مثل إبهام متقرّح، ولم تغب عن ناظري وأنا أتقدّم نحوها.

"سيسيليا!" لوّحتُ بذراعي بقوّة وأنا أقترب. "أنا هنا لاصطحابك!".

نظرَت إليّ كما لو أنّها تفضّل الركوب في صندوق شاحنة رجل ملتحٍ ومشرّد بدلًا من الذهاب معي إلى المنزل. هزّت رأسها وابتعدت عنّي.

قلت بحدّة أكبر: "سيسيليا! هيّا، لقد طلبت منّي والدتك إحضارك".

التفتت وألقت عليّ نظرة تقول بها إنّني مجرد غبية. "كلّا، غير ممكن. فوالدة صوفيا ستصطحبني إلى درس الكاراتيه".

قبل أن أتمكّن من الاعتراض، وصلت امرأة في العقد الرابع من عمرها ترتدي سروال يوغا وسترة قطنية، ووضعت يدها على كتف سيسيليا قائلة: "هل أنتنّ جاهزات يا فتيات؟".

نظرتُ إلى المرأة، ولم تبد لي خاطفة أطفال. لكن من الواضح أنّه ثمّة سوء تفاهم. لقد اتّصلت بي نينا وطلبت منّي إحضار سيسيليا، وكانت واضحة بهذا الشأن. حسنًا، باستثناء الجزء الذي أخبرتني فيه بالاسم الخاطئ للمدرسة. لكن بخلاف ذلك، كانت واضحة جدًّا.

قلتُ للمرأة: "المعذرة، أنا أعمل لدى آل وينشستر وقد طلبت منّي نينا إحضار سيسيليا اليوم".

قوّست المرأة أحد حاجبيها ووضعت يدها بأظافرها المطليّة حديثًا على وركها قائلة: "لا أظنّ ذلك. فأنا أصطحب سيسيليا كلّ يوم أربعاء مع الفتيات إلى درس الكاراتيه، ولم تذكر نينا أيّ تغيير في البرنامج. ربّما أسأتِ الفهم".

قلت بصوت مرتعش: "لم أفعل".

مدّت المرأة يدها إلى حقيبة من ماركة غوتشي وأخرجت هاتفها. "دعينا نوضح هذه المسألة مع نينا، ما رأيك؟".

شاهدتُ المرأة وهي تضغط على زرّ في هاتفها. نقرت بأظافرها الطويلة على حقيبتها وهي تنتظر أن تردّ نينا على الاتّصال. "مرحبًا، نينا؟ أنا راتشيل". صمتَت، ثمّ تابعت قائلة: "نعم، حسنًا، ثمّة فتاة تقول إنّك طلبتِ منها إحضار سيسيليا، لكنّني شرحتُ لها أنّني أصطحب سيسيليا إلى درس الكاراتيه كلّ أربعاء". تبع ذلك صمت طويل بينما كانت المرأة، راتشيل، تهزّ برأسها قائلة: "هذا صحيح، هذا ما قلته لها بالضبط. أنا سعيدة لأنّني تحقّقت". بعد صمت آخر، ضحكت راتشيل قائلة: "أعرف بالضبط ما تعنينه، من الصعب جدًّا إيجاد شخص جيّد".

لم يكن من الصعب تخيّل نهاية حديث نينا.

قالت راتشيل: "حسنًا، تمامًا كما ظننت، تقول نينا إنّك أسأتِ الفهم. لذا سأصطحب سيسيليا إلى الكاراتيه".

بعد ذلك، ولزيادة الطين بلّة، مدّت سيسيليا لسانها في وجهي. ولكن من الجانب الإيجابي، لم أعد مضطرّة لاصطحابها إلى المنزل.

أخرجتُ هاتفي بحثًا عن رسالة من نينا تلغي فيها طلب اصطحابي لسيسيليا، لكنّني لم أجد شيئًا. فأرسلتُ إليها رسالة:

ثمّة امرأة تدعى راتشيل تحدّثت معك للتوّ وقالت إنّك طلبت منها اصطحاب سيسيليا إلى الكاراتيه. هل أعود إلى المنزل إذًا؟

أتى ردّ نينا بعد ثانية:

نعم. لماذا بحقّ السماء ظننتِ أنّني أردت منك اصطحاب سيسيليا؟

لأنّك طلبت منّي ذلك! ارتعش فكّي، لكنّني لم أستسلم لغضبي. هكذا هي نينا. ثمّة كثير من الأمور الجيّدة في العمل عندها، (أو معها، هاه!) لكنّها متقلّبة المزاج قليلًا، وغريبة الأطوار أحيانًا.

نينا مجنونة، حرفيًا.

تذكّرت رغمًا عنّي كلام تلك الثرثارة ذات الشعر الأحمر. ماذا قصدت بذلك؟ هل نينا أكثر من مجرّد مستخدِمة غريبة الأطوار ومتطلّبة؟ هل ثمّة ما أجهله عنها؟

ربّما كان من الأفضل ألّا أعرف.

الفصل 12

مع أنّني استسلمت لفكرة الاهتمام بشؤوني الخاصّة وعدم التفكير في تاريخ صحّة نينا العقلية، إلّا أنّه لم يسعني إلّا التساؤل. فأنا أعمل لدى هذه المرأة، وأعيش معها.

ثمّة أمر آخر غريب في نينا. هذا الصباح مثلًا، بينما كنت أقوم بتنظيف الحمّام الرئيس، فكّرتُ أنّه ما من شخص يتمتّع بصحة ذهنية جيّدة يترك الحمّام بهذه الفوضى - المناشف على الأرض، ومعجون الأسنان في حوض المغسلة. أعلم أنّه من شأن الاكتئاب أحيانًا أن يقلّل من حافز الناس لتنظيف منازلهم، لكنّ نينا تحفز نفسها بما فيه الكفاية للخروج، يوميًّا تقريبًا، أيًّا يكن المكان الذي تقصده.

والأسوأ أنّني رأيت مناديل قذرة على الأرض منذ بضعة أيّام، الأمر الذي أشعرني بالغثيان.

بينما كنت أزيل معجون الأسنان وبقايا المكياج العالقة على المغسلة، سرح نظري إلى خزانة الأدوية. إذا كانت نينا "مجنونة"، فمن المحتمل أنّها تتعاطى دواء، أليس كذلك؟ ولكن لا يمكنني البحث في خزانة الأدوية، فمن شأن ذلك أن يعتبر انتهاكًا جسيمًا للثقة.

مع ذلك، لن يعرف أحد إذا استرقتُ نظرة، مجرّد نظرة سريعة.

نظرتُ إلى غرفة النوم، ولم أجد أحدًا هناك. فأطللت من باب الغرفة للتأكّد تمامًا. كنت بمفردي. عدت إلى الحمّام وبعد لحظة من التردّد، فتحتُ باب الخزانة.

أوه، كانت تحتوي على كثير من الأدوية.

حملتُ إحدى زجاجات الأقراص البرتقالية. كان اسم نينا وينشستر مكتوبًا عليها. قرأت اسم الدواء: هالوبيريدول، أيًّا يكن..

هممتُ بأخذ الزجاجة الثانية عندما تناهى إليّ صوت من الردهة: "ميلي؟ هل أنت هناك؟".

أوه كلّا.

أعدتُ الزجاجة إلى الخزانة على عجل، وأغلقتُها. كان قلبي ينبض بقوّة والعرق يتصبّب من راحتيّ. رسمتُ ابتسامة على وجهي في اللحظة التي اقتحمت فيها نينا غرفة النوم مرتدية قميصًا أبيض بلا أكمام وسروال جينز أبيض. توقّفَت في مكانها عندما رأتني في الحمّام.

سألتني: "ماذا تفعلين؟".

"أنا أنظّف الحمّام". ولا أفتّش خزانة أدويتك، طبعًا.

رمقتني للحظة، وشعرتُ أنّها ستتّهمني بتفتيش خزانة الأدوية. وبما أنّني كاذبة مريعة، من المؤكّد أنّها ستعرف الحقيقة. لكنّ نظرها انخفض إلى المغسلة.

سألتني: "كيف تنظّفين المغسلة؟".

"اممم". رفعتُ زجاجة الرذاذ التي أحملها بيدي. "أستعمل منظّف المغاسل هذا".

"أهو عضوي؟".

"أنا..." نظرتُ إلى العبوة التي اشتريتها من المتجر في الأسبوع الماضي. "كلّا، ليس كذلك".

بدت الخيبة على وجه نينا. "أنا أفضّل حقًّا موادّ التنظيف العضوية يا ميلي. فهي أقلّ احتواء على الموادّ الكيميائية، هل فهمت قصدي؟".

"صحيح..." لم أقل رأيي، وهو أنّني لا أعتقد أنّ امرأة تتناول هذا القدر من الأدوية تكترث لوجود بعض الكيميائات في منتج تنظيف. أعني، نعم، أنا أضعه في مغسلتها، ولكنّها لا تستهلكه، لن يدخل مجرى دمها.

قالت عابسة: "أنا أشعر... أنّك لا تجيدين تنظيف المغسلة. هل يمكنني مشاهدتك وأنت تقومين بذلك؟ أودّ أن أرى مكمن الخطأ".

تريد أن تشاهدني وأنا أنظّف مغسلتها؟ "حسنًا...".

رششت مزيدًا من المستحضر في مغسلتها، ثمّ فركتُ السطح إلى أن اختفت بقايا معجون الأسنان. أخيرًا، نظرتُ إلى نينا، التي أومأت برأسها بشرود.

قالت: "هذا جيّد. أعتقد أنّ السؤال الحقيقي هو كيف تنظّفين المغسلة في غيابي".

"اممم، بالطريقة نفسها؟".

"همم.. أشكّ في ذلك". نظرَت إلى الأعلى قائلة: "على أيّ حال، ليس لديّ الوقت للإشراف عليك وأنت تقومين بالتنظيف طوال اليوم. لذلك احرصي على إتمام عملك جيّدًا هذه المرّة".

تمتمتُ قائلة: "حسنًا، سأفعل".

خرجت نينا من غرفة النوم للذهاب إلى المنتجع الصحي، أو إلى مأدبة غداء مع أصدقائها، أو أيًّا يكن ما تفعله لملء وقتها، لأنّها لا تعمل. نظرتُ إلى المغسلة التي أصبحت نظيفة تمامًا الآن، وتملّكتني رغبة شديدة في غمس فرشاة أسنانها في المرحاض.

لن أغمس فرشاة أسنانها في المرحاض، لكنّني أخرجت هاتفي وطبعت كلمة "هالوبيريدول".

ملأت الشاشة عدّة نتائج. كان هالوبيريدول دواء مضادًّا للذهان، يستخدم لعلاج الفصام، والاضطراب ثنائي القطب، والهذيان، والاهتياج، والذهان الحادّ.

وكانت تلك واحدة من بين عشرة زجاجات على الأقلّ من الأقراص. الله أعلم بما يوجد هناك. تملّكني الخجل لأنّني تفحّصتُ محتويات الخزانة في المقام الأوّل، وكذلك الخوف ممّا قد أجده هناك.

الفصل 13

كنت منشغلة بتنظيف غرفة المعيشة عندما مرّ ظلّ بجوار النافذة.

ذهبت إلى النافذة، لأجد إنزو يعمل في الفناء الخلفي اليوم. بحسب ما رأيت، كان يناوب بين المنازل من يوم إلى آخر، ويقوم بمهام بستنة وتنسيق حدائق مختلفة. والآن، كان ينكش تراب بقعة مزروعة بالأزهار في الفناء الأمامي.

تناولتُ كأسًا فارغًا من المطبخ وملأته بالماء البارد، ثمّ توجّهت إلى الخارج.

لست واثقة تمامًا ممّا أردت تحقيقه هنا. ولكن بما أنّ تلك المرأتين قالتا عن نينا أنّها مجنونة ("حرفيًا")، لم يسعني التوقّف عن التفكير في الأمر. ثمّ وجدت ذاك الدواء المضادّ للذهان في خزانة حمّامها. بالطبع، لن أحكم على نينا لأنّها تعاني من مشاكل نفسية، فقد التقيت بنصيبي العادل من النساء اللواتي يعانين من الأمراض العقلية في السجن، ولكن سيكون من المفيد لي أن أعرف. حتّى إنّني قد أتمكّن من مساعدتها إذا ما فهمتها بشكل أفضل.

تذكّرتُ كيف بدا إنزو في أوّل يوم عمل لي وكأنّه يحذّرني من شيء ما. كانت نينا خارج المنزل، وآندرو في العمل، وسيسيليا في المدرسة، ولذلك بدا هذا الوقت مثاليًا لسؤاله. التعقيد الصغير الوحيد أنّه بالكاد يجيد كلمة إنكليزية.

ولكنّ ذلك لن يؤذي أحدًا، وأنا متأكّدة من أنّه يشعر بالعطش وسيقدّر كوبًا من الماء.

عندما خرجت، كان إنزو منشغلًا بصنع حفرة في الأرض. بدا أنّه يركّز بشدة على مهمّته، حتّى بعدما تنحنحتُ بقوّة مرّتين. أخيرًا، لوّحت بيدي قائلة: *"أُولا !"*

لا بدّ أنّها كانت كلمة إسبانية أخرى.

رفع إنزو نظره عن الحفرة التي يصنعها، وبدا تعبير تسلية على شفتيه وهو يقول: *"تشاو"*.

"تشاو"، صحّحتُ لنفسي وتعهّدت بتصحيح الأمر في المرّة القادمة.

كان ثمّة بقعة من العرق على قميصه، الذي التصق بجلده وأبرز كلّ عضلة من عضلاته. ولم تكن عضلات لاعب كمال أجسام، بل عضلات قوية لرجل يقوم بعمل يدوي لكسب لقمة العيش.

لذا، رحت أحدّق إليه. وماذا في ذلك.

تنحنحت مجدّدًا. "لقد أحضرت لك... الماء. كيف تقولونها...؟"

"آكوا".

أومأت برأسي بقوّة. "نعم، تلك هي".

حسنًا، إنّنا ننجح. فنحن نتواصل على نحو لا بأس به.

أتى إليّ إنزو وأخذ كوب الماء بامتنان. أفرغ نصفه في جرعة واحدة، ثمّ أطلق تنهيدة ومسح شفتيه بظاهر يده قائلًا: *"غراتسييه"*.

"على الرحب والسعة". ابتسمت له مضيفة: "إذًا، هل تعمل لدى آل وينشستر منذ مدّة طويلة؟" نظر إليّ من دون أن يفهم. "أعني، هل... تعمل هنا... من سنوات عديدة؟".

أخذ جرعة أخرى من الماء، مفرغًا ثلاثة أرباع الكوب تقريبًا. عندما يقضي عليه، سيعود إلى العمل، وأنا لا أملك كثيرًا من الوقت. قال أخيرًا: *"تري آني"*. ثمّ أضاف بلكنة ثقيلة: "ثلاث سنوات".

"أوه..." شددت على يديّ. "ونينا وينشستر... هل..."

عبس في وجهي، لكنّها لم تكن نظرة عدم فهم، بل بدا وكأنّه ينتظر لسماع ما أريد قوله. ربّما يفهم الإنكليزية أفضل ممّا يتحدّثها.

بدأتُ مجدّدًا: "هل... هل تعتقد أنّ نينا... أعني، ما رأيك بها؟".

ضاقت عيناه وهو ينظر إليّ. أخذ رشفة طويلة أخرى من كوب الماء، ثمّ دفعه إلى يدي مجدّدًا. ومن دون كلمة أخرى، عاد إلى الحفرة التي كان يصنعها، ثمّ تناول مجرفته، وعاود العمل.

فتحت فمي في محاولة أخرى، ثمّ ما لبثت أن أغلقته. عندما أتيت إلى هنا، حاول إنزو تحذيري من شيء ما، لكنّ نينا فتحت الباب قبل أن يتمكّن من قول شيء. أيًّا يكن ما يعرفه إنزو أو يفكّر فيه، فإنّه لن يخبرني به. ليس الآن على الأقلّ.

الفصل 14

كنت أعيش مع آل وينشستر منذ نحو ثلاثة أسابيع عندما ذهبتُ إلى أوّل اجتماع إطلاق سراح مشروط. انتظرت ليتمّ تحديده في يوم إجازتي، لأنّني لم أشأ أن يعرفا إلى أين سأذهب.

أنا ملتزمة بالاجتماعات الشهرية مع ضابطتي بام، وهي امرأة ممتلئة الجسم في منتصف العمر وذات فكّ قويّ. بعد خروجي مباشرة، كنت أعيش في سكن مدعوم من قبل السجن، لكن بعد أن ساعدتني بام في الحصول على وظيفة نادلة، غادرت السكن وحصلت على شقّة خاصّة بي. وبعد أن خسرت وظيفتي كنادلة، لم أخبر بام بذلك. كما أنّني لم أخبرها عن إخلائي لشقّتي. وخلال اجتماعنا الأخير منذ أكثر من شهر، كذبت بهذا الشأن.

يُعتبر الكذب على ضابط الإفراج المشروط انتهاكًا للإفراج المشروط. كما أنّ عدم امتلاك سكن والعيش في سيّارة يعدّ أيضًا انتهاكًا للإفراج المشروط. أنا لا أحبّ الكذب، لكنّني لم أرغب في ان يتمّ إلغاء الإفراج المشروط وأعود إلى السجن لقضاء السنوات الخمس الأخيرة من عقوبتي. لم أستطع السماح بحدوث ذلك.

إلّا أنّ الأمور تغيّرت الآن. يمكنني أن أكون صادقة مع بام اليوم، صادقة تقريبًا.

على الرغم من أنّ ذاك النهار كان ربيعيًا منعشًا، إلّا أنّ مكتب بام بدا حارًّا جدًّا. خلال نصف العام، يكون مكتبها أشبه بساونا، وخلال النصف الآخر تكون حرارته تحت الصفر، أي ما من حلّ وسط. كانت لديها نافذة صغيرة مفتوحة، ومروحة تنفخ عشرات الأوراق حول مكتبها. الأمر الذي حتّم عليها إبقاء يديها عليها لمنعها من التطاير.

"ميلي". ابتسمت لي عندما دخلت. كانت لطيفة وتبدو أنّها ترغب في مساعدتي حقًّا، الأمر الذي جعلني أشعر بالسوء حيال كذبي عليها. "تسرّني رؤيتك! كيف حالك؟".

جلست على أحد الكراسي الخشبية أمام مكتبها مجيبة: "عظيم". كانت كذبة إلى حدّ ما، ولكنّ أموري بخير، جيّدة بما فيه الكفاية. "لا شيء للإبلاغ عنه".

بحثت بام بين الأوراق الموضوعة على مكتبها. "لقد تلقّيتُ رسالتك حول تغيير العنوان. أنت تعملين لدى عائلة في لونغ آيلاند كمدبّرة منزل؟".

"هذا صحيح".

"ألم تعجبك الوظيفة في مطعم تشارلي؟".

عضضت على شفتي. "ليس حقًّا".

كان ذلك من الأمور التي كذبت فيها. فقد أخبرتها أنّني أنا من تركت العمل في مطعم تشارلي، في حين أنّني طُردت في الواقع، ولم يكن ذلك لسبب عادل تمامًا.

من حسن حظّي أنّهم طردوني بهدوء من دون تدخّل الشرطة. فقد كان ذلك جزءًا من الصفقة - أذهب بهدوء من دون تدخّل الشرطة. لم يكن لديّ كثير من الخيارات. فلو أبلغوا الشرطة بما حدث، لعدت إلى السجن.

لذلك لم أخبر بام أنّني طُردت، لأنّني لو فعلت، لاتّصلت بهم لمعرفة السبب. وعندما خسرت شقّتي بعد ذلك، لم أستطع إخبارها أيضًا.

لكنّ أموري بخير الآن. لديّ وظيفة جديدة ومكان أعيش فيه. ولم أعد معرّضة لخطر العودة إلى السجن. في آخر موعد لي مع بام، جلست على حافة مقعدي. أمّا الآن، فأنا أشعر بالارتياح التامّ.

قالت بام: "أنا فخورة بك يا ميلي. في بعض الأحيان، يصعب على الناس التكيّف إن كانوا قد دخلوا السجن منذ سنّ المراهقة، لكنّك أبليت بلاءً حسنًا".

"شكرًا لك". كلّا، بالتأكيد لا ضرورة لأن تعرف شيئًا عن ذلك الشهر الذي عشت فيه في سيّارتي.

سألتني: "كيف هي الوظيفة الجديدة؟ كيف يعاملونك؟".

فركتُ ركبتي مجيبة: "اممم... إنّها جيّدة. المرأة التي أعمل لديها... غريبة الأطوار بعض الشيء. لكنّني أقوم بالتنظيف وحسب، ما من مشكلة في ذلك".

أمر آخر كذبتُ فيه قليلًا. فأنا لا أريد إخبارها أنّ نينا وينشستر تسبّب لي شعورًا متعاظمًا بعدم الارتياح. كنت قد بحثت على الإنترنت لمعرفة ما إذا كان لديها أيّ سجلّات إجرامية، لكن لم يظهر شيء، ولم أدفع المال للتحقّق الفعلي من خلفيّتها. على أيّ حال، نينا ثرية بما يكفي للحفاظ على نظافة سمعتها.

قالت بام: "حسنًا، هذا عظيم. وكيف هي حياتك الاجتماعية؟".

عمليًّا، هذه ليست ناحية يُفترض بضابط الإفراج المشروط البحث فيها، لكنّنا أصبحنا أنا وبام ودودتين، ولذلك لم أمانع. "معدومة".

رمت رأسها إلى الخلف وانفجرت ضاحكة بحيث رأيت حشوة لامعة في مؤخّر فمها. "أتفهّم ألّا تشعري بالاستعداد للمواعدة بعد. ولكن يجب أن تحاولي تكوين بعض الصداقات يا ميلي".

"نعم" قلت ذلك، مع أنّني لم أكن أعني ذلك.

قالت: "وعندما تبدأين بالمواعدة، لا تكتفي بأيّ شخص. لا تواعيدي مغفّلًا لمجرّد أنّك سجينة سابقة. أنت تستحقّين رجلًا يعاملك كما ينبغي".

"امم..."

للحظة، تركت نفسي أفكّر في إمكانية مواعدة رجل في المستقبل. أغمضت عينيّ محاولة تخيّل ما قد يبدو عليه. ومن دون تفكير، ملأت صورة آندرو وينشستر رأسي، بسحره وابتسامته الجميلة.

فتحت عينيّ على الفور. أوه كلّا، مستحيل. لا يمكنني حتّى التفكير في ذلك.

أضافت بام: "كما أنّك جميلة، ولذلك لا يجب أن تتنازلي".

كدت أضحك بصوت عالٍ. فأنا أفعل ما في وسعي لأبدو غير جذّابة قدر الإمكان. أرتدي ملابس فضفاضة، وأجمع شعري على شكل كعكة أو ذيل حصان، ولا أستخدم ولو قدرًا قليل من مساحيق التجميل. مع ذلك، ما زالت نينا تنظر إليّ وكأنّني مصّاصة دماء.

قلت: "أنا لست مستعدّة للتفكير في ذلك بعد".

قالت بام: "لا بأس. لكن تذكّري أنّ امتلاك وظيفة ومأوى أمر مهمّ، لكنّ الروابط البشرية أكثر أهمّية".

قد تكون على حقّ، لكنّني لست مستعدّة لذلك الآن، عليّ التركيز على الحفاظ على نظافة سمعتي. فآخر ما أريده هو العودة إلى السجن. هذا كلّ ما يهمّ.

***

أجد صعوبة في النوم ليلًا.

ففي السجن، لا يمكن للمرء أن ينام نومًا عميقًا، خشية حدوث أشياء من حوله من دون علمه. والآن وقد خرجت، لم أستطع التخلّص من هذه العادة. عندما حصلت على سرير حقيقي للمرّة الأولى، تمكّنت من النوم جيّدًا لفترة من الوقت. ولكن الآن، عاد إليّ أرقي القديم وبقوّة، لا سيّما وأنّ غرفة نومي خانقة على نحو لا يطاق.

تمّ إيداع راتبي الأوّل في حسابي المصرفي، وعندما تُتاح لي الفرصة، سأخرج لشراء تلفاز أضعه في غرفة نومي. إذا قمت بتشغيل التلفاز، فقد أتمكّن من الاستسلام للنوم. ذلك أنّ الأصوات ستكون شبيهة بضوضاء الليل في السجن.

حتّى الآن، تردّدت في استخدام تلفاز آل وينشستر. وأنا لا أتحدّث بالطبع عن مسرحهم المنزلي الضخم، بل عن تلفازهم "العادي" في غرفة المعيشة. فأنا لا أعتقد أنّه ثمّة مشكلة في ذلك، نظرًا لأنّ نينا وآندرو يخلدان إلى النوم باكرًا، في روتين ثابت كلّ ليلة. تصعد نينا إلى الطابق العلوي لوضع سيسيليا في الفراش عند الساعة 8:30. وأسمعها وهي تقرأ لها قصّة قبل النوم، ثمّ تغنّي لها. كلّ ليلة تغنّي لها الأغنية نفسها: *في مكان ما فوق قوس قزح* (Somewhere Over the Rainbow) من فيلم *ساحر أوز*. لا يبدو أنّ نينا تلقّت أيّ تدريب صوتي، ولكن ثمّة شيء جميل على نحو غريب ومخيف في الطريقة التي تغنّي بها لسيسيليا.

بعد أن تنام سيسيليا، تذهب نينا للقراءة أو مشاهدة التلفاز في غرفة النوم. وما يلبث أن يتبعها آندرو إلى الطابق العلوي بعد فترة وجيزة. بالتالي، إذا نزلتُ بعد الساعة العاشرة، يكون الطابق الأوّل فارغًا تمامًا.

وهذا ما قرّرتُ فعله هذه الليلة بالذات.

لهذا السبب، كنت جالسة باسترخاء على الأريكة أشاهد حلقة من برنامج *نزاع عائلي*. كانت الساعة الواحدة صباحًا تقريبًا، ولذلك بدا المستوى العالي من الطاقة لدى المتسابقين غريبًا تقريبًا. راح ستيف هارفي يمازحهم، وعلى الرغم من تعبي، ضحكت بصوت عالٍ عندما نهض أحد المتسابقين لإظهار مهاراته في الرقص. كنت أشاهد البرنامج في صغري، ولطالما حلمتُ بالمشاركة فيه بنفسي. من كنت لأدعو معي يا ترى؟ أنا ووالداي ثلاثة، من أيضًا؟

"هل تشاهدين *نزاع عائلي*؟".

رفعتُ رأسي مجفلة. على الرغم من أنّ الوقت تجاوز منتصف الليل، إلّا أنّني وجدت آندرو وينشستر واقفًا ورائي، بكامل نشاطه، تمامًا كالأشخاص الذين

أشاهدهم على التلفاز.

تبًّا، عرفت أنّه كان يجدر بي البقاء في غرفتي.

قلت: "أوه! أنا، أوه... أنا آسفة. لم أقصد...".

قوّس حاجبيه. "علام تتأسّفين؟ أنت تعيشين هنا أيضًا. لك كلّ الحقّ في مشاهدة التلفاز".

أخذت وسادة من على الأريكة لإخفاء السروال الرياضي القصير الذي أنام فيه. "كنت أنوي شراء جهاز لغرفتي".

"لا بأس من استخدام تلفازنا يا ميلي. لا بل قد لا يكون الإرسال جيّدًا في غرفتك أساسًا". تألّق بياض عينيه في ضوء التلفاز. "لن أمكث هنا طويلًا، فقد أتيت لأخذ كوب من الماء وحسب".

جلست على الأريكة، واحتضنت الوسادة وأنا أناقش في نفسي ما إذا كان ينبغي عليّ الصعود إلى الطابق العلوي. من المستحيل أن أنام الآن لأنّ قلبي ينبض بسرعة. بما أنّه أتى لشرب الماء وحسب، فربّما يمكنني البقاء. شاهدته وهو يدخل المطبخ، وسمعت صنبور الماء يُفتح.

عاد إلى غرفة المعيشة، وهو يشرب من كوبه. عندئذٍ لاحظت أنّه لا يرتدي سوى قميص داخلي أبيض وسروال تحتيّ. على الأقلّ، لم يكن عاري الصدر.

"هل صببتَ الماء من الصنبور؟". لم أستطع أن أقاوم السؤال.

ارتمى بجانبي على الأريكة، مع أنّني تمنّيت لو لم يفعل. "ماذا تعنين؟".

سيكون من الوقاحة أن أنهض الآن، لذلك انكمشت على نفسي قدر الإمكان. فآخر ما أحتاج إليه أن ترانا نينا ونحن جالسان بارتياح على الأريكة بملابسنا الداخلية. "أعني أنّك لم تستخدم المياه المكرّرة من البرّاد".

ضحك مجيبًا: "لا أدري، لطالما شربتُ الماء من الصنبور. أهو سامّ؟".

"لا أعلم، لكن أعتقد أنّه يحتوي على مواد كيميائية".

مرّر يده عبر شعره الأسود مشعّثًا إيّاه قليلًا. "أشعر بالجوع لسبب ما. هل بقي طعام من العشاء في البرّاد؟".

"كلّا، أنا آسفة".

مرّر يده على بطنه قائلًا: "هل ستكون قلّة لياقة منّي إذا أكلت بعض زبدة الفول السوداني مباشرة من المرطبان؟".

انقبضتُ لدى ذكر زبدة الفول السوداني. "ما دمت لا تأكل أمام سيسيليا".

أمال رأسه متسائلا: "لماذا؟".

"أنت تعلم، لأنّها تعاني من التحسّس". لا يبدو عليهما حقًّا أنّهما يوليان أيّ احترام لتحسّس سيسيليا القاتل تجاه الفول السوداني.

دُهشت أكثر عندما ضحك آندرو. "كلّا، هي لا تعاني من التحسّس".

"بلى، هي أخبرتني بذلك، في أوّل يوم أتيت فيه إلى هنا".

"أعتقد أنّني كنت سأعرف لو كانت ابنتي تعاني من التحسّس تجاه الفول السوداني". ضحك ساخرًا وأضاف: "على أيّ حال، هل تعتقدين أنّنا سنحتفظ بمرطبان كبير منه في الخزانة لو كانت تتحسّس تجاهه؟".

هذا بالضبط ما فكّرت فيه عندما أخبرتني سيسيليا عن حالتها. هل اختلقت ذلك فقط لتعذيبي؟ لن أستغرب. لكن نينا أكّدت هي أيضًا أنّ سيسيليا تعاني من التحسّس. ما الذي يجري هنا؟ غير أنّ كلام آندرو كان أكثر منطقية: حقيقة وجود مرطبان كبير من زبدة الفول السوداني في خزانة المطبخ خير دليل على أنّ أحدًا هنا لا يعاني من حساسية قاتلة تجاهه.

قال آندرو: "التوت".

عبستُ قائلة: "لا أعتقد أنّه ثمّة توت في البرّاد".

"كلّا". أشار برأسه إلى شاشة التلفاز، وكان المشاركون قد دخلوا الجولة الثانية. "قاموا باختبار على مائة شخص وطلبوا منهم تسمية فاكهة يمكن وضعها بكاملها في الفم".

كان جواب المتسابق على الشاشة التوت، وكانت الإجابة رقم واحد. حرّك آندرو قبضته في الهواء قائلًا: "أرأيت؟ لقد عرفت. سأبلي حسنًا في هذا البرنامج".

"الإجابة الأولى هي دائمًا الأسهل. لكنّ الأصعب معرفة الإجابات الأكثر غموضًا".

ابتسم لي قائلًا: "حسنًا، بما أنّك بهذا الذكاء، أعطني اسم فاكهة يمكن وضعها في الفم بالكامل".

"امم..." ربّتُّ بإصبعي على ذقني مجيبة: "العنب".

وبالفعل، أجاب المتسابق التالي "العنب"، وكانت الإجابة صحيحة.

قال: "حسنًا، أنت أيضًا ماهرة في ذلك. إذًا، ماذا عن الفراولة؟".

"لا بدّ أنّها موجودة، على الرغم من أنّك قد لا ترغب في وضع حبّة فراولة كاملة في فمك بسبب الساق وما إلى ذلك".

ذكر المتسابقون الفراولة والكرز، ولكنّهم توقّفوا عند الإجابة الأخيرة. انفجر آندرو ضاحكًا عندما قال أحدهم درّاق.

صاح قائلًا: "درّاق! من يضع حبّة درّاق كاملة في فمه؟ من شأنها أن تكسر الفكّ!".

قهقهت قائلة: "تبقى أفضل من البطّيخ".

"لا شكّ أنّ هذا هو الجواب! أنا واثق من ذلك".

تبيّن أنّ الإجابة الأخيرة هي البرقوق. هزّ آندرو رأسه قائلًا: "لا أعرف. أودّ أن أرى صورة للمتسابقين وهم يضعون حبّة برقوق كاملة في أفواههم".

قلت: "يجب أن يكون ذلك جزءًا من البرنامج. يمكن الاستماع إلى مئات الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع والحصول على الأساس المنطقي وراء إجاباتهم".

قال: "عليك أن تراسلي البرنامج وتقترحي عليهم ذلك، وبذلك تحدثين ثورة في البرنامج بأكمله".

ضحكتُ مجدّدًا. عندما قابلت آندرو للمرّة الأولى، ظننته رجلًا ثريًا مملًّا، لكنّه ليس كذلك على الإطلاق. شخصية نينا تتناسب مع وضعها، أمّا آندرو، فهو لطيف. رجل متواضع للغاية، ومرِح. ويبدو حقًّا أبًا جيّدًا لسيسيليا.

في الواقع، أشعر ببعض الأسف تجاهه أحيانًا.

مع أنّه لا يجدر بي ذلك، فنينا مديرتي. إنّها تعطيني راتبًا ومكانًا أعيش فيه، ويجب أن يكون ولائي لها. لكن في الوقت نفسه، أجدها مريعة. فهي فوضويّة، تخبرني دائمًا بمعلومات متضاربة، وبإمكانها أن تكون قاسية على نحو لا يصدّق. حتّى إنزو، الذي يزن ربّما مائة كيلوغرامًا من العضلات، يبدو أنّه يخشاها.

بالطبع، ما كنت لأشعر بهذه الطريقة لو لم يكن آندرو جذّابًا إلى حدّ لا يصدّق. فمع أنّني أجلس بعيدة عنه قدر الإمكان من دون أن أسقط عن طرف الأريكة، إلّا أنّني لم أستطع مقاومة التفكير في أنّه يرتدي سروالًا قصيرًا في هذه اللحظة، وقميصه الداخلي رقيق بحيث يمكنني أن أتبيّن بعض خطوط عضلاته الملفتة للغاية. حتمًا هو لا يستحقّ امرأة مثل نينا.

تساءلت ما إذا كان يعرف ذلك.

ما إن بدأت أسترخي وأشعر بالسعادة لأنّ آندرو انضمّ إليّ هنا، حتّى اقتحم صوت أفكاري: "يا سلام، على أيّ نكتة تضحكان أنتما الاثنان؟".

التفتُّ فورًا إلى الخلف. كانت نينا تقف عند أسفل الدرج، وتحدّق إلينا. عندما تنتعل أحذيتها عالية الكعبين، يمكنني سماعها وهي تقترب من مسافة ميل، ولكن من المدهش كم أنّ وقع خطواتها خفيف بقدميها الحافيتين. كانت ترتدي ثوب نوم أبيض يصل إلى كاحليها بينما طوت ذراعيها على صدرها.

نهض آندرو عن الأريكة وهو يتثاءب. "نينا، لماذا لا تزالين مستيقظة حتّى الآن؟".

كانت نينا تحدّق إلينا، بحيث لم أفهم لمَ لا يشعر بالذعر في هذه اللحظة، بينما أنا على وشك أن أنهار. غير أنّه بدا مرتاحًا تمامًا مع حقيقة أنّ زوجته قبضت علينا

نحن الاثنان بمفردنا في غرفة المعيشة عند الساعة الواحدة صباحًا، وكلانا بملابس النوم. هذا لا يعني أنّنا كنّا نفعل شيئًا، لكن مع ذلك...

ردّت نينا: "بإمكاني أن أطرح عليكما السؤال نفسه، يبدو أنّكما تمضيان وقتًا ممتعًا. ما السبب؟".

رفع آندرو كتفه بخفّة: "أتيتُ لإحضار بعض الماء ووجدت ميلي تشاهد التلفاز. فتابعتُ القليل من برنامج *نزاع عائلي*".

حوّلَت نينا انتباهها إليّ. "ميلي، لماذا لا تجلبين تلفازًا إلى غرفتك؟ فهذه غرفة العائلة".

أجبت بسرعة: "أنا آسفة، كنت أنوي شراء تلفاز قريبًا".

رفع آندرو أحد حاجبيه باستغراب: "مهلًا، وما الخطأ في أن تشاهد ميلي التلفاز عندما لا يكون ثمّة أحد هنا؟".

"ولكن أنت هنا".

"وهي لا تزعجني".

حدّقت إليه نينا وسألته: "ألم يكن لديك اجتماع في الصباح الباكر؟ هل يعقل أن تبقى مستيقظًا وتشاهد التلفاز عند الواحدة صباحًا؟".

ابتلع نفسًا، بينما حبستُ أنفاسي آملة لدقيقة أن يقف في وجهها. ولكن ما لبث أن خفض كتفيه مجيبًا: "أنت على حقّ يا نينا. من الأفضل أن أذهب للنوم".

وقفت نينا هناك طاوية ذراعيها على صدرها، وهي تراقب آندرو يصعد الدرج، كما لو كان طفلًا ترسله من دون عشاء. من المقلق رؤية مدى غيرتها.

نهضت عن الأريكة أنا الأخرى وأطفأت التلفاز. كانت نينا لا تزال واقفة عند الدرج، تجول بنظرها فوق سروالي القصير وقميصي الرقيق. لاحظتُ مجدّدًا مدى سوء ذلك الموقف، لكنّني ظننت أنّني سأكون بمفردي هنا.

قالت نينا: "ميلي، في المستقبل، أتوقّع منك ارتداء ملابس لائقة عندما تتجوّلين في المنزل".

أجبتها على الفور: "أنا آسفة جدًّا، لم أعتقد أنّني سأجد أحدًا مستيقظًا".

ضحكت ساخرة: "حقًّا؟ وهل تتجوّلين في منزل الغرباء في منتصف الليل لأنّك تفترضين أنّه ما من أحد في المكان؟".

لم أعرف بماذا أجيب. فهذا ليس منزل شخص غريب، بل أنا أعيش هنا، وإن يكن في العلّية. "كلّا..."

"من فضلك، ابقي في العلّية بعد وقت النوم، فبقيّة المنزل لعائلتي. هل فهمتِ؟".

"فهمت".

هزّت رأسها. "صدقًا، لست متأكّدة حتّى من مدى حاجتنا إلى خادمة. ربّما كانت غلطة...".

أوه كلّا. هل ستطردني عند الواحدة صباحًا لأنّني كنت أشاهد التلفاز في غرفة معيشتها؟ هذا لا يعقل. وما من فرصة أن تعطيني نينا توصية جيّدة للتقدّم لوظيفة أخرى. فهي تبدو أقرب إلى ذاك النوع من الأشخاص الذين سيتّصلون بكلّ صاحب عمل محتمل لإخباره بمدى كرهها لي.

عليّ إصلاح هذا الوضع.

غرزتُ أظافري في راحة يدي قائلة: "اسمعي يا نينا، لم يحدث شيء بيني وبين آندرو..."

ألقت برأسها إلى الخلف وانفجرت ضاحكة. كان صوتًا مزعجًا، يتراوح بين الضحك والبكاء. "أهذا ما تعتقدين أنّني أخشاه؟ آندرو وأنا توأم روح. لدينا طفلة وقريبًا سننجب طفلًا آخر. هل تعتقدين أنّني أخشى أن يخاطر زوجي بكلّ ما في حياته من أجل خادمة تعيش في العلّية؟".

ازدردت ريقي نادمة، فقد جعلتُ الأمور أسوأ بكثير. "كلّا، لن يفعل".

"بالطبع لن يفعل". نظرت إلى عينيّ قائلة: "وإيّاك أن تنسي ذلك".

وقفتُ هناك من دون أن أعرف ماذا أقول. أخيرًا، أومأت برأسها باتّجاه الطاولة قائلة: "نظّفي هذه الفوضى الآن".

على ذلك، استدارت وعادت إلى الطابق العلوي.

لم يكن ثمّة فوضى حقًّا، بل مجرّد كوب الماء الذي تركه آندرو وراءه. كان خدّاي يحترقان ذلًّا وأنا أمشي إلى الطاولة وآخذ الكوب. صُفق باب غرفة النوم في الطابق العلوي، ونظرتُ إلى الكأس بيدي.

وقبل أن أتمكّن من منع نفسي، رميته على الأرض.

تحطّم الزجاج وتناثر في كلّ مكان. تراجعت خطوة إلى الوراء، فدخلت شظيّة في قدمي.

يا إلهي، كان ذلك غباء منّي.

نظرتُ إلى الفوضى التي أحدثتها على الأرض. عليّ تنظيفها، كما عليّ إيجاد حذاء لكي لا يدخل مزيد من الزجاج في قدمَيّ. أخذت نفسًا عميقًا محاولة إبطاء وتيره قلبي. سأكنس الزجاج، وسيكون كلّ شيء على ما يرام. لن تعرف نينا أبدًا.

ولكن عليّ أن أكون أكثر حذرًا في المستقبل.

الفصل 15

عصر هذا السبت، ستقيم نينا استقبالًا صغيرًا لمنتسبات إلى رابطة الآباء والمعلّمين في فناء منزلها الخلفي. سيجتمعن للتخطيط لشيء يسمّى "اليوم الميداني"، وفيه سيلعب الأطفال في أحد الميادين لبضع ساعات، ولسبب ما يستغرق الأمر أشهرًا من التخطيط تحضيرًا لذلك. كانت نينا تتحدّث عن ذلك من دون توقّف مؤخّرًا. وقد راسلتني ما لا يقلّ عن اثنتي عشرة مرّة لتذكيري بإحضار المقبّلات التي ستقدّمها.

بدأت أشعر بالتوتّر لأنّ المنزل كان كعادته في فوضى عارمة عندما استيقظتُ هذا الصباح. لا أعرف كيف يصبح هذا المنزل بهذه الحالة. هل يعالج دواء نينا نوعًا من الاضطراب الذي تستيقظ فيه ليلًا وتثير الفوضى في المنزل؟

لا أعرف كيف تصبح الحمّامات بهذه الحالة بين عشية وضحاها، على سبيل المثال. فعندما أدخل حمّامها لتنظيفه في الصباح، أجد ما لا يقل عن ثلاثة أو أربعة مناشف مبلّلة تمامًا على الأرض. كما أجد معجون أسنان في المغسلة وأضطرّ لحفّه لإزالته. لدى نينا نفور من إلقاء ملابسها في سلّة الغسيل، لذلك يستغرق منّي الأمر عشر دقائق لأجمع مختلف ملابسها الداخلية، وجواربها، إلخ. حمدًا لله، آندرو أفضل منها على هذا الصعيد، ويضع ملابسه في سلّة الغسيل مباشرة. ثمّة أيضًا الملابس التي تحتاج إلى التنظيف الجافّ، وهي كثيرة. ونينا لا تفرّق بين الاثنين،

وحاشى أن أتّخذ قرارًا خاطئًا بشأن ما يوضع في الغسّالة وما يحتاج إلى التنظيف الجافّ. فخطأ كهذا يُعتبر جريمة تستحقّ الإعدام.

الأمر الآخر كان أغلفة الطعام. فأنا أجد أغلفة سكاكر محشوّة في كلّ شق تقريبًا في غرفة نومها وحمّامها. وأفترض أنّ هذا ما يفسّر سبب زيادة وزنها بمقدار يزيد عن عشرين كيلوغرامًا عمّا كانت عليه في الصور هي وآندرو في بداية حياتهما معًا.

عندما انتهيت من تنظيف المنزل من أعلاه إلى أسفله، وأرسلت الغسيل الذي يحتاج إلى التنظيف الجافّ، وأنهيت الغسيل والكيّ، كان الوقت قد بدأ ينفد. ستصل النساء في غضون ساعة، وما زلت لم أنجز جميع المهامّ التي كلّفتني بها نينا، بما في ذلك إحضار المقبّلات. لن تتفهّم إذا ما حاولت أن أشرح لها ذلك. وبما أنّها كانت على وشك طردي في الأسبوع الماضي عندما رأتني أشاهد التلفاز مع آندرو، فليس بإمكاني ارتكاب أيّ أخطاء. عليّ أن أحرص على أن يكون هذا الاستقبال مثاليًا.

خرجتُ بعد ذلك إلى الحديقة الخلفية. كانت حديقة آل وينشستر الخلفية من أجمل الأماكن في الحيّ. فقد أحسن إنزو العناية بها، وشذّب السياج بدقّة شديدة، كما لو أنّه استخدم المسطرة. انتشرت الأزهار على حواف الحديقة، ممّا أضفى عليها بعض الألوان. وكان العشب خصبًا وأخضر نضرًا، بحيث أغراني بالاستلقاء عليه، والتلويح بذراعيّ لرسم جناحين حولي فوق العشب.

ولكن من الواضح أنّهم لا يمضون كثيرًا من الوقت هنا، لأنّ جميع أثاث الحديقة كان مكسوًّا بطبقة سميكة من الغبار. كان كلّ شيء مكسوًّا بطبقة سميكة من الغبار.

يا إلهي، ليس لديّ الوقت لإنجاز كلّ شيء.

"ميلي؟ هل أنت بخير؟".

كان آندرو واقفًا ورائي، بقميص قطني أزرق وسروال كاكي. بطريقة ما، بدا أفضل ممّا هو عليه في بدلة باهظة الثمن.

تمتمتُ مجيبة: "أنا بخير". لا يجدر بي حتّى التحدّث معه.

قال: "يبدو أنّك على وشك البكاء".

مسحت عينيّ بظاهر يدي. "أنا بخير، كلّ ما في الأمر أنّه ثمّة كثير من العمل لإنجازه من أجل هذا الاجتماع".

"أوه، هذا لا يستحقّ البكاء". قطّب جبينه مضيفًا: "لن تشعر نساء رابطة الآباء والمعلّمين بالرضا أبدًا، بغضّ النظر عمّا تفعلينه. فجميعهنّ مريعات".

لم يشعرني كلامه بأيّ تحسّن.

"اسمعي، ربّما لديّ..." مدّ يده إلى جيبه وأخرج منديلًا مغضّنًا. "لا أصدّق أنّه لديّ منديل في جيبي، ولكن تفضّلي".

رسمتُ ابتسامة على وجهي وأنا آخذ منه المنديل. وبينما كنت أمسح أنفي، اشتممت رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يستخدمه آندرو.

قال: "والآن، كيف يمكنني المساعدة؟".

هززت برأسي مجيبة: "لا بأس، سأهتمّ بالأمر".

"أنت تبكين". وضع أحد قدميه على الكرسيّ القذر. "صدقًا، أنا لست عديم الفائدة تمامًا، أخبريني فقط ماذا تريدين منّي أن أفعل". عندما تردّدت أضاف: "اسمعي، كلانا نريد أن تكون نينا سعيدة، صحيح؟ هكذا تجعلينها سعيدة. ولن تكون سعيدة إذا ما فشل هذا الاجتماع".

تمتمت مجيبة: "حسنًا، ستقدّم لي مساعدة كبيرة إذا أحضرتَ الوجبات الخفيفة".

"تمام".

شعرت كأنّ ثقلًا هائلًا رُفع عن كتفيّ. كنت سأحتاج إلى عشرين دقيقة للوصول إلى المتجر لأخذ المقبّلات، وعشرين دقيقة أخرى للعودة. ولن يتبقّى لديّ سوى خمس عشرة دقيقة لتنظيف أثاث هذا الفناء القذر. فهل يعقل أن تجلس نينا على أحد هذه الكراسي بملابسها البيضاء؟

قلت: شكرًا لك، أنا أقدّر ذلك كثيرًا، حقًّا".

ابتسم لي. "حقًّا؟".

"بالتأكيد".

اقتحمت سيسيليا الفناء الخلفي في تلك اللحظة، مرتدية فستانًا ورديًا بتخريج أبيض. مثل والدتها، كان هندامها في غاية الترتيب. قالت: "أبي".

حوّل نظره إلى سيسيليا. "ما الأمر، سيسي؟".

"الكمبيوتر لا يعمل، ولا يمكنني إنجاز فروضي. هل تستطيع إصلاحه؟".

"بكلّ تأكيد". وضع يده على كتفها مجيبًا: "ولكن أوّلًا، سنذهب في رحلة صغيرة وستكون ممتعة للغاية".

نظرَت إليه بتشكّك، إلّا أنّه تجاهل نظرتها وقال: "اذهبي وانتعلي حذاءك".

لاستغرق منّي الأمر نصف يوم لإقناع سيسيليا بانتعال حذائها، لكنّها أطاعت والدها على الفور وعادت إلى المنزل لتنفيذ طلبه. سيسيليا لطيفة حقًّا ما لم أكن أنا المسؤولة عنها.

علّقتُ قائلة: "أنت تجيد التعامل معها".

"شكرًا".

"وهي تشبهك".

هزّ آندرو رأسه نافيًا. "ليس حقًّا، بل تشبه نينا".

"لا بل تشبهك. لديها لون نينا وشعرها، ولكنّها أنفها مثل أنفك".

قال وهو يعبث بحافة قميصه. "سيسيليا ليست ابنتي البيولوجية، لذلك فإنّ أيّ تشابه بيننا ليس سوى من قبيل الصدفة في الواقع".

تبًّا، أنا لا أجيد إمساك لساني. "أوه، لم أكن أعرف..."

"لا بأس". بقي نظر عينيه البنّيتين على الباب الخلفي للمنزل، بانتظار عودة سيسيليا. "عندما التقينا أنا ونينا، كانت سيسيليا طفلة. لذلك أنا الأب الوحيد الذي عرفَته، وأنا أعتبرها ابنتي".

"بالطبع". ازداد تقديري لآندرو وينشستر بضع مستويات. فهو لا يليق أن يكون عارض أزياء وحسب، بل هو متزوّج من امرأة لديها طفلة أساسًا، وقام بتربية هذه الطفلة كما لو كانت طفلته. "كما قلت، أنت تجيد معاملتها".

"أنا أحبّ الأطفال حقًّا... أتمنّى لو كان لدينا عشرة منهم".

بدا كأنّه على وشك إضافة شيء، لكنّه ضغط على شفتيه. تذكّرت ما قالته لي نينا قبل أسابيع عن أنّهما يحاولان إنجاب طفل. أتساءل ما إذا كان الحظّ قد حالفهما منذ ذلك الحين. ولكن من النظرة الحزينة في عينيّ آندرو، أعتقد أنّ الإجابة سلبية.

مع ذلك، متأكّدة من أنّ نينا ستتمكّن من الحمل إذا كان هذا ما يريدانه. ففي النهاية، لديهما كلّ الموارد اللازمة لذلك. على أي حال، هذا ليس من شأني.

الفصل 16

مكتبة
t.me/soramnqraa

يمكنني القول بكلّ ثقة إنّني أكره كلّ امرأة حضرت اجتماع رابطة الآباء والمعلمين.

كنَّ أربعة، بمن فيهنّ نينا. وقد حفظت أسماءهنّ، جيليان (جيلي آن) وباتريس وسوزان (يجب عدم الخلط بينها وبين جيليان). والسبب في أنّني حفظت أسماءهنّ أنّ نينا لم تسمح لي بمغادرة الفناء الخلفي، بل جعلتني أقف في الزاوية في حالة تأهّب تامّ، في حال احتجن لشيء ما.

على الأقلّ، كانت المقبّلات ناجحة، ولم تعرف نينا أنّ آندرو هو الذي أحضرها عنّي.

نقرت سوزان بقلمها على ذقنها قائلة: "أنا لست راضية عن قائمة طعام اليوم الميداني". كنت قد سمعت نينا تشير إلى سوزان من قبل باعتبارها "صديقتها المفضّلة"، ولكن كما يبدو لي، لم تكن نينا مقرّبة من أيّ من صديقاتها المزعومات. "أشعر أنّه يجب تضمينها مزيدًا من الخيارات الخالية من الغلوتين".

قالت جيليان: "أنا أوافقك، وعلى الرغم من وجود خيار نباتي، إلّا أنّه ليس نباتيًا وخاليًا من الغلوتين في آن. إذًا ماذا يفترض بالناس الذين يعتمدون نظامًا غذائيًا نباتيًا وخاليًا من الغلوتين أن يأكلوا؟".

لستُ أدري، العشب ربّما؟ بصراحة، لم يسبق لي أن رأيت نساء أكثر منهنّ هوسًا بالغلوتين. فكلّما أحضرتُ شيئًا من المقبّلات، سألتني كلّ منهنّ عن مقدار الغلوتين الموجود فيه، كما لو أنّني أملك أدنى فكرة عن ذلك. أساسًا، ما هو الغلوتين؟

كان يومًا شديد الحرارة، وكنت مستعدّة لإعطاء أيّ شيء للعودة إلى المنزل بهوائه المكيّف. تبًّا، أنا مستعدّة لإعطاء أيّ شيء لأشرب كوبًا من عصير الليمون الوردي الفوّار الذي تشربه أولئك النساء. كنت أمسح العرق عن جبهتي كلّما تأكّدت أنّهنّ لا ينظرن إليّ. وأخشى أن تكون قد ظهرت بقعتان تحت إبطَيّ.

علّقت باتريس قائلة وهي تمضغ طعامها: "هذا الخبز المحشوّ بجبن الماعز والتوت كان ينبغي تسخينه. إنّه بالكاد دافئ".

أجابت نينا بأسف: "أعلم. طلبت من خادمتي أن تهتمّ بذلك، لكن كما تعلمين، من الصعب إيجاد مساعِدة جيّدة".

فغرتُ فاهي دهشة. لم تكن قد طلبت منّي شيئًا من هذا القبيل. أيضًا، هل تدرك أنّني واقفة هنا؟

أومأت جيليان بتعاطف: "أوه، هذا صحيح، لم يعد بالإمكان إيجاد موظّفة جيّدة. أخلاقيات العمل في هذا البلد مروّعة. تتساءلين لماذا لا يجد هؤلاء الأشخاص وظائف أفضل؟ إنّه الكسل، بكلّ بساطة".

أضافت سوزان: "إمّا هذا أو توظّفين شخصًا أجنبيًا بالكاد يتحدّث لغتك، مثل إنزو".

ضحكت باتريس معلّقة: "لكنّه يسرّ النظر على الأقلّ!".

ضحكت بقيّة النساء، على الرغم من أنّ نينا لزمت الصمت على نحو غريب. أفترض أنّه ليس عليها التعبير عن إعجابها بالبستاني الجذّاب عندما تكون متزوّجة من آندرو، وأنا لا أستطيع لومها على ذلك. يبدو أيضًا أنّها تكنّ لإنزو حقدًا غريبًا.

شعرتُ بالرغبة في قول شيء بعد الطريقة التي تحدّثن بها عنّي على نحو سيّئ من وراء... حسنًا، لا يمكنني القول من وراء ظهري لأنّني واقفة هنا، كما ذكرت.

ولكن عليّ أن أوضح لهنّ أنّني لست أميركية كسولة. لقد عملت بجدّ في هذه الوظيفة ولم أتذمّر مرّة واحدة.

تنحنحت قائلة: "نينا، هل تريدين منّي تسخين المعجّنات؟".

التفتت نينا إليّ وومضت عيناها على نحو جعلني أتراجع خطوة إلى الوراء. قالت بهدوء: "ميلي، نحن نتحدّث هنا. لا تقاطعينا من فضلك، فهذه وقاحة".

"أوه، أنا-"

أضافت: "أيضًا، أكون شاكرة لو أنّك لا تناديني نينا، فأنا لست رفيقتك". ابتسمَت للأخريات قائلة: "أنا السيّدة وينشستر، لا أريد تذكيرك بذلك مرّة أخرى".

حدّقتُ إليها بدهشة تامّة. في اليوم الأوّل الذي قابلتها فيه، طلبَت منّي مناداتها نينا. وكنت أناديها نينا طوال الوقت منذ ذلك الحين، ولم تعترض يومًا. والآن تتصرّف كما لو أنّني أتجاوز حدودي. مكتبة سُر مَن قرأ

الأسوأ من ذلك أنّ النساء الأخريات تتصرّفن كما لو أنّ نينا بطلة لأنّها وضعتني عند حدّي. إذ انطلقت باتريس تروي قصّة عن المرأة التي تعمل لديها والتي تجرّأت على إخبارها كيف مات كلبها. قالت باتريس: "لا أريد أن أكون لئيمة، ولكن ما دخلي إذا مات كلب خوانيتا؟ لم تكفّ عن التحدّث عنه، صدقًا".

"مع ذلك، نحن نحتاج إلى المساعدة". ألقت نينا قطعة من المعجّنات التي لم تعجب السيّدات في فمها. كنت أراقبها، وقد أكلت نصفها تقريبًا بينما كانت بقيّة النساء يأكلن كالعصافير. "لا سيّما حين ننجب طفلًا آخر أنا وآندرو".

شهقت بقيّة النساء بحماسة، وهتفت سوزان: "نينا، هل أنت حامل؟".

قالت جيليان بانتصار: "عرفت أنّك تأكلين خمسة أضعاف ما نأكله نحن البقيّة لسبب ما!".

رمقتها نينا شزرًا، وأمسكتُ نفسي لكي لا أضحك. "أنا لست حاملًا بعد، لكنّنا نزور أنا وآندي أخصّائي خصوبة من المفترض أن يكون ماهرًا. أؤكّد لكنّ أنّه سيكون لدينا طفل بحلول نهاية العام".

وضعت باتريس يدها على كتف نينا: "هذا عظيم. أعلم أنّكما كنتما راغبَين في طفل آخر منذ مدّة طويلة. وآندرو أب عظيم".

أومأت نينا برأسها، وللحظة، بدت عيناها رطبتين. تنحنحَت قائلة: "المعذرة أيّتها السيّدات، سأعود حالًا".

اندفعت نينا إلى داخل المنزل، ولم أعرف ما إذا كان ينبغي أن أتبعها. من المحتمل أن تكون ذاهبة إلى الحمّام أو شيء من هذا القبيل. بالطبع، قد تكون هذه إحدى مسؤوليّاتي - أن أتبع نينا إلى الحمّام لكي أجفّف يديها أو أشطف المرحاض أو ما إلى ذلك.

بمجرّد رحيل نينا، بدأت النساء الأخريات يضحكن بصوت خافت. قالت جيليان: "ربّاه! كان ذلك محرجًا للغاية! لا أصدّق ما قلتُه. ظننت حقًّا أنّها حامل! أعني، ألا تبدو حاملًا؟".

وافقتها باتريس قائلة: "ستصبح كالفيل، إنّها بحاجة ماسّة إلى أخصّائية تغذية ومدرّب شخصي. وهل لاحظَت أيّ منكنّ أنّ جذور شعرها بدأت تظهر؟".

أومأت المرأتان الأخريان بالموافقة. مع أنّني لا أشارك في هذا الحديث، إلّا أنّني لاحظت أنا أيضًا جذور شعر نينا. في اليوم الذي أجريت فيه مقابلة معها، بدا شعرها بحالة ممتازة. أمّا الآن، فلديها سنتيمتر من الجذور الداكنة التي بدأت تظهر. ويدهشني أنّها تركت الأمور تسوء إلى هذا الحدّ".

قالت باتريس: "مثلًا، كنت سأشعر بالإحراج من التجوّل بهذا الشكل. كيف تتوقّع أن تحافظ على زوجها الجذّاب؟".

أضافت سوزان: "لا سيّما وأنّني سمعت أنّها وقّعت على اتّفاقية محكمة لما قبل الزواج. وإذا وقع طلاق، فلن تحصل عمليًا على أيّ شيء، ولا حتّى على نفقة للطفلة، لأنّه كما تعلمان، لم يتبنَّ سيسيليا قطّ".

هتفت باتريس: "اتّفاقية قبل الزواج! ما خطب نينا؟ كيف توقّع على شيء كهذا؟ من الأفضل إذًا أن تبذل كلّ ما في وسعها لإرضائه".

قالت جيليان: "حسنًا، لن أكون الشخص الذي سيخبرها أنّها بحاجة إلى اتّباع حمية غذائية! يا إلهي، أنا لا أريدها أن تعود إلى تلك المصحّة العقلية. فكما تعلمان، نينا ليست طبيعية تمامًا".

كتمتُ شهقة. كنت آمل عندما سمعتُ تلميح النساء الأخريات في المدرسة إلى جنون نينا، أن يكون القصد أنّها مجرّد ثرية مهووسة. ويجوز أن تكون قد زارت معالجًا نفسيًا وتتناول بعض المهدّئات بين الحين والآخر أيضًا. ولكن يبدو أنّها تجاوزت ذلك المستوى. فبحسب كلام تلك الثرثارات النمّامات، كانت المرأة في مؤسّسة للأمراض النفسية، وتعاني من مشاكل نفسية خطيرة.

شعرت بالذنب بسبب انزعاجي منها كلّما أخبرتني بمعلومة خاطئة أو تغيّر مزاجها بين لحظة وأخرى. فالذنب ليس ذنبها، بل هي تعاني من اضطرابات خطيرة. بدا لي كلّ شيء أكثر منطقية الآن.

"سأخبركنّ شيئًا". خفضت باتريس صوتها عدّة درجات. فعلَت ذلك لكي لا أسمع، ممّا يعني أنّها لا تعرف مدى ارتفاع صوتها. "لو كنتُ مكان نينا، فمن المستحيل أن أوظّف خادمة شابّة جميلة لتعيش في منزلي. لا شدّ في أنّها تفقد عقلها من شدّة الغيرة".

أشحتُ بنظري محاولة ألّا أبدو أنّني أسمع كلّ كلمة تقولها. لقد فعلتُ كلّ ما في وسعي لكي لا تشعر نينا بالغيرة. ولا أريد أن تخطر ببالها أدنى فكرة أنّني مهتمّة بزوجها. لا أريدها أن تعرف أنّني أجده جذّابًا أو أن تعتقد أنّه ثمّة أيّ فرصة لحدوث شيء بيننا.

أعني، نعم، لو كان آندرو عازبًا، لاهتممت به، ولكنّه ليس كذلك. أنا أبقي نفسي بعيدة عن ذلك الرجل وليس لدى نينا ما يدعو للقلق.

الفصل 17

لدى آندرو ونينا اليوم موعد مع أخصّائي الخصوبة.

كانا متوتّرَين ومتحمّسَين بشأن الموعد طوال الأسبوع. فقد سمعت مقتطفات من حديثهما خلال العشاء، وعلى ما يبدو، أجرت نينا مجموعة من اختبارات الخصوبة وستتمّ مناقشة النتائج اليوم. تعتقد نينا أنّهما سيجريان تلقيحًا اصطناعيًا، وهو أمر مكلف، ولكنّهما يملكان ما يلزم من المال لحرقه من سبيل ذلك.

بقدر ما تثير نينا أعصابي أحيانًا، إلّا أنّه من الجميل كيف يخطّطان معًا للمولود الجديد. بالأمس، كانا يتحدّثان عن كيفية تحويل غرفة الضيوف إلى حضانة. ولست واثقة من هو الأكثر حماسة، أهي نينا أم آندرو. لكن في جميع الأحوال، أتمنّى أن يحصل الحمل قريبًا من أجلهما هما الاثنين.

أثناء زيارتهما الطبّية، من المفترض أن أهتمّ بسيسيليا. لا ينبغي أن تكون مراقبة فتاة في التاسعة من العمر أمرًا صعبًا، لكنّ سيسيليا مصمّمة على جعلها كذلك. بعد أن أوصلتها والدة إحدى صديقاتها بعد درس اليوم (الكاراتيه، أم الباليه، أم البيانو، أم كرة القدم، أم الجمباز - الله أعلم)، ركلت إحدى فردتي حذائها باتّجاه، والثانية باتّجاه آخر، ثمّ رمت حقيبة ظهرها في الاتّجاه الثالث. لحسن الحظّ، كان الجوّ دافئًا جدًّا ولا ترتدي معطفًا، وإلّا لكانت وجدت مكانًا رابعًا لتترك فيه معطفها.

قلت بصبر: "سيسيليا، هلّا وضعتِ حذاءك على رفّ الأحذية من فضلك؟".

"لاحقًا". قالت ذلك بشرود وهي ترتمي على الأريكة، وترتّب قماش فستانها الأصفر الباهت. تناولَت جهاز التحكّم عن بعد وأَضاءت التلفاز على فيلم كرتوني صاخب على نحو مزعج. راحت برتقالة وإجاصة تتجادلان على الشاشة. "أنا جائعة".

تنفست بعمق وسألتها: "ماذا تريدين أن تأكلي؟".

افترضتُ أنّها ستقترح شيئًا سخيفًا أضطرّ لتحضيره لها، فقط لكي تتعبني. لذلك دُهشت عندما قالت: "ماذا عن شطيرة بولونيا؟".

شعرت بارتياح شديد لأنّ كلّ مكوّنات شطيرة البولونيا موجودة في المنزل بحيث لم أصرّ على أن تقول من فضلك. إذا أرادت نينا ألّا تتقن ابنتها آداب السلوك، فهذا شأنها، وليس من واجبي تأديبها.

ذهبتُ إلى المطبخ وأحضرت بعض الخبز وعلبة من لحم بولونيا من الثلّاجة المزدحمة. لا أعرف ما إذا كانت سيسيليا تحبّ المايونيز على شطيرتها، ولست متأكّدة كم عليّ أن أضع. لذلك قرّرت إعطاءها زجاجة المايونيز وبذلك تضع بنفسها الكمّية المثالية بالضبط. حسنًا، لقد تفوّقتُ عليك ذكاء يا سيسيليا!

عدت إلى غرفة المعيشة ووضعت الشطيرة والمايونيز على الطاولة المنخفضة أمامها. نظرَت إلى الشطيرة وقطّبت جبينها. حملَتها بتردّد، ثمّ رسمت تعابير الاشمئزاز على وجهها.

صاحت: "أوه! ليس هذا ما طلبت".

أقسم إنّني سأخنق هذه الفتاة بيديّ يومًا ما. "قلتِ إنّك تريدين شطيرة بولونيا. وقد حضّرتُ لك شطيرة بولونيا".

أجابت متذمّرة: "أنا لم أقل شطيرة بولونيا، بل قلت شطيرة أبالوني!".

حدّقت إليها فاغرة الفاه. "شطيرة أبالوني؟ وما هذا؟".

أنّت سيسيليا غاضبة ورمت الشطيرة على الأرض. فانفصل الخبز عن اللحم، وحطّ على الأرض في ثلاثة أكوام منفصلة على السجّادة. كان الأمر الإيجابي الوحيد أنّني لم أستخدم المايونيز، لذلك لن أضطرّ إلى تنظيف المايونيز.

حسنًا، لقد اكتفيت من هذه الفتاة. قد لا أكن مسؤولة عن ذلك، ولكنّ هذه الفتاة كبيرة بما فيه الكفاية لتعرف أنّه لا ينبغي رمي الطعام على الأرض. عليها أن تتعلّم التصرّف كفتاة في عمرها، لا سيّما إذا كان هذا المنزل سيستقبل طفلًا صغيرًا عمّا قريب.

قلت وأنا أطحن أسناني غضبًا: "سيسيليا".

رفعَت ذقنها المروّسة قليلًا قائلة: "ماذا؟".

لا أدري ما الذي كان سيحدث بيني وبين سيسيليا، لكنّ الباب الأمامي فُتح ليضع حدًّا لمواجهتنا. لا بدّ أن آندرو ونينا قد عادا من موعدهما. التفتُّ ورسمت ابتسامة على وجهي، فأنا واثقة من أنّ نينا ستكون في غاية الحماسة بشأن الزيارة.

لكن عندما دخلا غرفة المعيشة، لم يكن أيّ منهما يبتسم.

في الواقع، كان الوضع أسوأ. فقد رأيت شعر نينا الأشقر في حالة من الفوضى وقميصها الأبيض مجعّدًا. أمّا عيناها فكانتا حمراوين ومنتفختين. آندرو أيضًا لم يكن في أحسن حال هو الآخر. فقد كانت ربطة عنقه مرتخية، كما لو أنّه بدأ بخلعها ثمّ انصرف إلى أمر آخر. في الواقع، كانت عيناه حمراوين هو أيضًا.

ضغطتُ على يديّ وسألت: "هل كلّ شيء على ما يرام؟".

كان عليّ أن أبقي فمي مغلقًا. لكان ذلك قرارًا حكيمًا، لأنّ نينا حوّلت نظرها إليّ وأصبحت بشرتها الشاحبة حمراء اللون. قالت بحدّة: "حبًّا بالله يا ميلي، لمَ أنت فضولية إلى هذا الحدّ؟ هذا ليس من شأنك".

ازدردت لعابي قائلة: "أنا آسفة، نينا".

تحوّل نظرها إلى الفوضى على الأرض. حذاء سيسيليا، والخبز واللحم بالقرب من الطاولة. وفي وقت ما في اللحظة الأخيرة، كانت سيسيليا قد أسرعت خارجة من غرفة المعيشة وتوارت عن الأنظار. عبست نينا قائلة: "أهذا ما عليّ

رؤيته عندما أعود إلى منزلي؟ هذه الفوضى؟ لماذا أدفع لك؟ ربّما يجب أن تبدأي بالبحث عن وظيفة أخرى".

شعرت بضيق في حلقي وأنا أجيب: "أنا... كنت سأقوم بالتنظيف حالًا..."

"لا تقومي بأيّ عمل لحسابي". نظرَت إلى آندرو بتعب قائلة: "أنا ذاهبة للاستلقاء. لديّ صداع شديد".

صعدت نينا السلّم، وهي تطرق الدرجات بكعبيها مع كلّ خطوة، تبع ذلك صوت باب غرفة نومهما وهو يغلق بقوّة. من الواضح أنّ الأمور لم تسر على ما يرام في ذلك الموعد. ولا فائدة من محاولة التحدّث معها الآن.

غرق آندرو في الأريكة الجلدية وأرجع رأسه إلى الخلف. "هذا مريع".

عضضت على شفتي وجلست بجانبه، مع أنّني شعرت أنّه لا ينبغي لي ذلك. "هل أنت بخير؟".

فرك عينيه بأطراف أصابعه. "ليس حقًّا".

"هل... هل تريد التحدّث عن ذلك؟".

"ليس حقًّا". أغمض عينيه للحظة وأطلق تنهيدة. "لن ننجح في ذلك، لن تتمكّن نينا من الحمل".

كانت الدهشة ردّ فعلي الأوّل. لا يعني ذلك أنّني أعرف الكثير، ولكنّني لا أصدّق تمامًا أنّ نينا وآندرو غير قادرَين على حلّ هذه المعضلة بمالهما. أقسم أنّني رأيت في الأخبار امرأة حملت وهي في الستّين من عمرها.

لكن لا يمكنني قول ذلك لآندرو. فقد زارا للتوّ أحد أهمّ المتخصّصين في مجال الخصوبة. وما من شيء أعرفه ولا يعرفه ذلك الطبيب. وإذا قال إنّ نينا لن تنجب، فتلك حقيقة. لن يكون ثمّة مولود جديد. "أنا آسفة جدًّا، آندرو".

"نعم..." مرّر أصابعه عبر شعره. "أحاول أن أتقبّل ذلك، ولكن لا يمكنني القول إنّني لم أشعر بالخيبة. أعني، أنا أحبّ سيسيليا كما لو كانت ابنتي، لكنّني... أردت... أعني، لطالما حلمت بـ..."

كانت تلك أعمق محادثة خضناها على الإطلاق. وشعرت أنّه من اللطيف أن يفتح قلبه لي. "أنا أفهم. لا بدّ أنّ الأمر صعب... على كليكما".

نظر إلى الأسفل. "عليّ أن أكون قويًا من أجل نينا. فقد دمّرها الخبر".

"هل ثمّة ما يمكنني فعله؟".

صمت للحظة وهو يمرّر إصبعه على طول ثنية في الأريكة الجلدية. "ثمّة عرض مسرحي تودّ نينا مشاهدته في المدينة، ولا تكفّ عن ذكره. أعلم أنّ حصولنا على تذاكر سيرفع من معنوياتها. إذا استطعتِ أن تسأليها عن التاريخ الأنسب وتحجزي أماكن لنا، فسيكون ذلك رائعًا".

"اعتبر المسألة منتهية". أنا لا أحتمل نينا لأسباب عديدة، لكنّني أتخيّل صعوبة تلقّي نبأ كهذا، ولهذا السبب تعاطفتُ معها حقًّا.

فرك عينيه الحمراوين. "شكرًا يا ميلي. بصراحة لا أدري ماذا كنّا سنفعل من دونك. أنا آسف على الطريقة التي تعاملك بها نينا أحيانًا، فهي مزاجية بعض الشيء، ولكنّها تحبّك حقًّا وتقدّر مساعدتك".

لست متأكّدة تمامًا من صحّة ذلك، لكنّني لن أجدله. أنا مضطرّة لمواصلة العمل هنا حتّى أدّخر مبلغًا معقولًا من المال. وعليّ أن أبذل قصارى جهدي في تلك الأثناء لإسعاد نينا.

الفصل 18

في تلك الليلة، استيقظت على صوت صراخ.

العلّية معزولة على نحو لا يصدّق، ولذلك لم أستطع سماع ما يقال. لكن كان ثمّة أصوات عالية قادمة من الأسفل. صوت ذكوري وصوت أنثوي، آندرو ونينا.

ثمّ سمعت صوت حطام.

تلقائيًّا، نهضتُ من سريري. قد لا يكون هذا من شأني، لكنّ أمرًا ما يحدث هناك. عليّ أن أتأكّد على الأقلّ من أنّ كلّ شيء على ما يرام.

وضعت يدي على مقبض الباب ولم يتحرّك. عمومًا، اعتدت على حقيقة أن يعلق المقبض، ولكن بين الحين والآخر، أصاب بالذعر. لكن ما لبث أن تحرّك المقبض تحت يدي وخرجت.

نزلت الدرجات المؤدّية إلى الطابق الثاني. والآن بعد أن خرجت من العلّية، أصبح الصراخ أعلى بكثير، وكان صادرًا عن غرفة النوم. سمعت صوت نينا وهي تصيح على آندرو، وقد بدت شبه هستيرية.

صرخت قائلة: "هذا ليس عادلًا! لقد فعلت كلّ ما بوسعي-"

قال: "نينا، الذنب ليس ذنبك".

"لا بل ذنبي! لو كنتَ مع امرأة أصغر سنًّا، لاستطعت إنجاب الطفل الذي ترغب فيه! الذنب ذنبي!".

"نينا..."

"ستكون أفضل حالًا من دوني!".

"كفى، لا تقولي ذلك..."

"هذه حقيقة!" لكنّها لم تبد حزينة، بل غاضبة. "أنت تتمنّى حتمًا لو أختفي من حياتك!".

"نينا، كفى!".

سُمع صوت ارتطام قويّ آخر من داخل الغرفة، تلاه ارتطام ثالث. تراجعت خطوة إلى الوراء، محتارة بين طرق الباب للتأكّد من أنّ كلّ شيء على ما يرام والرغبة في العودة إلى غرفتي والاختباء. وقفت هناك عدّة ثوان، وأنا مشلولة بسبب تردّدي، إلى أن فُتح الباب فجأة.

وقفت نينا هناك بثوب النوم الأبيض، ذاك الذي كانت ترتديه في الليلة التي رأتنا فيها أنا وآندرو في غرفة المعيشة. غير أنّني لاحظت الآن خطًّا قرمزيًا على القماش الشاحب، بدءًا من جانب وركها نزولًا إلى طرف القميص السفلي.

رمقتني قائلة: "ميلي، ماذا تفعلين هنا؟".

نظرت إلى يديها، ورأيت اللون القرمزي نفسه على راحة يدها اليمنى.

"أنا..."

قوّست حاجبها متسائلة: "هل تتجسّسين علينا؟ هل تسترقين السمع إلى حديثنا؟".

"كلّا!" تراجعتُ خطوة إلى الخلف. "لقد سمعت حطامًا وشعرت بالقلق... فأردت التأكّد من أنّ كلّ شيء على ما يرام".

لاحظَت أنّ نظري تحوّل إلى ما يبدو بوضوح أنّه بقعة دم على ثوبها. بدت مستمتعة بها تقريبًا. "لقد جرحت يدي، لا شيء يدعو إلى القلق. لست بحاجة إلى مساعدتك".

لكن ما الذي كان يحدث هناك؟ ألهذا حقًّا ثمّة دماء على ثوبها؟ وأين آندرو؟

هل تُراها قتلته؟ ماذا لو كان ممدّدًا بلا حراك في وسط غرفة النوم؟ والأسوأ، ماذا لو كان ينزف حتّى الموت الآن ولديّ فرصة في إنقاذه؟ لم أستطع الذهاب. ربّما ارتكبت بعض الأعمال السيّئة في حياتي، ولكنّني لن أدع نينا تفلت من العقاب.

قلت: "أين آندرو؟".

ظهرت بقعتان ورديتان على خدّيها. "المعذرة؟".

"أنا فقط..." نقلت وزني من قدم إلى أخرى. "سمعت حطامًا، أهو بخير؟".

حدّقت إليّ نينا. "كيف تجرؤين! بماذا تتّهمينني؟".

خطر ببالي أنّ آندرو رجل طويل القامة وقويّ. وإذا كانت نينا قد تغلّبت عليه، فأيّ فرصة لديّ في الوقوف في وجهها؟ مع ذلك لم أستطع الحراك، عليّ التأكّد من أنّه بخير.

أمرتني قائلة: "عودي إلى غرفتك".

فابتلعتُ غصّة. "كلّا".

"عودي إلى غرفتك وإلّا طردتك".

كانت تعني ذلك. استطعت رؤيته في عينيها، لكنّني لم أستطع الحراك. بدأت أحتجّ مجدّدًا، لكن بعد ذلك سمعت صوتًا، صوتًا جعل كتفيّ يرتخيان. كان صوت صنبور الماء وهو يُفتح في حمّام غرفة النوم.

آندرو بخير، كان في الحمّام وحسب.

حمدًا لله.

"هل أنت سعيدة؟" أصبحت عيناها الزرقاوان شاحبتين كالجليد، لكن كان ثمّة أمر آخر فيهما، مسحة من التسلية. إنّها تحبّ إخافتي. "زوجي على قيد الحياة وبخير".

حنيت رأسي مجيبة: "حسنًا، أردت وحسب... أنا آسفة لإزعاجك".

استدرت ومشيت في الرواق، وأنا أشعر بنظر نينا على ظهري. عندما أصبحتُ عند السلّم تقريبًا، رنّ صوتها في أذني.

"ميلي؟".

استدرت على عقبيّ. كان ثوب نومها الأبيض يتوهّج في ضوء القمر المتسلّل إلى الرواق كما لو كانت شبحًا، باستثناء الدماء. والآن، رأيت أيضًا بقعة قرمزية صغيرة تتشكّل على الأرض، تحت يدها الجريحة. "نعم؟".

"لا تغادري العلّية ليلًا، هل فهمتِ؟".

لم يكن عليها أن تكرّر الأمر، فأنا لا أريد الخروج من العلّية مرّة أخرى.

الفصل 19

في صباح اليوم التالي، عادت نينا إلى نسختها الأكثر متعة، وبدا أنّها نسيت كلّ شيء عن الليلة الماضية. كنت لأظنّه حلمًا مرعبًا لولا الضمادة الملفوفة حول يدها اليمنى. كان الشاش الأبيض ملوّثًا ببقع قرمزية.

على الرغم من أنّ نينا لم تكن تتصرّف بغرابة معي بشكل مباشر، إلّا أنّها مرتبكة أكثر من عادتها هذا الصباح. فعندما ذهبَت لإيصال سيسيليا إلى المدرسة، أصدرت إطارات سيّارتها صريرًا وهي تنطلق. وعندما عادت، وقفت في وسط غرفة المعيشة للحظة، تحدّق إلى الجدران، حتّى خرجتُ أخيرًا من المطبخ وسألتها عمّا إذا كانت بخير.

"أنا بخير". شدّت ياقة قميصها الأبيض المجعّدة، على الرغم من أنّني متأكّدة من أنّني كويتها. "هلّا حضّرتِ لي إفطارًا يا ميلي؟ إفطاري المعتاد؟".

"بالتأكيد".

الفطور "المعتاد" بالنسبة إلى نينا هو عبارة عن ثلاث بيضات مخفوقة مع كثير من الزبدة وجبنة البارميزان، مع أربع شرائح من اللحم المقدّد، وكعكة مافن إنكليزية مدهونة بالزبدة أيضًا. لم يسعني سوى التفكير في التعليقات التي أدلت بها المرأة خلال الاجتماع حول وزن نينا في غيابها، على الرغم من أنّني أحترم عدم تدقيقها في كل سعرة حرارية تدخل فمها كما يفعلن هنّ. لم تكن نينا تعتمد نظامًا

غذائيًا نباتيًا أو خاليًا من الغلوتين. وبحسب ما أرى، فإنّها تأكل كلّ ما ترغب فيه، لا بل وأكثر. حتّى إنّها تتناول وجبات خفيفة في وقت متأخّر من الليل، كما يتّضح من الأطباق المتّسخة التي تتركها على منضدة المطبخ لكي أغسلها في الصباح، من دون أن تتكبّد عناء وضع أيّ منها في غسّالة الأطباق.

قدّمتُ لها طبقًا من الطعام على طاولة العشاء مع كوب من عصير البرتقال. دقّقَت في الطعام، بحيث خشيتُ أن أكون أمام نسخة نينا التي ستتذمّر قائلة إنّ كلّ ما في هذا الطبق لم يُحضّر كما ينبغي، أو تدّعي أنّها لم تطلب منّي الإفطار في المقام الأوّل. ولكن بدلًا من ذلك، ابتسمت لي بلطف. "شكرًا لك يا ميلي".

"على الرحب والسعة". تردّدتُ قليلًا وأنا واقفة بقربها. "بالمناسبة، طلب منّي آندرو أن أحجز تذكرتين للعرض الجاري على مسرح برودواي".

أشرقت عيناها قائلة: "كم هو لطيف. نعم، سيكون ذلك رائعًا".

"ما هي الأيّام التي تناسبك؟".

وضعَت بعض البيض في فمها ومضغته بعناية. "أنا حرّة لمدّة أسبوع بدءًا من يوم الأحد، إذا استطعتِ إيجاد تذاكر خلال ذاك الأسبوع".

"بالتأكيد، وبالطبع يمكنني الاهتمام بسيسيليا".

تناولت لقمة أخرى من البيض، غير أنّ بعضًا منه سقط على قميصها الأبيض. لم يبدُ عليها حتّى أنّها لاحظت ذلك، بل تابعت تناول طعامها غافلة تمامًا.

غمزتني قائلة: "شكرًا لك مجدّدًا يا ميلي. أنا حقًّا لا أعرف ماذا كنّا سنفعل من دونك".

تحبّ أن تقول لي ذلك، أو أنّها ستطردني. إمّا هذه أو تلك.

لكن أنّ الذنب ليس ذنبها. لا شكّ في أنّ نينا تعاني من مشاكل نفسيّة كما قالت صديقاتها. كما أنّني لا أكفّ عن التفكير في إقامتها المزعومة في مستشفى للأمراض النفسية، فهم لا يحبسون شخصًا هناك بلا سبب. لا بدّ أنّ شيئًا سيّئًا قد حدث،

وجزء منّي يتوق لمعرفة ماهيّته، ولكنّني بالطبع لا أستطيع أن أسألها. وكلّ محاولاتي لانتزاع القصّة من إنزو باءت بالفشل.

كانت نينا قد قضت على طبقها بالكامل تقريبًا، بعد أن التهمت البيض واللحم المقدّد وقطعة المافن في أقلّ من خمس دقائق، عندما نزل آندرو السلّم مهرولًا. كنت قلقة عليه بعض الشيء بعد الليلة الماضية، على الرغم من أنّني سمعت جريان الماء. صحيح أنّ السيناريو الذي دار في رأسي بعيد الاحتمال، ولكن ربّما، من يدري، وضعت الصنبور على مؤقّت تلقائي لجعله يبدو كما لو كان في الحمّام، حيًا وبخير. كما قلت، لا يبدو ذلك محتملًا، ولكنّه ليس مستحيلًا أيضًا. على أيّ حال، استرحتُ عندما وجدتُه سليمًا معافى. حبست أنفاسي قليلًا عند رأيته ببدلته الرمادية الداكنة مع قميص أزرق فاتح.

قبل دخول آندرو غرفة الطعام بقليل، دفعت نينا الطبق بعيدًا عنها. وقفت هناك وسوّت شعرها الأشقر، الذي افتقر إلى لمعانه المعتاد، وأصبحت جذوره الداكنة أكثر وضوحًا من ذي قبل.

قالت بابتسامة عريضة. "مرحبًا آندي، كيف حالك هذا الصباح؟".

عندما همّ بالردّ عليها، وقع نظره على البيض الذي لا يزال عالقًا على قميصها. فلوى شفتيه قائلًا: "نينا، لديك بعض البيض على قمصيك".

"أوه!" احمرّ خدّاها وهي تمسح البيض عن قميصها، ولكنّه كان هناك منذ بضع دقائق ولذلك تكوّنت بقعة على النسيج الأبيض. "آسفة على ذلك!".

"لا بأس، ما زلت تبدين جميلة". ثمّ وضع يده على كتفيها وجذبها إليه. شاهدتها وهي تذوب بين ذراعيه متجاهلة وخز الغيرة في صدري. "عليّ الذهاب إلى المكتب، لكنّني سأراك الليلة".

"سأرافقك إلى الخارج يا عزيزي".

نينا محظوظة حقًّا، فهي تملك كلّ شيء. صحيح أنّها أقامت في مصحّة عقلية، لكنّها على الأقلّ لم تكن في السجن. وها هي ذا، في منزل رائع، مع أطنان من المال،

وزوج لطيف، ومرح، وثري، ومحبّ، و... حسنًا، جذّاب على نحو لا يصدّق.

أغمضت عينيّ للحظة، ورحت أتخيّل كيف سيكون العيش مكان نينا، وما يعنيه أن أكون امرأة مسؤولة عن هذه الأسرة، مع ما يرافق ذلك من امتيازات، كالملابس والأحذية باهظة الثمن والسيّارة الفاخرة. هذا فضلًا عن خادمة أعطيها الأوامر وأجبرها على الطهي من أجلي والتنظيف عنّي والعيش في جحر صغير في العلّية، بينما أملك غرفة النوم الكبيرة مع سرير هائل وملاءات لا تحصى ولا تعدّ. والأهمّ من ذلك كلّه، أن يكون لديّ زوج مثل آندرو، يغدق عليّ بعاطفته وحبّه...

أوه يا إلهي، عليّ أن أكفّ عن التفكير في ذلك، حالًا. صحيح أنّه لديّ أعذاري، فقد مرّ زمن طويل حقًّا. أمضيت في السجن عشر سنوات أتخيّل شخصًا مثاليًا ألتقي به عندما أخرج، ينقذني من كلّ ما أنا فيه. والآن...

حسنًا، أصبح هذا ممكنًا.

صعدت السلّم، وبدأت بترتيب الأسرّة وتنظيف غرف النوم. كنت قد انتهيت للتوّ وتوجّهت إلى الطابق السفلي عندما رنّ جرس الباب. أسرعت لفتحه، وفوجئت لدى رؤية إنزو هناك، حاملًا صندوقًا كرتونيًا ضخمًا بين ذراعيه.

قلت: "*تشاو*"، فقد تذكّرت التحيّة التي علّمني إيّاها.

بدت التسلية على وجهه. "*تشاو*. هذا لك".

فهمت على الفور ما حدث. ففي بعض الأحيان، لا يدرك موظّفو التوصيل أنّ بإمكانهم دخول البوّابة، ولذلك يضعون الطرود الثقيلة في الخارج، ويتحتّم عليّ حملها إلى داخل المنزل. ولا شكّ أنّ إنزو رأى عامل التوصيل وهو يترك الطرد، فتبرّع لحمله عنّي.

قلت: "*غراتسييه*".

رفع أحد حاجبيه قائلًا: "هل تريدين أن..."

استغرق الأمر منّي ثانية لأدرك قصده. "أوه... نعم، ضعه على طاولة الطعام من فضلك".

أشرتُ إلى الطاولة، فحمل الطرد إلى هناك. تذكّرت أنّ نينا ذُعرت في المرّة الماضية عندما دخل إنزو المنزل، ولكنّها ليست هنا الآن ويبدو هذا الصندوق ثقيلًا جدًّا عليّ. بعد أن وضعه على الطاولة، ألقيت نظرة على العنوان: إيفلين وينشستر. ربّما كانت من أفراد عائلة آندرو.

قلت مجدّدًا: "*غراتسييه*".

أومأ إنزو برأسه. كان يرتدي قميصًا أبيض وسروال جينز، ويبدو جذّابًا. كان دائمًا في مكان ما في الحيّ، يعمل بجهد كبير في الحدائق، وتحبّ النساء الثريات استراق النظر إليه. صدقًا، أنا أفضّل مظهر آندرو، وبالطبع ثمّة حاجز اللغة. ولكن قد يكون المرح قليلًا مع إنزو مفيدًا لي. فمن شأنه أن يخفّف قليلًا من الضغط، وربّما أكفّ عن تخيّل أمور بشأن زوج مستخدمتي.

لم أعرف تمامًا كيف أطرح الموضوع، نظرًا لأنّه لا يجيد أيّ كلمة بالإنكليزية كما يبدو. ولكنّني متأكّدة من أنّ لغة الحبّ عالمية.

"ماء؟" عرضت عليه ذلك، بينما كنت أحاول فتح حديث معه.

أومأ برأسه قائلًا: "سي".

ركضت إلى المطبخ وأخذت كوبًا من الخزانة. ملأت نصفه بالماء، ثمّ أحضرته إليه. فأخذه بامتنان قائلًا: "*غراتسييه*".

تحرّكت عضلة ذراعه وهو يشرب الماء. كان يتمتّع بجسد جذّاب حقًّا...

عصرت يديّ معًا وهو يشرب، ثمّ سألته: "إذًا، امم... هل أنت... مشغول؟".

خفض الكوب ونظر إليّ. "إيه؟".

"اممم"، تنحنحتُ قائلة: "هل لديك كثير... من العمل؟".

"عمل". أومأ برأسه مشيرًا إلى أنّه فهم. حقًّا، لا أفهم هذا الرجل. هل يعمل هنا منذ ثلاث سنوات من دون أن يجيد شيئًا من الإنكليزية؟ "*سي. مولتو أوكوباتو*".

"أوه".

الأمر لا يسير على ما يرام. من الأفضل ربّما أن أدخل الموضوع مباشرة.

"اسمع". تقدّمت خطوة نحوه. "فكّرت أنّك قد ترغب في أخذ... استراحة قصيرة؟".

تأمّلني بعينيه السوداوين، وكانت عيناه جميلتين فعلًا. "أنا... لا أفهم".

يمكنني القيام بذلك - لغة الحبّ. "استراحة". مددت يدي ووضعتها على صدره، ثمّ رفعتُ حاجبي بإيحاء. "أنت تعلم".

توقّعت في هذه المرحلة أن يبتسم لي ويحملني، ثمّ يذهب بي إلى العلّية، لنمضي ساعات هناك. أمّا ما لم أتوقّعه فهو النظرة القاتمة التي ظهرت في عينيه. فقد قفز بعيدًا عنّي كما لو أنّ يدي مشتعلة، وأطلق سيلًا من الكلمات الإيطالية الغاضبة. لم أفقه شيئًا منها، باستثناء أنّه لم يكن يقول "مرحبًا" أو "شكرًا".

قلت حائرة: "أنا... أنا آسفة".

صاح بي: "*سي باتزو!*". ثمّ مرّر يده في شعره مضيفًا: "*كي كافولو!*".

كان الموقف محرجًا للغاية، بحيث وددتُ لو تنشقّ الأرض وتبتلعني. أعني، ظننت أنّ احتمال الرفض وارد، ولكن ليس بهذه الشدّة. "أنا... لم أقصد..."

نظر إلى السلّم بخوف تقريبًا ومن ثمّ إلى وجهي. "أنا... أنا ذاهب حالًا".

أومأتُ برأسي: "حسنًا، بالطبع. أنا... أنا آسفة، لم أقصد الإهانة. لم أعنِ..."

نظر إليّ كما لو كان يعرف أنّني أتفوّه بالهراء. أعتقد أنّ بعضًا من هذه العبارات عالميّ.

"أنا آسفة". قلت ذلك للمرّة الثالثة وهو يتوجّه إلى الباب، "و... شكرًا على الطرد. *غراتسييه*".

توقّف عند الباب، والتفت بحيث التقى نظري بنظره القاتم. "أنت... أنت ارجلي يا ميلي"، قال ذلك بإنكليزية ركيكة. "إنّه..." ضغط شفتيه معًا، ثمّ حاول إخراج الكلمة التي قالها لي أوّل مرّة التقينا فيها، وهذه المرّة بالإنكليزية: "خطِر".

نظر مجدّدًا إلى السلّم، وبدا الاضطراب على وجهه. أخيرًا هزّ رأسه، وقبل أن أتمكّن من إيقافه لفهم قصده، سارع بالخروج من المنزل.

الفصل 20

ربّاه، كم كان ذلك مهينًا!

ما زلت أعاني من مهانة رفض إنزو لي بينما كنت أنتظر سيسيليا لإنهاء فصل الرقص النقري. كان رأسي ينبض ألمًا، وصوت نقر الأقدام الصغيرة معًا الآتي من فصل الرقص لم يساعد على الإطلاق. نظرت حولي متسائلة عمّا إذا كان بقيّة الموجودين يجدونه مزعجًا مثلي. لا؟ أنا فقط؟

أخيرًا نظرت إليّ المرأة الجالسة على المقعد المجاور بتعاطف. نظرًا لبشرتها الناعمة الطبيعية، وعدم وجود علامات شدّ وجه أو بوتوكس على وجهها، قدّرت أنّها بعمري، ما يعني أنّها لم تأت لاصطحاب طفلها أيضًا. لا بدّ أنّها *خادمة*، مثلي.

سألتني: "أدفيل؟". لا بدّ أنّها تتمتّع بحاسّة سادسة لتلاحظ عدم ارتياحي. إمّا هذا أو أنّ تنهّداتي أوصلت إليها الرسالة.

تردّدتُ في البداية، ثمّ أومأت برأسي موافقة. لن يخلّصني مسكّن الآلام من إذلال رفض البستاني الإيطالي الجذّاب لي، لكنّه سيخفّف من صداعي على الأقلّ.

مدّت يدها إلى حقيبتها السوداء الكبيرة وأخرجت زجاجة أدفيل. رفعت حاجبيها وهي تنظر إليّ، فمددت يدي وهزّت الزجاجة لإسقاط حبّتين صغيرتين حمراوين في كفّي. ألقيتهما في فمي وابتلعتهما من دون مياه. تساءلتُ كم من الوقت سيستغرق الدواء ليعطي مفعوله.

قالت: "اسمي أماندا، بالمناسبة. وأنا رسميًّا زميلتك في قاعة انتظار صفّ الرقص".

ضحكتُ رغمًا عنّي. "ومن أجل من أتيتِ؟".

أبعدت شعرها المسرّح في ذيل حصان عن كتفها مجيبة: "توأم أسرة برنشتاين. عليك رؤيتهما وهما ترقصان معًا، إنّه مشهد لا يفوّت، بالحديث عن أسباب الصداع. وأنت؟".

"سيسيليا وينشستر".

أطلقت أماندا صفرة خافتة. "تعملين لدى آل وينشستر؟ بالتوفيق".

ضغطتُ على ركبتيّ وسألتها: "ماذا تقصدين؟"

رفعَت أحد كتفيها مجيبة: "نينا وينشستر. أنت تعرفين، فهي..." صنعت بأصابعها علامة "الجنون" العالمية. "أليس كذلك؟".

"وكيف تعرفين؟".

"أوه، الجميع يعرف". نظرت إليّ مضيفة: "كذلك، لديّ شعور أنّ نينا من النوع الغيور. وزوجها جذّاب حقًّا، ألا توافقينني؟".

أشحت بنظري مجيبة: "لا بأس به، على ما أظنّ".

بينما كانت أماندا تبحث في حقيبتها، لعقت شفتيّ. إنّها الفرصة التي أبحث عنها، شخص ما يمكنني سحب معلومات منه عن نينا.

قلت: "إذًا، لماذا يقول الناس إنّ نينا مجنونة؟".

نظرَت إلى الأعلى، وللحظة خشيت أن تشعر بالاستياء من فضولي الواضح، لكنّها اكتفت بالابتسام. "أنت تعرفين أنّها كانت حبيسة في مستشفى المجانين، أليس كذلك؟ الجميع يتحدّثون عن ذلك".

أجفلتُ من استخدامها عبارة "مستشفى المجانين". أنا واثقة من أنّها تملك أيضًا بعض المصطلحات المشابهة للمكان الذي أمضيت فيه العقد الأخير من حياتي. لكنّني بحاجة إلى سماع القصّة. تسارع قلبي وراح ينبض بالتزامن مع نقر

الأقدام الصغيرة في الغرفة الأخرى. "لقد سمعت شيئًا عن ذلك..."

تابعت أماندا: "كانت سيسيليا طفلة حينذاك. المسكينة، لو وصلت الشرطة بعد ثانية..."

"ماذا؟".

انخفض صوتها قليلًا وهي تنظر حولها: "أنت تعرفين ماذا فعلت، أليس كذلك؟".

هززت برأسي نافية من دون قول شيء.

"كان ذلك مروّعًا..." أخذت أماندا نفَسًا وأضافت: "لقد حاولَت إغراق سيسيليا في حوض الاستحمام".

رفعت يدي إلى فمي قائلة: "حاولَت... ماذا؟".

أومأت برأسها بجدّية. "قامت نينا بتخديرها، ثمّ ألقت بها في حوض الاستحمام وفتحت صنبور الماء الجاري، قبل أن تتناول كمّية من الحبوب هي نفسها".

فتحت فمي ولكنّني عجزتُ عن الكلام. فقد توقّعتُ قصّة من قبيل أنّها تشاجرت مثلًا مع أمّ أخرى في درس الباليه حول لون التنانير، ثمّ أصيبت بانهيار عصبي عندما تعذّر عليهما الاتّفاق. أو ربّما قرّرت أخصّائية تجميل الأظافر المفضّلة لديها التقاعد ولم تستطع احتمال ذلك. أمّا هذه القصّة، فهي مختلفة تمامًا. لقد حاولت المرأة قتل ابنتها. ما من شيء أفظع من ذلك.

قالت: "يبدو أنّ آندرو وينشستر كان في المدينة في مكتبه، ولكنّه شعر بالقلق عندما لم يستطع الوصول إليها. وحمدًا لله أنّه اتّصل بالشرطة عندئذٍ".

تفاقم صداعي على الرغم من الدواء، وشعرت أنّني على وشك التقيّؤ. لقد حاولت نينا قتل ابنتها، ومن ثمّ الانتحار. ربّاه، لا عجب أنّها تتعاطى مضادًّا للذهان.

لم يكن ذلك منطقيًا بالنسبة إليّ. فأيًّا يكن رأيي بنينا، من الواضح أنّها تحبّ سيسيليا كثيرًا. إذ لا يمكنك تزييف هذا النوع من المشاعر. مع ذلك، أنا أصدّق

أماندا، ذلك أنّني سمعت هذه الشائعة من عدد كافٍ من الناس، ومن غير الممكن أن يكون كلّ من في البلدة مخطئين.

حاولت نينا بالفعل قتل ابنتها.

تُرى، ما كان سياق الحادث. سبق أن سمعت عن اكتئاب ما بعد الولادة، وكيف يمكن أن يدفع بالعقل إلى أماكن مظلمة. ربّما لم يكن لديها أيّ فكرة عمّا تفعله، وليس الأمر كما لو أنّها خطّطت لقتل ابنتها عمدًا. لو كان ذلك صحيحًا، لكانت في السجن الآن، إلى الأبد.

مع ذلك، وبقدر ما كنت قلقة بشأن حالة نينا العقلية، لم أصدّق حقًّا أنّها تملك القدرة على ارتكاب عنف حقيقي. هذا يعني أنّها قادرة على أكثر بكثير ممّا ظننت.

للمرّة الأولى منذ أن رفضني إنزو، فكّرت في الذعر الذي رأيته في عينيه وهو يسارع نحو باب المنزل. *اخرجي يا ميلي، هذا... خطر*. كان خائفًا عليّ، كان خائفًا من نينا وينشستر. فقط لو كان يتحدّث الإنكليزية. لو كان يجيدها، لكنت خارج المنزل الآن على ما أعتقد.

لكن حقًّا، هل بيدي حيلة؟ صحيح آل وينشستر يدفعون لي راتبًا جيّدًا، ولكنّه لا يكفي لأترك العمل من دون أن أدّخر مزيدًا من المال بعد. وإذا تركت العمل، فلن يعطياني أيّ توصية لائقة، بل سأضطرّ لمعاودة البحث في الإعلانات، وأواجه رفضًا تلو الآخر عندما يكتشفون أنّني خرّيجة سجون.

عليّ أن أبقى هناك لفترة أطول، وأن أبذل قصارى جهدي لكي لا أثير غضب نينا وينشستر. فربّما كانت حياتي تعتمد على ذلك.

الفصل 21

بحلول وقت العشاء هذه الليلة، كان الصندوق الكرتوني الذي أحضره إنزو لا يزال على طاولة الطعام. عندما حاولت تحريكه لترتيب الطاولة، وجدته ثقيلًا جدًّا، على عكس ما بدا عليه حين حمله إنزو إلى الداخل من دون عناء. وقد خشيت، إن حاولت تحريكه، أن يسقط منّي عن طريق الخطأ. وثمة احتمال كبير أن يحتوي على مزهرية مينغ لا تقدّر بثمن، أو على شيء لا يقلّ عنها حساسية وكلفة.

تفحّصتُ عنوان المرسِل مجدّدًا. إيفلين وينشستر، وتساءلت من تكون بالضبط. كتب الاسم بخطّ يدوي كبير ومائل. دفعت الصندوق قليلًا، فسمعت خشخشة في الداخل.

"هدية ميلاد مبكرة؟".

أبعدت نظري عن الطرد والتفتُّ لأجد أنّ آندرو عاد إلى المنزل. لا بدّ أنّه دخل من باب المرآب. ابتسم لي وهو يحلّ ربطة عنقه، فسررت لأنّه بدا في حالة معنوية أفضل اليوم. ظننت حقًّا أنّ مزاجه قد تعكّر بعد ذلك الموعد مع الطبيب، ثمّ تبعه الشجار الرهيب ليلة أمس، والذي جعلني شبه مقتنعة أنّ نينا قتلته. بالطبع، بعد أن عرفت سبب دخولها مصحّة عقلية، لم يعد الأمر يبدو بعيد الاحتمال.

ذكّرته: "لا نزال في شهر يونيو".

هزّ رأسه قائلًا: "ليس الوقت مبكرًا قطّ على الميلاد".

التفّ حول الطاولة لتفحّص عنوان المرسل على العبوة. كان على بعد بضع إنشات منّي، بحيث اشتممتُ عطر ما بعد الحلاقة الذي يستعمله. كانت رائحته... لطيفة، وغالية.

كفّي عن ذلك يا ميلي، إنّه مستخدمك!

قال: "الطرد من والدتي".

ابتسمت له قائلة: "أما زالت والدتك ترسل إليك الهدايا؟".

ضحك قائلًا: "اعتادت على فعل ذلك، في الواقع، لا سيّما في الماضي عندما كانت نينا... مريضة".

مريضة. هذا تلطيف كبير لما فعلته نينا. لم أستطع هضم الفكرة بعد.

أضاف: "لا بدّ أنّها أرسلت شيئًا لسيسي، فوالدتي تحبّ تدليلها. لطالما قالت إنّ سيسي لديها جدّة واحدة، ولذلك من واجبها تدليلها".

"وماذا عن والدَي نينا؟".

توقّف، ويداه على الصندوق. "لقد رحل والداها منذ أن كانت شابّة. لم أتعرّف عليهما قطّ".

حاولت نينا الانتحار، كما حاولت قتل ابنتها، والآن اتّضح أنّ في ماضيها أبوين متوفّيَن أيضًا. أتمنّى ألّا تكون الخادمة هي التالية.

كلّا، عليّ أن أكفّ عن التفكير على هذا النحو. من المرجّح أنّ والدي نينا توفيا بالسرطان أو بمرض القلب. وأيًّا يكن خطب نينا، فمن الواضح أن الأطبّاء وجدوا أنّها مستعدّة للانضمام مجدّدًا إلى المجتمع. عليّ تفسير الشكّ لصالحها.

استقام آندرو قائلًا: "على أيّ حال، دعيني أفتح هذا الصندوق".

ذهب إلى المطبخ، وعاد بعد دقيقة بقطّاعة كرتون. قطع الجزء العلوي وفتح الغطاء. كنت قد أصبحت شديدة الفضول في هذه المرحلة. فأنا أحدّق إلى هذا الصندوق طوال اليوم، وأتساءل عن محتواه. وأيًّا يكن ما فيه، أنا واثقة من أنّه باهظ

الثمن على نحو جنوني. رفعتُ حاجبيّ، بينما وقف آندرو يحدّق إلى الصندوق، والشحوب يغزو وجهه.

قلت عابسة: "آندرو؟ هل أنت بخير؟".

لم يجبني. عوضًا عن ذلك، جلس على إحدى الأرائك وضغط بأطراف أصابعه على صدغيه. أسرعت لتهدئته، لكنّني لم أستطع أن أقاوم التوقّف لإلقاء نظرة على محتوى الصندوق.

عندئذٍ، فهمتُ سبب انزعاجه.

كان الصندوق مليئًا بأغراض الأطفال. بطّانيات صغيرة بيضاء، وخشخاشات، ودمى. وكانت ثمّة كومة صغيرة من ملابس الأطفال البيضاء.

لم توفّر نينا أحدًا إلّا وذكرت أمامه أنّهما ينويان إنجاب مولود قريبًا. وبالتأكيد، ذكرت ذلك لوالدة آندرو، التي قرّرت إرسال اللوازم. لكنّها تسرّعت مع الأسف.

بدت نظرة آندرو شاردة. سألته مجدّدًا: "هل أنت بخير؟".

رفّ عينيه كما لو أنّه نسي أنّني معه في الغرفة. أخيرًا، تمكّن من رسم ابتسامة دامعة على وجهه. "أنا بخير، حقًّا. كلّ ما في الأمر... لم أكن بحاجة لرؤية ذلك".

جلستُ على المقعد المجاور. "ربّما كان تشخيص الطبيب خاطئًا".

مع أنّ جزءًا منّي يتساءل عن سبب رغبته في إنجاب طفل من نينا، لا سيّما بعد ما كادت تفعله بسيسيليا. كيف يمكنه تأمينها على طفله بعدما أقدمت على فعل كهذا؟

فرك وجهه. "لا بأس. نينا أكبر منّي سنًّا، وكانت لديها بعض... المشاكل عندما تزوّجنا في البداية، ولم أشعر بالارتياح لمحاولة إنجاب طفل في ذلك الوقت. لهذا السبب انتظرنا. والآن..."

نظرت إليه باستغراب. "نينا أكبر منك سنًّا؟".

هزّ كتفيه. "بقليل. فالمرء لا يفكّر في السنّ عندما يُغرم، وقد كنت مغرمًا بها". لم يغب عنّي استخدامه للفعل الماضي وهو يصف مشاعره تجاه زوجته. لاحظ

ذلك هو الآخر لأنّ وجهه احمرّ قبل أن يقول: "أعني، أنا مغرم بها. أنا أحبّ نينا. مهما يحدث، لدينا بعضنا البعض".

قال ذلك بقناعة، ولكن عندما نظر إلى الصندوق مجدّدًا، ظهر تعبير حزين حقًّا على وجهه. بغضّ النظر عمّا يقوله، فقد أحزنه خبر عجزهما هو ونينا عن إنجاب طفل آخر. كانت تلك الحقيقة تثقل كاهله.

تمتم قائلًا: "أنا... سأضع هذا الصندوق في القبو. ربّما ينجب شخص ما في الحيّ طفلًا ونعطيه إيّاه، أو يمكننا ببساطة... التبرّع به. أنا متأكّد من أنّه سيكون مفيدًا أكثر".

على الرغم من نجاح أندور المالي، إلّا أنّني شعرت بالأسف تجاهه. إنّه رجل جيّد حقًّا ويستحقّ أن يكون سعيدًا. وقد بدأت أتساءل عمّا إذا كانت نينا – مع مشاكلها وتقلّباتها المزاجية الجامحة – قادرة على إسعاده، أو ما إذا كان عالقًا معها من باب الالتزام.

قلت بهدوء: "إذا أردت التحدّث عن ذلك يومًا ما، فأنا هنا".

نظر إليّ قائلًا: "شكرًا ميلي".

وضعت يدي على يده بهدف مواساته، فقلب يده وشدّ على يدي. وعندما تلامست راحتا يدينا، فوجئت بإحساس يضربني كالصاعقة. كان شيئًا لم أشعر به من قبل. نظرت إلى عينيّ آندرو البنّيتين، وأدركت أنّه شعر بالشيء نفسه هو أيضًا. وللحظة، حدّق كلانا إلى بعضنا البعض، يربطنا إحساس غير مرئي ولا يمكن وصفه. فجأة، احمرّ وجهه.

"من الأفضل أن أذهب". سحب يده وأضاف: "عليّ... أعني، عليّ الذهاب..."

"صحيح..."

ابتعد عن الطاولة، وخرج من غرفة الطعام. ولكن قبل أن يختفي على الدرج، ألقى عليّ نظرة أخيرة طويلة.

الفصل 22

أمضيت الأسبوع التالي في تجنّب آندرو وينشستر.

لم يعد بإمكاني أن أنكر مشاعري تجاهه. وليس مجرّد مشاعر، بل أنا معجبة حقًّا بهذا الرجل. فأنا أفكّر فيه طوال الوقت، حتّى إنّني أحلم به.

وقد يكون لديه مشاعر تجاهي هو الآخر، على الرغم من ادّعائه أنّه يحبّ نينا. لكنّ أهمّ ما في الأمر أنّني لا أريد أن أخسر هذه الوظيفة. ولا يمكن الحفاظ على الوظائف بإقامة علاقة مع صاحب العمل المتزوّج. لذلك، أنا أبذل قصارى جهدي لعدم التفكير في مشاعري. يُمضي آندرو معظم يومه في العمل على أيّ حال، ومن السهل الابتعاد عن طريقه.

هذه الليلة، بينما كنت أُخرج أطباق الطعام للعشاء، وأستعدّ للابتعاد قبل دخول آندرو، أتت نينا تتجوّل في غرفة الطعام. هزّت رأسها باستحسان لرؤية السلمون مع طبق جانبي من الأرزّ، وبالطبع، قطع الدجاج المقليّة لسيسيليا.

قالت: "رائحة الطعام رائعة يا ميلي".

"شكرًا". كنت أتجوّل بالقرب من المطبخ، جاهزة للانسحاب لتلك الأمسية، بحسب روتيننا المعتاد. "هل ثمّة شيء آخر؟".

"أمر واحد بعد". سوّت شعرها الأشقر قائلة: "هل تمكّنتِ من حجز تذاكر للعرض؟".

"أجل!" أخرجتُ آخر تذكرتين من مقاعد الأوركسترا لليلة هذا الأحد، وكنت شديدة الفخر بنفسي. لقد كلّفتا ثروة صغيرة، لكن بإمكان آل وينشستر تحمّل كلفتها. "مقاعدكما في الصفّ السادس أمام المنصّة، يمكنكما عمليًّا لمس الممثّلين".

صفّقت نينا بيديها قائلة: "هذا رائع! وهل حجزتِ غرفة الفندق؟".

"في فندق بلازا".

بما أنّ المسافة إلى المدينة طويلة، فقد قرّرت نينا وآندرو تمضية الليلة في فندق بلازا. أمّا سيسيليا، فستمكث في منزل إحدى صديقاتها، وسيكون المنزل بأكمله لي وحدي.

تنهّدت نينا قائلة: "سيكون ذلك جميلًا، فأنا وآندي نحتاج حقًّا إلى ذلك".

عضضت على لساني. أنا لن أعلّق على الوضع بين نينا وآندرو، لا سيّما وأنّ الباب صُفق في تلك اللحظة، ما يعني أنّ آندرو عاد. فمنذ زيارة ذلك الطبيب والمعركة التي دارت بينهما لاحقًا، يبدو أنّ مسافة ظهرت بينهما هذه الفترة. لا يعني ذلك أنّني منتبهة، ولكن من الصعب عدم ملاحظة الأدب المربك الذي يتعاطيان به. كما أنّ نينا نفسها تبدو على غير عادتها. فكما هو الحال الآن، كانت أزرار قميصها الأبيض مغلقة بشكل خاطئ، إذ فوّتت زرًّا، وأصبح القميص كلّه غير متوازن. كنت أودّ إخبارها بذلك، لكنّها ستصرخ في وجهي إذا فعلتُ، ولذلك لزمت الصمت.

قلت: "أتمنّى لكما وقتًا رائعًا".

ابتسمت لي: "هكذا سيكون! بالكاد يمكنني الانتظار أسبوعًا كاملًا!".

عبستُ قائلة: "أسبوعًا كاملًا؟ العرض بعد ثلاثة أيّام".

دخل آندرو المطبخ وهو ينزع ربطة عنقه. توقّف في مكانه عندما رآني، لكنّه خنق ردّ فعله، وخنقتُ أنا أيضًا ردّ فعلي تجاه مدى وسامته في تلك البدلة.

كرّرت نينا: "ثلاثة أيّام؟ ميلي، طلبت منك أن تحجزي تذاكر بعد أسبوع من يوم الأحد! أنا أتذكّر ذلك بوضوح".

"نعم..." هززت رأسي. "لكنّك أخبرتني بذلك منذ أكثر من أسبوع، ولذلك حجزت لهذا الأحد".

تحوّل لون خدّي نينا إلى الوردي. "إذًا أنت تعترفين أنّني أخبرتك أن تحجزي بعد أسبوع من يوم الأحد ومع ذلك حجزتِ هذا الأحد؟".

"كلّا، ما أقوله..."

"لا أصدّق كم أنت مهملة". طوت ذراعيها على صدرها متابعة: "لا يمكنني حضور العرض هذا الأحد. عليّ إرسال سيسيليا إلى المخيّم الصيفي في ماساتشوستس يوم الأحد وسأمضي الليلة هناك".

ماذا؟ يمكنني أن أقسم أنّها طلبت منّي أن أحجز ليوم الأحد القادم، وقالت إنّ سيسيليا ستمكث في منزل إحدى صديقاتها. من المستحيل أن أخلط الأمور بهذا الشكل.

"ربّما يمكن لشخص آخر إيصالها إلى هناك؟ أعني، لا يمكن استرداد ثمن التذاكر".

بدا الاستنكار على وجه نينا. "لن أسمح لأحد بأخذ ابنتي إلى المخيّم الصيفي في حين أنّني لن أراها لمدّة أسبوعين!".

لمَ لا؟ هذا ليس أسوأ من محاولة قتلها. لكنّني لا أستطيع قول ذلك.

"لا أصدّق كيف أفسدتِ هذا الأمر يا ميلي". راحت تهزّ رأسها. "كلفة هذه التذاكر وغرفة الفندق ستُسدّد مباشرة من راتبك".

فغرتُ فاهي من هول الصدمة. فقيمة التذكرتين والغرفة في فندق بلازا تتجاوز راتبي، لا بل تتجاوز ثلاثة من رواتبي. أنا أحاول الادّخار حتّى أتمكّن من الخروج من هذا الجحيم. رففت عينيّ لمقاومة الدموع وأنا أفكّر أنّني لن أتمكّن من تقاضي راتب في المستقبل المنظور.

هنا تدخّل آندرو. "نينا، لا تزعجي نفسك. أنا متأكّد من أنّه ثمّة طريقة لاسترداد ثمن التذاكر. سأتّصل بشركة بطاقات الائتمان وأهتمّ بالمسألة".

رمقتني نينا غاضبة. "حسنًا، ولكن إذا لم نتمكّن من استعادة المال، أتوقّع منك أن تدفعي ثمنها. هل فهمت؟".

أومأت برأسي بصمت، ثمّ اندفعتُ إلى المطبخ قبل أن تتمكّن من رؤيتي وأنا أبكي.

الفصل 23

بعد ظهيرة يوم الأحد، تلقّيت خبرين سارّين:

أوّلًا، تمكّن آندرو من استرداد ثمن التذاكر ولن أضطرّ للعمل مجّانًا.

ثانيًا، سترحل سيسيليا لمدّة أسبوعين كاملين.

لست واثقة أيّ منهما أسعدني أكثر. فأنا مسرورة لأنّني لم أعد مضطرّة لتحمّل ثمن التذاكر، لكنّني أكثر سعادة بعد لعدم حاجتي إلى العناية بسيسيليا لفترة من الوقت. فالفتاة تشبه أمّها على هذا الصعيد.

حزمت سيسيليا أمتعة تكفيها لمدّة عام على الأقلّ. أقسم إنّ الأمر بدا كما لو أنّها وضعت كلّ ما تملكه في تلك الحقائب، وملأت ما بقي من مساحات فارغة بالحجارة. هذا ما شعرت به وأنا أحمل تلك الحقائب إلى سيّارة نينا اللكزس.

"من فضلك، كوني حذرة يا ميلي". راقبتني نينا بقلق وأنا أستدعي قوّة خارقة لرفع الحقائب ووضعها في صندوق سيّارتها. كان كفّاي حمراوين من ثقلها. "من فضلك، لا تكسري شيئًا".

ما الشيء الهشّ الذي تحمله سيسيليا إلى المخيّم؟ ألا يجلبون في الغالب الملابس والكتب ورذاذ الحشرات؟ ولكن حاشا أن أستجوبها. "أنا آسفة".

عندما عدت إلى المنزل لإحضار آخر حقائب سيسيليا، التقيت بآندرو وهو يهرول هابطًا الدرج. وجدني وأنا أوشك على رفع حقيبة ضخمة، فاتّسعت عيناه دهشة.

قال: "مهلًا، سأحملها عنك. تبدو ثقيلة حقًا".

"لا بأس". أصررت على ذلك لأنّ نينا كانت عائدة من المرآب.

"نعم، يمكنها الاهتمام بالأمر يا آندي". ثمّ لوّحت بإصبعها قائلة: "عليك أن تكون حذرًا بسبب ألم ظهرك".

نظر إليها شزرًا. "ظهري بخير. على أيّ حال، أودّ أن أودّع سيسي".

ارتسم الحزن على وجه نينا. "هل أنت متأكّد من عدم رغبتك في مرافقتنا؟".

قال: "أتمنّى لو كان بإمكاني ذلك، لكن لا يمكنني تفويت يوم عمل كامل غدًا. فلديّ اجتماعات بعد الظهر".

"أنت تعطي الاولوية للعمل دائمًا".

تجهّم وجهه لدى سماع ذلك. لا ألومه على استيائه من تعليقها. لأنّ هذا الكلام غير صحيح على الإطلاق على حدّ علمي. فعلى الرغم من كون آندرو رجل أعمال ناجحًا، إلّا أنّه يحرص على العودة إلى المنزل كلّ ليلة لتناول العشاء. وصحيح أنّه يذهب أحيانًا إلى العمل في عطل نهاية الأسبوع، لكنّه حضر أيضًا عرضين للرقص هذا الشهر، وحفل بيانو، وحفل تخرّج للصفّ الرابع، وعرض للكاراتيه، وفي إحدى الليالي، ذهبوا لساعات لحضور عرض فنّي في المدرسة النهارية.

قال على أيّ حال: "أنا آسف".

عبسَت مجدّدًا وأشاحت بوجهها. وعندما مدّ آندرو يده للمس ذراعها، دفعتها بعيدًا ودخلت المطبخ لإحضار حقيبة يدها.

عندئذٍ، حمل آخر حقيبة من الأمتعة، وخرج إلى المرآب لوضعها في صندوق السيّارة ووداع سيسيليا التي جلست في سيّارة نينا اللكزس البيضاء كالثلج، بفستان مخرّم أبيض لا يتناسب إطلاقًا مع مخيّم صيفي. لكن بالطبع، هذا ليس من شأني.

أسبوعان كاملان من دون هذا الوحش الصغير. أردت أن أقفز فرحًا، لكن بدلًا من ذلك، لويتُ شفتيّ إلى الأسفل قائلة لنينا عندما خرجَت من المطبخ: "سيكون الأمر محزنًا من دون سيسيليا هنا هذا الشهر".

قالت بجفاف: "حقًّا؟ ظننت أنّك لا تستطيعين احتمالها".

فغرتُ فاهي دهشة. أعني، نعم، هي محقّة في أنّنا لم نتّفق أنا وسيسيليا، لكنّني لم أدرك أنّها عرفت ذلك. وفي هذه الحالة، هل تدرك أيضًا أنّني لست من أشدّ المعجبين بها هي نفسها؟

سوّت نينا قميصها الأبيض وخرجت عائدة إلى المرآب. ما إن غادرَت الغرفة، حتّى شعرتُ أنّ كلّ التوتّر قد غادر جسدي. فأنا أشعر دائمًا بالضيق بوجود نينا، إذ يبدو الأمر وكأنّها تشرّح كلّ ما أفعله.

عاد آندرو من المرآب وهو يمسح يديه على سرواله الجينز. أحبّ طريقته في ارتداء القميص القطني والجينز في عطل نهاية الأسبوع. وأحبّ الطريقة التي يتشعّث بها شعره عندما يقوم بنشاط بدني. أحبّ أيضًا كيف يبتسم لي بمرح.

تساءلت ما إذا كان يشعر بالطريقة نفسها حيال رحيل نينا.

قال: "إذًا، الآن وقد ذهبت نينا، لديّ اعتراف".

"أوه؟".

اعتراف؟ *أنا مجنون بحبّك. سأترك نينا لكي نهرب معًا إلى آروبا.*

كلّا، مستحيل.

"لم أتمكّن من استرداد ثمن التذاكر". خفض رأسه متابعًا: "ولم أشأ أن تسبّب لك نينا المشاكل، أو أن تحاول إجبارك على دفع ثمنها بالطبع، فأنا واثق من أنّها هي التي أخطأت في التاريخ".

أومأت رأسي ببطء. "نعم، هذا صحيح، ولكن... حسنًا، شكرًا لك على أيّ حال. أنا أقدّر ذلك".

"إذًا... أعني، عليك أن تأخذي هاتين التذكرتين. اذهبي إلى المدينة الليلة وشاهدي العرض مع أحد أصدقائك. ويمكنك الإقامة في فندق بلازا هذه الليلة".

صدرت عنّي شهقة خافتة. "هذا كرم بالغ منك".

ارتسمت ابتسامة على الجانب الأيمن من فمه. "حسنًا، لدينا تذكرتان، فلماذا نتركهما تذهبان سدى؟ اخرجي واستمتعي".

"نعم..." رحت أعبث بحافة قميصي، وأنا أفكّر. لا يمكنني أن أتخيّل ما ستقوله نينا إذا اكتشفت ذلك. وعليّ أن أعترف أنّ مجرّد التفكير في الذهاب يسبّب لي القلق. "أنا أقدّر ذلك، ولكنّني أفضّل عدم الذهاب".

"حقًّا؟ من المفترض أن يكون هذا أفضل عرض في هذا العقد! ألا تحبّين الذهاب لمشاهدة عروض على مسرح برودواي؟".

لا يملك آندرو أدنى فكرة عن حياتي - أي ما كنت أفعله طوال العقد الماضي. "لم يسبق لي أن حضرت عرضًا في برودواي من قبل".

"إذًا عليك الذهاب! أنا أصرّ!".

"حسنًا، ولكن..." أخذت نفسًا عميقًا. "في الحقيقة، ليس لديّ من يرافقني، ولا أشعر بالرغبة في الذهاب بمفردي. لذلك كما قلت، أفضّل عدم الذهاب".

حدّق إليّ آندرو للحظة، وهو يمرّر إصبعه على اللحية الخفيفة على فكّه. قال أخيرًا: "سأرافقك أنا".

رفعت حاجبيّ باستغراب: "هل أنت متأكّد من أنّها فكرة جيّدة؟".

تردّد قليلًا. "أعلم أنّ نينا غيورة، لكنّ هذا ليس سببًا كافيًا لترك هاتين التذكرتين الباهظتين تذهبان سدى. كما أنّها جريمة ألّا تكوني قد شاهدتِ قطّ عروضًا على مسرح برودواي. سيكون ذلك ممتعًا".

نعم، سيكون ممتعًا. وهذا ما يقلقني، تبًّا.

تخيّلت كيف ستكون أمسيتي. الذهاب إلى مانهاتن في سيّارة آندرو البي إم، والجلوس في قسم الأوركسترا لحضور أحد أهمّ العروض على مسرح برودواي، ومن ثمّ تناول الطعام في أحد المطاعم القريبة والاستمتاع بكأس من الشراب. سأتمكّن من التحدّث مع آندرو من دون أن أخشى ظهور نينا والتحديق إلينا بسخط.

بدا لي ذلك رائعًا.

قلت: "بالتأكيد، فلنذهب".

أشرق وجه آندرو. "رائع. سأذهب لتغيير ملابسي، ونلتقي هنا في غضون ساعة تقريبًا، اتّفقنا؟".

"اتّفقنا".

عندما صعدت الدرج إلى العلّية، راودني إحساس بالثقل في معدتي. بقدر ما أتطلّع إلى هذه الليلة، إلّا أنّ شعورًا سيّئًا يراودني حيالها. إذ يخيّل لي أنّني إذا ذهبت، فإنّ أمرًا رهيبًا سيحدث. فنظرًا لإعجابي غير اللائق على الإطلاق بآندرو، يبدو لي أنّ تمضية ليلة كاملة معه، بمفردنا نحن الاثنين، مجازفة.

لكن هذا تفكير سخيف. فنحن ذاهبان إلى مانهاتن للاستمتاع بعرض مسرحي. كما أنّنا شخصان بالغان وقادران على التحكّم بأفعالنا. سيكون كلّ شيء على خير ما يرام.

الفصل 24

لا يمكنني الذهاب إلى عرض مسرحي في برودواي بالجينز والقميص القطني، هذا أمر لا شكّ فيه. صحيح أنّني تحقّقت على الإنترنت، ووجدت أنّه ما من قواعد رسمية للباس، ولكن يبدو لي ذلك غير ملائم ببساطة. على أيّ حال، قال آندرو إنّه سيبدّل ملابسه، ولذلك عليّ ارتداء شيء لطيف.

المشكلة أنّني لا أملك شيئًا لطيفًا.

بلى في الواقع، لديّ الملابس التي أعطتني إيّاها نينا. فقد علّقتها في خزانتي لكي لا تتجعّد، ولكنّني لم أرتدِ شيئًا منها بعد. كانت بمعظمها أثوابًا فاخرة، ولم تتح لي الفرصة لارتداء شيء منها وأنا أنظّف منزل آل وينشستر. فهل يُعقل ارتداء ثوب سهرة وأنا أكنس الأرض؟

أمّا هذه الليلة، فهي مناسِبة تمامًا لارتداء ملابس أنيقة. وربّما تكون المناسَبة الوحيدة التي سأحظى بها لفترة طويلة.

المشكلة الكبرى أنّ جميع الفساتين ناصعة البياض. فمن الواضح أنّ الأبيض لون نينا المفضّل، في حين أنّه ليس كذلك بالنسبة إليّ. لا أعتقد حتّى أنّني أملك لونًا مفضّلًا (باستثناء البرتقالي). أمّا الأبيض، فلم أحبّ ارتداءه يومًا لأنّه يتّسخ بسهولة. وعليّ أن أكون حذرة بشكل خاصّ الليلة. كما أنّني لن أكون بالأبيض بالكامل، لأنّني لا أملك حذاء أبيض. ليس لديّ سوى حذاء أسود عالي الكعبين، وهذا ما سأنتعله الليلة.

تأمّلتُ الأثواب، محاولة اختيار الأنسب بينها. كانت كلها جميلة وجذابة للغاية. فانتقيت فستان كوكتيل ضيّقًا طوله يعلو قليلًا عن الركبتين، مع ياقة من الدانتيل. افترضت أنّ نينا أكبر وزنًا منّي، وسيكون واسعًا عليّ، ولكن يبدو أنّها اشترته منذ سنوات عديدة، ولذلك كان مقاسه مناسبًا تمامًا، بحيث أنّني، لو أردت شراء شيء، لما وجدت أفضل منه.

لم أُكثر من مساحيق التجميل، مجرّد قليل من أحمر الشفاه، وخطّ من الكحل في عينيّ، وهذا كلّ شيء. مهما حدث الليلة، سأضبط بنفسي، فآخر ما أريده هو المشاكل.

وما من شكّ أنّه إذا اشتبهت نينا بأيّ شيء بيني وبين زوجها، فستجعل مهمّتها تدميري.

كان آندرو في غرفة المعيشة عندما نزلت السلّم. ارتدى بدلة رمادية وربطة عنق مناسبة، وأخذ الوقت الكافي للاستحمام وحلاقة ذقنه القصيرة. بدا... ربّاه، بدا مذهلًا. كان وسيمًا على نحو مدمّر. لكنّ الأكثر إثارة للدهشة هو الطريقة التي اتّسعت بها عيناه عندما رآني، وشهق بصوت مسموع.

بعد ذلك، ولبضع لحظات، وقفنا نحدّق إلى بعضنا البعض.

"ربّاه، ميلي". ارتعشت يده قليلًا وهو يعدّل ربطة عنقه. "تبدين..."

لم يتمّ جملته، وهذا أمر جيّد على الأرجح. فهو لم يكن ينظر إليّ بالطريقة التي يفترض أن ينظر بها إلى امرأة ليست زوجته.

فتحت فمي متسائلة ما إذا كان ينبغي أن أسأله مجدّدًا عن صواب هذه الفكرة. ربّما الأجدر بنا إلغاء الأمر برمّته، ولكنّني لم أستطع حمل نفسي على قول ذلك.

تمكّن آندرو أخيرًا من إبعاد عينيه عنّي، ونظر إلى ساعته قائلًا: "من الأفضل أن ننطلق. فإيجاد موقف للسيّارة لن يكون سهلًا حول برودواي".

"نعم بالطبع، فلنذهب".

لم يعد ثمّة مجال للعودة إلى الوراء الآن.

شعرت كأنّني إحدى المشاهير وأنا أجلس على المقعد الجلدي الفخم في سيّارة آندرو البي إم. هذه السيّارة لا تشبه بشيء سيّارتي النيسان. ركب آندرو في مقعد السائق، وعندئذ لاحظت أنّ تنورتي ترتفع أكثر من اللازم. عندما ارتديت هذا الثوب، كان بطول ركبتيّ تقريبًا، ولكن عندما جلست، أصبح أقصر بكثير. رحت أشدّه، ولكن في الثانية التي أتركه فيها، يرتفع مجدّدًا.

لحسن الحظّ، كان نظر آندرو على الطريق ونحن نخرج من البوّابة المحيطة بالمنزل. إنّه زوج صالح ومخلص. ومجرّد أنّه بدا على وشك الإغماء عندما رآني بهذا الثوب لا يعني أنّه لن يتمكّن من التحكّم بنفسه.

"إنّني في غاية الحماسة"، علّقت بذلك وهو ينطلق على طريق لونغ آيلاند السريع. "لا أصدّق أنّني ذاهبة إلى برودواي الليلة".

أومأ برأسه. "سمعت أنّ العرض لا يصدّق".

"صحيح، فقد استمعت إلى بعض الأغاني على هاتفي وأنا أرتدي ملابسي".

ضحك قائلًا: "قلتِ إنّنا في الصفّ السادس، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح". لن نشاهد وحسب العرض الأكثر شهرة على برودواي، بل سنكون قريبين جدًّا، بحيث يمكننا تقريبًا لمس الممثّلين. وإذا تحدّثوا أكثر من اللازم، فسنستحمّ بلعابهم. والغريب، أنّني متحمّسة لذلك. "لكن صدقًا..."

رفع حاجبيه.

"أشعر بالذنب لأنّك لست ذاهبًا مع نينا". شددت حافة تنورتي، التي بدت كأنّها تسعى إلى فضحي هذه الليلة. "كانت هي التي أرادت المجيء في المقام الأوّل".

لوّح بيده قائلًا: "لا تقلقي بشأن ذلك. خلال مدّة زواجنا، شاهدت نينا عروضًا لا تُحصى على مسرح برودواي. أمّا هذا العرض فهو مميّز بالنسبة إليك، ستستمتعين حتمًا. أنا واثق من أنّها تريدك أن تستمتعي به".

"امم". لست واثقة من ذلك.

"صدّقيني، لا بأس".

أبطأ من سرعة السيّارة عند الإشارة الحمراء. وبينما كان يطرق بأصابعه على عجلة القيادة، لاحظت أنّ نظره يبتعد عن الزجاج الأمامي. وما لبثت أن أدركت إلى أين ينظر.

كان ينظر إلى ساقيّ.

التفتّ إليه وأدرك أنّني عرفت، فغزا الاحمرار خدّيه وأشاح بنظره.

شبكت ساقيّ وغيّرت جلستي. لن تكون نينا سعيدة بالتأكيد إذا عرفت بذلك، ولكن من الصعب أن تعرف. على أيّ حال، نحن لا نفعل شيئًا خاطئًا. ماذا لو نظر آندرو إلى ساقيّ؟ فالنظر ليس جريمة.

الفصل 25

كانت أمسية جميلة من أمسيات يونيو. أحضرت معي شالًا، لكنّ الجوّ كان دافئًا، فتركته في سيّارة آندرو، ولذلك لم أكن أحمل شيئًا سوى فستاني الأبيض وحقيبتي التي لا تتطابق معه تمامًا ونحن ننتظر في الطابور للسماح لنا بدخول المسرح.

شهقت عندما وقع نظري على المسرح، إذ لا أعتقد أنّني رأيت شيئًا كهذا في حياتي. تحتوي الأوركسترا وحدها على صفوف لا حصر لها من المقاعد، ولكن عندما رفعت رأسي، رأيت مجموعتين من المقاعد التي تمتدّ حتّى السقف في الأعلى. وفي الأمام، ستارة حمراء مضاءة من الأسفل بضوء أصفر وامض.

عندما أبعدتُ نظري أخيرًا عن المشهد، لاحظت أنّ آندرو ينظر إليّ بشيء من التسلية. قلت: "ماذا؟".

قال: "هذا لطيف وحسب. تلك النظرة على وجهك، أنا معتاد على هذا المكان ولكنّني أحبّ رؤيته من خلال عينيك".

قلت بثقة: "إنّه كبير جدًّا".

أتى مضيف لإعطائنا برنامج المسرحية وقادنا إلى أماكننا. ثمّ أتى الجزء المذهل حقًّا – إذ رحنا نقترب ونقترب. وعندما وصلنا أخيرًا إلى مقعدينا، لم أصدّق مدى قربنا من المسرح. إذا أردت، فبإمكاني أن أمسك الممثّلين من

كاحلهم. صحيح أنّني لن أفعل ذلك لأنّه يعتبر انتهاكًا لإطلاق سراحي المشروط، لكنّه ممكن.

عندما جلست بجوار آندرو على أحد أفضل المقاعد في أكثر العروض جاذبية في المدينة على هذا المسرح الرائع، لم أشعر أنّني فتاة خرجت للتوّ من السجن، لا تملك فلسًا واحدًا، وتعمل بوظيفة تكرهها. بل شعرت أنّني مميّزة، كما لو أنّني أستحقّ أن أكون هنا.

حدّقت إلى جانب وجه آندرو. كلّ ما أنا فيه الآن بفضله هو. كان من الممكن أن يكون نذلًا في هذه المسألة برمّتها وأن يحمّلني ثمن التذاكر، أو أن يذهب مع صديق له. فلديه كلّ الحق في ذلك. لكنّه لم يفعل، بل اصطحبني إلى هنا هذه الليلة، ولن أنسى معروفه أبدًا.

قلت: "شكرًا".

استدار لينظر إليّ، ثمّ لوى شفتيه وبدا وسيمًا عندما ابتسم. "هذا من دواعي سروري".

مع تشغيل الموسيقى وضوضاء الأشخاص الذين يحاولون العثور على مقاعدهم، بالكاد سمعت أزيزًا صادرًا من حقيبتي. كان هاتفي. أخرجته ووجدت رسالة من نينا على الشاشة:

لا تنسي إخراج القمامة.

صررت على أسناني. إن كان ثمّة شيء يمكن أن يضع حدًّا لتخيّلاتي أنّني أكثر من خادمة، فهو رسالة من مستخدمتي توصيني فيها بإلقاء القمامة. تذكّرني نينا دائمًا بموعد إلقاء القمامة، كلّ أسبوع، على الرغم من أنّني لم أنسه قطّ. لكنّ أسوأ ما في الأمر أنّني عندما رأيت رسالتها، أدركت أنّني نسيت إخراج القمامة. فأنا أفعل ذلك عادة بعد العشاء، وهذا التغيير في الجدول أنساني.

لا بأس، عليّ أن أتذكّر فعل ذلك الليلة عند عودتنا. بعد أن تتحوّل سيّارة آندرو البي إم مجدّدًا إلى يقطينة.

"هل أنت بخير؟".

عقد آندرو حاجبيه وهو ينظر إليّ أقرأ الرسالة. فتبخّرت مشاعري الدافئة تجاهه قليلًا. آندرو ليس برجل أواعده ويدلّلني باصطحابي إلى عرض على مسرح برودواي. إنّه مستخدمي، وهو متزوّج. ولم يحضرني إلى هنا إلّا لأنّه يشعر بالأسف تجاهي لكوني غير مثقّفة.

ولن أسمح لنفسي بنسيان ذلك.

كان العرض مذهلًا حقًّا.

كنت جالسة حرفيًا على حافة مقعدي في الصفّ السادس، فاغرة الفاه من شدّة الدهشة. بتّ أعرف سبب كون هذا العرض من أكثر العروض شهرة على برودواي. فالمقاطع الموسيقية جذّابة للغاية، والمشاهد الراقصة قمّة في الإتقان، والممثّل الذي يؤدّي دور البطولة ممتاز.

علمًا أنّني لم أستطع مقاومة التفكير في أنّه ليس وسيمًا بقدر آندرو.

بعد ثلاث جولات من التصفيق الحارّ، انتهى العرض أخيرًا، وبدأ الجمهور يتوجّه نحو المخارج. نهض آندرو عن مقعده وتمطّى قائلًا: "ما رأيك في تناول شيء؟".

وضعت برنامج الحفلة في حقيبتي. كان الاحتفاظ به مجازفة، لكنّني أردت تذكارًا من هذه التجربة السحرية. "تبدو فكرة جيّدة. هل تفكّر في مكان معيّن؟".

"ثمّة مطعم فرنسي على بعد مبنيين من هنا. هل تحبّين الطعام الفرنسي؟".

اعترفت قائلة: "لم أتناول طعامًا فرنسيًا من قبل، مع أنّني أحبّ البطاطس المقليّة".

ضحك قائلًا: "أظنّ أنّك ستستمتعين به. إذًا ما رأيك؟".

برأيي، لن تستمتع نينا بمعرفة أنّ زوجها اصطحبني إلى حفلة مسرحية في برودواي، ودعاني بعد ذلك لتناول عشاء فرنسي باهظ الثمن. ولكن نحن هنا، والوجبة ليست أكثر جنونًا من المسرحية نفسها. "تبدو فكرة جيّدة".

في حياتي القديمة، قبل أن أعمل لدى آل وينشستر، لم تكن إمكانيّاتي المادّية تسمح لي بالذهاب إلى مطعم فرنسي كذاك الذي يصطحبني إليه أندور. عُلّقت على الباب قائمة طعام، وبمجرّد نظرة إلى عدد من الأسعار، أدركت أنّ أيّ طبق من المقبلات سيستنفد مواردي المادّية لعدّة أسابيع. لكن بينما كنت أقف بجانب آندرو مرتدية فستان نينا الأبيض، لم أشعر أنّني أتنافر مع هذا المكان. لن يطلب منّي أحد أن أغادر، على أيّ حال.

كنت واثقة ونحن ندخل المطعم أنّ الجميع سيظنّوننا زوجين. رأيت انعكاس صورتنا على الزجاج خارج المطعم، وبدا لي مظهرنا جيّدًا معًا. ولو أردت أن أكون صادقة، لقلت إنّنا بدونا أفضل كزوجين منه هو ونينا. لن يلاحظ أحد أنّه يضع خاتم زواج في حين أنّني لا أضع واحدًا. ما قد يلاحظونه هو الطريقة التي وضع يده فيها بلطف على ظهري ليقودني إلى طاولتنا، قبل أن يسحب كرسيًا لي.

علّقت قائلة: "أنت رجل نبيل".

ضحك قائلًا: "الفضل لأمّي، فهكذا تربّيت".

"إذًا، لقد أحسنت تربيتك".

ابتسم لي وقال: "سيسرّها سماع ذلك".

بالطبع، دفعني هذا الحديث إلى التفكير في سيسيليا. تلك الشقيّة الصغيرة المدلّلة التي لا تكفّ عن إلقاء الأوامر عليّ. مع ذلك، لا بدّ من الإقرار أنّ سيسيليا عانت الكثير. لقد حاولت والدتها قتلها، في النهاية.

عندما أتى النادل لأخذ طلبات الشراب، طلب آندرو كأسًا من الشراب الأحمر، ففعلت الشيء نفسه. حتّى إنّني لم أنظر إلى الأسعار، لأنّها ستسبّب لي الدوار، وقد سبق وقال إنّه هو من سيدفع.

"ليست لديّ فكرة عمّا سأطلبه". لم أجد أيًّا من أسماء الأطباق مألوفًا بالنسبة إليّ، فقد كانت القائمة بأكملها باللغة الفرنسية. "هل تفهم هذه القائمة؟".

أجاب آندرو: "*وِي*".

رفعت حاجبيّ دهشة. "هل تتكلّم الفرنسية؟".

"*وي مادموزيل*". غمزني مضيفًا: "أنا أتحدّث الفرنسية بطلاقة، في الواقع. فقد درست سنتي الإعدادية في باريس".

"رائع". أنا لم أخصّص أيّ وقت لدراسة الفرنسية في الكلّية، ليس هذا فحسب، بل لم أذهب إلى الكلّية من الأساس. كانت شهادتي الثانوية عبارة عن دبلوم تعليم عامّ.

"هل تريدينني أن أقرأ لك القائمة باللغة الإنكليزية؟".

شعرت بالدفء يغزو خدّيّ. "لست مضطرًّا لذلك. ما عليك سوى اختيار بعض الأشياء التي تعتقد أنّها ستعجبني".

بدا سعيدًا بهذه الإجابة. "حسنًا، يمكنني فعل ذلك".

وصل النادل حاملًا زجاجة شراب وكأسين. شاهدته وهو يفتح الزجاجة ويملأ كأسينا، قبل أن يشير له آندرو لكي يترك الزجاجة. أخذت كأسي وتناولت منه رشفة طويلة.

يا إلهي، كان لذيذًا حقًّا. أفضل بكثير ممّا يمكنني الحصول عليه مقابل خمسة دولارات من متجر محلّي.

قال: "ماذا عنك؟ هل تتكلّمين أيّ لغة أخرى؟".

هززت رأسي نافية. "أنا محظوظة لأنّني أتحدّث الإنكليزية".

لم يبتسم آندرو لنكتتي. "لا يجب أن تقلّلي من قيمة نفسك يا ميلي. أنت تعملين لدينا منذ أشهر. لديك أخلاقيات عمل رائعة ومن الواضح أنّك ذكية. لا أعرف بعد لماذا تريدين هذه الوظيفة، على الرغم من أنّنا محظوظون بوجودك. أليست لديك أيّ تطلّعات مهنية أخرى؟".

رحت أعبث بمنديلي متجنّبة نظراته. فهو لا يعرف شيئًا عنّي. ولو عرف، لفهم. "لا أريد التكلّم عن ذلك".

تردّد للحظة، ثمّ أومأ برأسه محترمًا طلبي. "حسنًا، على أيّ حال، أنا مسرور بخروجك الليلة".

نظرت إلى عينيه ووجدته يحدّق إليّ، فأجبت: "أنا أيضًا"؟

بدا وكأنّه على وشك قول المزيد، ولكن ما لبث هاتفه أن بدأ يرنّ. أخرجه من جيبه ونظر إلى الشاشة بينما كنت آخذ رشفة أخرى من الشراب. كان لذيذًا إلى حدّ أنّني أردت أن أشربه دفعة واحدة، ولكنّها لن تكون فكرة جيّدة.

"إنّها نينا". قد يكون ذلك من خيالي، ولكنّ تعبير ألم ظهر على وجهه. "من الأفضل أن أردّ على هذا الاتّصال".

لم أستطع سماع ما تقوله نينا، لكنّ صوتها المرتعش كان مسموعًا عبر الطاولة. بدت مستاءة. أمسك بالهاتف على بعد سنتيمتر من أذنه، وتقلّص وجهه مع كلّ كلمة.

قال: "نينا. اسمعي، إنّه... نعم، لن... نينا، استرخي". زمّ شفتيه متابعًا: "لا يمكنني التحدّث معك عن ذلك الآن. سأراك عندما تعودين إلى المنزل غدًا، اتّفقنا؟".

ضغط آندرو على زرّ هاتفه لإنهاء المكالمة، ثمّ رمى الهاتف على الطاولة بجواره. أخيرًا، أخذ كأس الشراب واستنفد نصف محتوياته.

سألته: "هل كلّ شيء على ما يرام؟".

"نعم". ضغط بأصابعه على صدغيه مضيفًا: "أنا... أنا أحبّ نينا، ولكنّني لا أفهم أحيانًا كيف آلَ زواجي إلى هذه الحال. فتسعون في المائة من أحاديثنا عبارة عن نينا تصرخ في وجهي".

لم أعرف ماذا أقول ردًّا على ذلك. "أنا... أنا آسفة. إذا كان ذلك يشعرك بتحسّن، فهذا يصف تسعين بالمائة من أحاديثي معها أيضًا".

ارتعشت شفتاه. "حسنًا، لدينا هذا القاسم المشترك".

"إذًا... هل كانت مختلفة؟".

"كانت مختلفة تمامًا". أخذ كأسه وأفرغ ما بقي منه. "عندما التقينا، كانت أمًّا عزباء تعمل في وظيفتين. أعجبت بها كثيرًا. فقد كانت حياتها صعبة، وقوّتها هي التي جذبتني إليها. والآن... لم تعد تفعل شيئًا سوى الشكوى. لم يعد لديها أيّ اهتمام بالعمل، كما أنّها تفسد سيسيليا، والأسوأ..."

مكتبة
t.me/soramnqraa

"ماذا؟".

تناول زجاجة الشراب وملأ كأسه مجدّدًا. مرّر إصبعه على الحافّة وقال: "لا شيء. لا تهتمّي. لا يجدر بي..." جال نظره في المطعم. "أين النادل؟".

وددت أن أعرف حقًّا ما كان آندرو على وشك قوله. لكن ما لبث النادل أن اندفع نحونا متلهّفًا للحصول على البقشيش الهائل الذي سيناله حتمًا بعد انتهاء هذه الوجبة، وشعرت أنّ تلك اللحظة قد انقضت.

طلب آندرو الطعام لكلينا، كما سبق وقال. لم أسأله عمّا طلبه، لأنّني أردت أن تكون مفاجأة وأنا واثقة من أنّها ستكون رائعة. كنت معجبة أيضًا بلهجته الفرنسية. لطالما تمنّيت أن أتحدّث لغة أخرى، لكنّ الأوان فات بالنسبة إليّ على الأرجح.

قال بخجل تقريبًا: "آمل أن يعجبك ما طلبته".

"لا شكّ في ذلك". ابتسمت له. "لديك ذوق رفيع. أعني، بالنظر إلى منزلك، أم أنّ نينا هي التي تختار كلّ شيء؟".

تناول رشفة أخرى من شرابه. "كلّا، أنا أملك المنزل وقد تمّ تنفيذ معظم التصميم قبل زواجنا. لا بل قبل أن نلتقي، في الواقع".

"حقًّا؟ معظم الرجال الذين يعملون في المدينة يفضّلون الحصول على البكالوريوس قبل الاستقرار".

ضحك ساخرًا. "كلّا، لم أهتمّ بذلك إطلاقًا، بل كنت مستعدًّا للزواج. في الواقع، قبل نينا مباشرة، كنت مرتبطًا بفتاة أخرى..."

قبل نينا مباشرة؟ ما معنى ذلك؟ هل يقول إنّه فسخ خطوبته بسبب نينا؟

قال: "على أيّ حال، كلّ ما أردته كان الاستقرار، وشراء منزل، وإنجاب عدد من الأطفال..."

بعد تلك الجملة الأخيرة، ظهرت الخيبة على وجهه. مع أنّه لم يذكر ذلك، إلّا أنّني متأكّدة من أنّه ما زال يعاني لأنّ نينا لن تتمكّن من إنجاب مزيد من الأطفال.

عبثتُ بالكأس قائلة: "أنا آسفة بشأن... أنت تعلم، مشاكل الخصوبة. لا بدّ أنّ هذا صعب على كليكما".

"نعم..." نظر إلى كأسه وقال: "لم نُقِم علاقة منذ زيارة ذلك الطبيب".

كدت أُسقط كأسي على الطاولة. في تلك اللحظة، وصل النادل حاملًا المقبّلات. كانت عبارة عن دوائر صغيرة من الخبز المدهون بشيء وردي. ولكن لم أستطع التركيز على ذلك بعد اعتراف آندرو.

قال بينما كان النادل يبتعد: "*كانابيه موس دو سومون*. هي في الأساس عبارة عن السلمون المدخّن المدهون على قطعة خبز فرنسية".

أمّا أنا، فاكتفيت بالتحديق إليه.

تنهّد قائلًا: "أنا آسف، ما كان يجدر بي قول ذلك. لم يكن لائقًا".

"امم..."

"دعينا..." أشار إلى القطع الصغيرة الموضوعة على الطاولة. "دعينا نستمتع بالعشاء. انسي من فضلك ما قلته. أنا ونينا... بخير. فكلّ زوجين يمرّان بفترة جفاف".

"بالطبع".

لكن كان من العبث محاولة نسيان ما قاله عن نينا.

الفصل 26

انتهى بنا الأمر بقضاء وقت رائع خلال العشاء. لم نناقش وضع نينا مجدّدًا، وانساب الحديث بسهولة، لا سيّما مع زجاجة الشراب الثانية. لا أذكر آخر مرّة أمضيت فيها أمسية لطيفة. لذا، شعرت بالحزن عندما اقتربت من نهايتها.

"شكرًا جزيلًا لك"، قلت له ذلك وهو يدفع الفاتورة. خشيت النظر إليها، فقد كلّف الشراب وحده ثروة صغيرة على الأرجح.

"لا بل الشكر لك أنت". كان وجهه يتوهّج احمرارًا. "لقد أمضيتُ وقتًا ممتعًا. لم أستمتع بهذا القدر منذ..." تنحنح مضيفًا: "على أيّ حال، استمتعتُ حقًّا. فهذا ما كنت أحتاج إليه".

وقف بعد التوقيع على الشيك، لكن من دون اتّزان. لقد أكثرنا من الشراب هذه الليلة. فجأة، تذكّرت للتوّ أنّه يتحتّم عليه القيادة مجدّدًا إلى لونغ آيلاند، على الطريق السريع، وهي لن تكون فكرة عظيمة في ظلّ الظروف.

لا بدّ أنّ آندرو أدرك ما أفكّر فيه، إذ تمسّك بالطاولة لتثبيت نفسه وأقرّ قائلًا: "لا يجدر بي القيادة".

قلت: "كلّا، على الأرجح".

فرك وجهه. "ما زلنا نملك ذلك الحجز في فندق بلازا، ما رأيك؟".

حسنًا، لا يحتاج الأمر إلى عبقري لمعرفة أنّ هذه الفكرة ليست سوى غلطة فادحة. فكلانا متعبان، وزوجته خارج المدينة. كما أنّه يعاني من الحرمان العاطفي منذ مدّة، وأنا أعاني من الحرمان العاطفي منذ مدّة أطول بكثير. كان عليّ أن أرفض، فمن المستحيل أن تكون عاقبة ذلك حسنة.

تمتمتُ قائلة: "لا أجدها فكرة جيّدة".

وضع آندرو يده على صدره. "سأكون رجلًا نبيلًا تمامًا، أقسم لك. الغرفة عبارة عن جناح يحتوي على سريرين".

"أعلم، ولكن..."

"ألا تثقين بي؟".

لا بل لا أثق بنفسي، تلك هي المشكلة الأكبر.

"حسنًا، لا يمكنني القيادة إلى لونغ آيلند هذه الليلة". نظر إلى ساعته الرولكس. "اسمعي، سأحجز غرفتين منفصلتين في فندق بلازا".

"يا إلهي، هذا سيكلّف ثروة!".

لوّح بيده قائلًا: "كلّا، سأحصل على حسم لأنّني أستضيف عملاء هناك في بعض الأحيان. لا بأس في ذلك".

كان آندرو فعلًا بحالة لا تسمح له بالقيادة، وكذلك كان حالي على الأرجح، حتّى لو لم أكن خائفة من الجلوس خلف عجلة القيادة لسيّارته باهظة الثمن. أفترض أنّه بإمكاننا استئجار سيّارة أجرة للعودة إلى الجزيرة، لكنّه لم يقترح الفكرة. "حسنًا، أنا موافقة ما دمنا سننزل في غرفتين منفصلتين".

أوقف سيّارة أجرة لإيصالنا إلى فندق بلازا. وبينما كنّا جالسين على المقعد الخلفي لسيّارة الأجرة الصفراء، ارتفع ثوبي الأبيض مجدّدًا. ما خطب هذا الفستان السخيف؟ أنا أحاول جاهدة أن أكون لائقة، ولكنّ هذا الفستان لا يسمح لي بذلك. أمسكت بالحافة لشدّها إلى الأسفل مجدّدًا، لكن قبل أن أتمكّن من ذلك، لاحظت آندرو يسترق نظرة أخرى. هذه المرّة عندما قبضتُ عليه، ابتسم لي.

قال: "ماذا؟". يا إلهي، لا يبدو الرجل في وعيه على الإطلاق.

"أنت تنظر إلى ساقيّ!".

اتّسعت ابتسامته. "وماذا في ذلك؟ هل يضرّ النظر؟".

صفعته بخفّة على ذراعه، فوضع يده على كتفه مدّعيًا أنّ مشاعره جُرحت. "سنحصل على غرفتين منفصلتين، لا تنسي ذلك".

لكنّ نظر عينيه البنّيتين التقى بنظري ونحن جالسان على المقعد الخلفي لسيّارة الأجرة. وللحظة، وجدت صعوبة في التنفّس. يريد آندرو أن يكون مخلصًا لنينا، أنا متأكّدة من ذلك. غير أنّها أصبحت مختلفة، وهو ليس بوعيه، وكلاهما يعانيان من المشاكل، وربّما لوقت طويل. وبحسب ما رأيت، كانت تتعامل معه بطريقة رهيبة طوال فترة عملي هناك. إنّه يستحق أفضل من ذلك بكثير.

قال بصوت منخفض: "إلام تنظرين؟".

ابتلعت غصّة وأجبت: "لا شيء".

قال: "تبدين جميلة الليلة يا ميلي. لست متأكّدًا ممّا إذا كنت قد أخبرتك بذلك، لكن يجب أن تعلمي".

"آندرو..."

"أنا فقط..." ازدرد لعابه متابعًا. "مؤخّرًا، شعرت أنّني..."

قبل أن يتمكّن من قول المزيد، انعطف سائق الأجرة فجأة إلى اليمين. وبما أنّني لم أكن أضع حزام الأمان، ارتطمت به. فأمسك بي قبل أن أضرب رأسي بالنافذة.

همس قائلًا: "ميلي".

ثمّ عانقني.

وعانقته أنا أيضًا.

الفصل 27

غنيّ عن القول، إنّنا لم نحجز غرفتين منفصلتين في فندق بلازا.

نعم، نمت مع رئيسي المتزوّج.

فبعدما عانقني في سيّارة الأجرة، لم يكن ثمّة عودة إلى الوراء.

وعندما وصلنا إلى الغرفة، لم تكن ثمّة فرصة لمحاولة السيطرة على مشاعرنا أو إبطاء الأمور من أجل زواجه.

طلعت الشمس لتوّها عبر النافذة الهائلة المطلّة على المدينة. كنت مستلقية في سريري الكبير الفخم في فندق بلازا، وآندرو بجانبي، ينفث الهواء بخفّة من شفتيه مع كلّ نفس. فكّرت في الليلة الماضية، وارتسمت ابتسامة على شفتيّ. أراد جزء منّي إيقاظه، لكنّ الجزء الأكثر واقعية منّي يعرف تمامًا أنّ ما حدث الليلة لن يتكرّر مجدّدًا، أبدًا.

أعني، آندرو متزوّج، وأنا خادمته. وليلة أمس، لم يكن بكامل وعيه. لقد كانت ليلة عابرة.

لكن للحظة، راقبت جانب وجهه الوسيم وهو نائم، وأطلقتّ العنان لخيالي. ربّما يستيقظ ويقرّر أنّه سئم من نينا وهرائها، ثمّ يعلن أنّه يحبّني ويريدني أن أعيش معه في منزله الجميل المسوّر. وبعد ذلك، أمنحه الطفل الذي لطالما رغب فيه، وهذا ما لن تستطيع نينا فعله أبدًا. تذكّرت النساء البغيضات في اجتماع رابطة الآباء

والمعلّمين عندما قلن إنّ نينا وآندرو وقّعا على اتّفاقية محكمة قبل الزواج. هكذا يمكنه أن يتركها من دون أن يكلّفه الطلاق المال الكثير، مع أنّني واثقة من أنّه سيكون كريمًا معها.

هراء، لن يحدث ذلك أبدًا. وإن عرف حقيقتي، سيهرب منّي إلى الطرف الآخر من العالم. لكن لا بأس من الاستمتاع بأحلام اليقظة.

تحرّك آندرو وفرك عينيه. أدار رأسه جانبًا وبدأ يفتح عينيه. لم يرتعب عندما رآني هناك، فاعتبرته أمرًا إيجابيًا. قال بصوت أجشّ: "صباح الخير".

"صباح الخير".

فرك عينيه مجدّدًا. "كيف حالك؟ هل أنت بخير؟".

في ما عدا الغصّة التي شعرت بها في صدري، كنت بخير. "أنا بخير، ماذا عنك؟".

حاول الجلوس في سريره ولكنّه لم يستطع. فسقط رأسه مجدّدًا على الوسادة. "رأسي يؤلمني، يا إلهي، كم شربنا؟".

لقد شرب أكثر بكثير منّي. لكنّني أقلّ وزنًا منه، لذلك أثّر بي الشراب بالقدر نفسه. "زجاجتان من الشراب".

فوجئ قائلًا: "أنا... هل نحن بخير؟".

أجبت مبتسمة: "نعم، على خير ما يرام، أؤكّد لك".

حاول الجلوس مجدّدًا، وتقلّص وجهه من الألم. لكن هذه المرّة تمكّن من ذلك. "أنا آسف. ما كان ينبغي..."

أجفلت من اعتذاره. "لا تقلق بشأن ذلك". بدا صوتي مخنوقًا فتنحنحت مضيفة. "سأذهب للاستحمام. يجدر بنا على الأرجح العودة إلى المنزل".

تنهّد مجيبًا: "نعم... لن تقولي شيئًا لنينا، أليس كذلك؟ أعني، لقد كنّا نحن الاثنان غير واعيَين و..."

بالطبع، هذا كلّ ما يهمّه. "لن أفعل".

"شكرًا، شكرًا جزيلًا".

أخذت إحدى الملاءات عن السرير ولففتها حول نفسي، ثمّ نهضت وذهبت متعثّرة باتّجاه الحمّام. استطعت أن أشعر بنظرات آندرو عليّ، لكنّني لم ألتفت إليه، فقد كان ذلك مهينًا.

"ميلي؟".

لم أنظر إليه. "ماذا؟".

"أنا لست آسفًا. لقد أمضيت معك وقتًا رائعًا الليلة الماضية، ولست آسفًا على شيء. وآمل ألّا تكوني نادمة".

جازفت بنظرة نحوه. كان لا يزال في السرير، والأغطية تكشف صدره العضلي العاري. "كلّا، لست نادمة على الإطلاق".

"لكن..." تنهّد مضيفًا: "لا يمكن لذلك أن يحدث مجدّدًا، أنت تعلمين، صحيح؟".

أومأت برأسي موافقة. "نعم أفهم".

ظهر تعبير مضطرب على وجهه. مرّر يده عبر شعره الأسود لتسويته قائلًا: "أتمنّى لو كانت الأمور مختلفة".

"أعرف".

"أتمنّى لو أنّني التقيت بك في ذلك الوقت..."

لم يستطع إتمام جملته، لكنّني عرفت ما الذي يفكّر فيه. لو أنّنا التقينا عندما كان لا يزال عازبًا. كان من الممكن أن يدخل المقهى الذي كنت أعمل فيه كنادلة، وأن تلتقي نظراتنا، فيطلب رقمي، وأعطيه إيّاه. لكنّ الوضع ليس كذلك. إنّه متزوّج، كما أنّه أب، ولا يمكن أن يحدث بيننا أكثر من ذلك.

قلت مجدّدًا: "أعرف".

بقي نظره عليّ، وتساءلت للحظة ما إذا كان سيبدّل رأيه. لكنّه تماسك، وأشاح بنظره عنّي، فذهبت لأخذ حمّامي البارد.

الفصل 28

بالكاد تحدّثنا في طريقنا إلى البيت، إذ شغّل آندرو المذياع واستمعنا إلى حديث منسِّق الأغاني. خطر ببالي ما ذكره عن اجتماع في وقت لاحق في المدينة، ولذلك سيتعيّن عليه العودة بعد فترة وجيزة من وصولنا إلى المنزل. لكنّ الرحلة ليست بكاملها لي. فهو لا يزال يرتدي الملابس نفسها التي أتى بها، وأنا متأكّدة من أنّه يريد تغيير بدلته قبل الذهاب إلى اجتماعه.

عندما خرجنا من طريق لونغ آيلاند السريع، تمتم قائلًا: "أوشكنا على الوصول". كان يضع نظّارة شمسية جعلت من المستحيل قراءة تعابير وجهه.

"عظيم".

بدأت حافة ثوبي ترتفع مجدّدًا، هذا الثوب اللعين الذي تسبّب في كلّ مشاكلنا. شددته إلى الأسفل، وحتّى بوجود النظّارة، لاحظت أنّ آندرو كان يسترق النظر إليّ مجدّدًا. رفعتُ حاجبيّ فابتسم بخجل. "نظرة أخرى وحسب".

بينما كنّا نمرّ أمام مبنى سكني، انحرف للالتفاف حول شاحنة قمامة. عندئذ تبادرت إلى ذهني فكرة مرعبة.

همست قائلة: "آندرو، لقد نسيت إخراج القمامة الليلة الماضية!".

"أوه..."

لا يبدو أنّه يفهم تمامًا مدى خطورة الموقف. "راسلتني نينا خصّيصًا لإخراج القمامة ليلة أمس. ولم أفعل لأنّني لم أكن في المنزل، ولم يسبق لي أن نسيت ذلك. إذا اكتشفَت..."

خلع نظّارته الشمسية، وبدت عيناه محتقنتَين بالدماء قليلًا. "تبًّا، أما زال لديك الوقت للقيام بذلك؟".

رأيت شاحنة القمامة وهي تسير في الاتّجاه المعاكس لمنزله. "أشكّ في ذلك. أعتقد أنّ الأوان قد فات، فهم يمرّون باكرًا جدًّا".

"يمكنك القول ببساطة إنّك نسيت، أليس كذلك؟".

"وهل تعتقد أنّ نينا ستصدّق ذلك؟".

"تبًّا". قال ذلك مجدّدًا وهو ينقر على عجلة القيادة. "حسنًا، سأحلّ المسألة، لا تقلقي".

كانت الطريقة الوحيدة لحلّ هذه المسألة تتمثّل في حمل القمامة إلى مكبّ النفايات شخصيًا. ولست متأكّدة حتّى من مكان المكبّ، لكنّ صندوق سيّارتي النيسان صغير، وسيتطلّب منّي ذلك القيام بعدّة رحلات، أيًّا يكن موقع المكبّ. لذلك آمل حقًّا أن يكون آندرو يعني ذلك عندما قال إنّه سيهتمّ بالأمر.

عندما وصلنا إلى المنزل، ضغط آندرو على زرّ في سيّارته، ففُتحت أبواب المرآب آليًا. كان إنزو يعمل في الفناء، ورفع رأسه عندما رأى سيّارة البي إم تشقّ طريقها في الممرّ. لم يكن من المعتاد رؤية سيّارة البي إم تصل إلى المنزل في هذه الساعة، بل من المنطقي أكثر أن تغادر، ولذلك كان استغرابه مبرّرًا.

كان يجدر بي أن أخفض رأسي وأختبئ في الأسفل، ولكن فات الأوان. توقّف إنزو في وسط عمله، والتقى نظر عينيه السوداوين بنظري. فهزّ رأسه، تمامًا كما فعل في اليوم الأوّل.

تبًّا.

لاحظ آندرو ذلك هو الآخر، ولكنّه اكتفى برفع يده ولوّح بها، كما لو أنّ وصوله إلى المنزل عند الساعة 9:30 صباحًا مع امرأة ليست زوجته أمر طبيعيّ. قبل

أن يدخل المرآب، أوقف السيّارة في الحديقة.

قال: "دعيني أرى ما إذا كان بإمكان إنزو الاهتمام بالقمامة".

أردت أن أتوسّل إليه لكي لا يفعل، ولكن قبل أن أفتح فمي، كان قد قفز من السيّارة تاركًا الباب مفتوحًا قليلًا. تراجع إنزو خطوة إلى الوراء وكأنّه ليس راغبًا في إجراء هذه المحادثة.

"*تشاو* إنزو". رسم آندرو ابتسامة عريضة على وجهه وهو يحدّث البستاني. ربّاه، كم يبدو وسيمًا عندما يبتسم. أغمضتُ عينيّ للحظة، وارتجفت وأنا أتذكّر الليلة الماضية. "أنا بحاجة الى مساعدتك".

لم يقل إنزو شيئًا، بل اكتفى بالتحديق إليه.

"لدينا مشكلة مع القمامة". أشار آندرو إلى الأكياس الأربعة الموضوعة بجانب المنزل. "لقد نسينا إخراجها الليلة الماضية ليحملها عمّال النظافة، فهل يمكنك حملها إلى مكبّ النفايات في شاحنتك؟ سأعطيك خمسين دولارًا".

نظر إنزو إلى أكياس القمامة، ومن ثمّ إلى آندرو، من دون أن يقول شيئًا.

كرّر آندرو: "القمامة... إلى... المكبّ، مكبّ النفايات، *كابيشي*؟".

هزّ إنزو رأسه نافيًا.

صرّ آندرو على أسنانه وأخرج محفظته من جيبه الخلفي. "أخرج القمامة من أجلنا، وسأعطيك..." بحث في محفظته، "مائة دولار". لوّح بالمال في وجه إنزو، "تخلّص من القمامة، لديك شاحنة، أخرج القمامة إلى المكبّ".

أخيرًا قال إنزو: "كلّا، أنا مشغول".

"حسنًا، ولكن هذه حديقتنا نحن و..." تنهّد ثمّ عاد إلى محفظته وقال: "مائتا دولار. رحلة واحدة إلى مكبّ النفايات، ساعدني من فضلك".

في البداية، ظننت أنّ إنزو سيرفض مجدّدًا. ولكنّه مدّ يده وأخذ المال من آندرو، ثمّ عاد إلى جانب المنزل وحمل الأكياس. تمكّن من حملها جميعًا في رحلة واحدة بينما انتفخت عضلات ذراعيه تحت قميصه الأبيض.

قال آندرو: "صحيح، إلى المكبّ".

حدّق إليه إنزو للحظة، ثمّ مرّ به حاملًا الأكياس. ومن دون أيّ كلمة أخرى، ألقى بها في شاحنته وانطلق. ولذلك أعتقد أنّه فهم الرسالة.

عاد آندرو إلى السيّارة وجلس في مقعد السائق. "حسنًا، حللنا المسألة. ولكن اللعنة عليه، يا له من أحمق".

"لا أظنّ أنّه فهمك".

"نعم صحيح". نظر إليّ قائلًا: "إنّه يفهم أكثر ممّا يُظهر، لكنّه كان يماطل للحصول على مزيد من المال".

صحيح أنّ إنزو بدا غير راغب في إخراج القمامة، ولكن لا أظنّ أنّ المال هو السبب.

تذمّر آندرو: "لا أحبّ هذا الرجل. إنّه يعمل في جميع منازل الحي، ولكنّه يمضي ثلث وقته في فنائنا. إنّه دائم التواجد هنا، ولا أعرف حتّى ما الذي يفعله معظم الوقت".

قلت له: "لديكم أكبر منزل في الشارع، وأكبر حديقة".

"صحيح، ولكن..." حدّق آندرو إلى شاحنة إنزو وهي تختفي عبر الشارع. "لا أدري. سبق أن طلبت من نينا التخلّص منه وتوظيف شخص آخر، لكنّها تقول إنّ الجميع يستخدمونه هنا ويبدو أنّه الأفضل".

بالطبع، ليس إنزو الشخص المفضّل لديّ منذ أن رفضني بشيء من الفظاظة، ولكن ليس هذا سبب عدم ارتياحي. فأنا لم أنس الكلمة التي همس بها بالإيطالية، والتي تعني "خطر"، في يومي الأوّل هنا. وكذلك الخوف الذي أبداه من تحدّي نينا، مع أنّه ضخم بما فيه الكفاية ليسحقها بيد واحدة. هل يدرك آندرو مدى خوف إنزو من زوجته؟

حسنًا، لن أكون أنا التي ستخبره.

الفصل 29

عادت نينا إلى المنزل بعد إيصال سيسيليا إلى المخيم قرابة الساعة الثانية عصرًا. كانت تحمل أربعة أكياس كبيرة من رحلة تسوّق مرتجلة في طريق عودتها، ألقت بها الأرض في غرفة المعيشة.

قالت لي: "لقد عثرت على متجر صغير هو الأجمل ولم أستطع المقاومة!".

قلت بحماسة مصطنعة: "عظيم".

كان خدّا نينا متورّدين، فيما ظهرت بقعتا عرق تحت إبطيها، وبدا شعرها الأشقر مشعّثًا. لم لم تقم بعد بصبغ جذور شعرها، كما أنّ الماسكارا سالت قليلًا فوق زاوية عينها اليمنى. عندما نظرتُ إليها، لم أفهم حقًّا ما الذي يراه آندرو فيها.

"هلّا أخذتِ هذه الحقائب إلى الطابق العلوي يا ميلي؟" رمت بنفسها على الأريكة الجلدية وأخرجت هاتفها. "شكرًا جزيلًا".

حملتُ أحد الأكياس، فبدا لي ثقيلًا. ما نوع المتجر الذي ذهبت إليه؟ متجر أثقال؟ سأحتاج إلى رحلتين، فأنا لا أتمتّع بعضلات كبيرة مثل إنزو. علّقتُ قائلة: "يبدو ثقيلًا".

ضحكَت قائلة: "حقًّا؟ لم أجده كذلك. ربّما حان الوقت لتبدأي بممارسة الرياضة يا ميلي، فأنت تخسرين لياقتك".

احمرّ خدّاي. أنا أخسر من لياقتي؟ لا يبدو أنّ نينا تملك أوقية من العضلات. فهي لا تعمل مطلقًا، على حدّ علمي، ولم أرها يومًا بحذاء رياضي.

بينما كنت أشقّ طريقي ببطء وصعوبة نحو السلّم مع كيسين كبيرين، صاحت نينا مجدّدًا: "أوه، بالمناسبة يا ميلي".

صررت على أسناني قائلة: "نعم؟".

استدارت نينا في جلستها لتنظر إليّ وقالت: "اتّصلت بالمنزل الليلة الماضية. كيف يعقل ألّا يجيب أحد؟".

تجمّدتُ وارتجفت ذراعاي تحت وزن الأكياس. "ماذا؟".

كرّرت كلامها بوتيرة أبطأ هذه المرّة. "اتّصلت برقم المنزل الليلة الماضية، نحو الساعة الحادية عشرة. تعتبر الإجابة على هاتف المنزل إحدى مسؤولياتك، ولكن لا أنت ولا آندرو أجبتما".

"اممم". وضعت الأكياس على الأرض للحظة وفركت ذقني، كما لو أنّني أفكّر. "ربّما كنت قد نمت بحلول ذلك الوقت، وصوت الهاتف ليس مرتفعًا بما فيه الكفاية لإيقاظي. أمّا آندرو، فربّما خرج؟".

قوّست أحد حاجبيها. "خرج آندرو عند الساعة الحادية عشرة ليلة أحد؟ مع من؟".

رفعت كتفيّ مجيبة: "لا فكرة لديّ. هل جرّبتِ الاتّصال بهاتفه المحمول؟".

أعلم أنّها لم تفعل، فقد كنت مع آندرو عند الساعة الحادية عشرة. كنّا في الفندق معًا.

"لم أفعل"، لكنّها لم تقدّم أيّ تفسير إضافي.

تنحنحتُ قائلة: "حسنًا، كما قلت، كنت في غرفتي في ذلك الوقت. وليست لديّ أيّ فكرة عمّا كان يفعله".

"همم". أصبحت عيناها الزرقاوان الشاحبتان أكثر قتامة وهي تحدّق إليّ من غرفة المعيشة. "أنت على حقّ، عليّ أن أسأله هو".

أومأت برأسي موافقة، وشعرت بالارتياح لأنّها لم تطرح مزيدًا من الأسئلة. هي لا تعرف ما حدث، لا تعرف أنّنا ذهبنا إلى المدينة معًا، وشاهدنا العرض الذي كان من المفترض أن تشاهده هي معه، ومن ثمّ أمضينا الليلة في فندق بلازا. الله وحده يعلم ما الذي ستفعله بي إذا عرفت.

لكنّها لا تعرف.

حملتُ الأكياس بقيّة الطريق على السلّم، ثمّ وضعتها في غرفة النوم الرئيسة، وفركت ذراعيّ اللتين تخدّرتا خلال الرحلة. انجذب نظري إلى الحمّام الذي نظّفته هذا الصباح، مع أنّه كان نظيفًا على غير عادته منذ ذهاب نينا. دخلتُ الحمّام. كان حجمه بحجم غرفتي في الأعلى، مع حوض استحمام كبير من البورسلين. أمّا حافّة الحوض، فكانت أعلى من العادة، تصل إلى مستوى ركبتيّ.

عبست وأنا أتأمّل الحوض وأتخيّل ما حدث خلال كلّ تلك السنوات. سيسيليا الصغيرة تستحمّ في الحوض وهو يمتلئ ببطء بالماء. فجأة، تمسك نينا بابنتها، وتدفعها تحت الماء، وتراقبها وهي تشهق...

أغمضتُ عينيّ وأشحت بنظري. لا يمكنني التفكير في ذلك. غير أنّني لا أستطيع أن أنسى أيضًا مدى هشاشة نينا العاطفية. لا يجب أن تعرف أبدًا بما حدث بيني وبين آندرو الليلة الماضية. فذلك سيدمرّها، وبعد ذلك ستدمّرني.

هكذا مددت يدي إلى جيبي وأخرجت هاتفي، ثمّ أرسلت رسالة إلى رقم آندرو:

مجرّد تحذير: نينا اتّصلت بالمنزل الليلة الماضية.

آندرو يعرف ما يجب فعله، كما هو الحال دائمًا.

الفصل 30

أصبح المنزل أكثر هدوءًا بغياب سيسيليا.

صحيح أنّها تمضي معظم الوقت في غرفتها، إلّا أنّها تجلب معها طاقة ما. وبغيابها، يحلّ الصمت كما يبدو على منزل آل وينشستر. فوجئت أيضًا أنّ نينا بدت أكثر بهجة. وحمدًا لله، لم تطرح مجدّدًا مسألة الاتّصال الهاتفي في الليلة التي ذهبنا فيها.

كنّا أنا وآندرو نتجنّب بعضنا البعض بعناية، وليس هذا بالأمر السهل لأنّنا نعيش في المنزل نفسه. كلّما مررنا ببعضنا، نشيح بنظرنا بعيدًا. وكما آمل، سنتمكّن من تجاوز المسألة، لأنّني لا أريد فقدان هذه الوظيفة. فالأمر سيّئ بما فيه الكفاية ألّا أتمكّن من عيش علاقة حقيقية مع أوّل رجل أعجبني منذ عقد من الزمن.

الليلة، أسرعتُ في تحضير العشاء حتّى أتمكّن من وضعه على الطاولة قبل وصول آندرو. ولكن بينما كنت أحمل كوبين من الماء إلى غرفة الطعام، اصطدمت بآندرو مباشرة. فانزلق أحدهما من يدي وتحطّم على الأرض.

صرخت قائلة: "تبًّا!".

جازفت بنظرة إلى آندرو. كان يرتدي بدلة كحلية مع ربطة عنق داكنة، وبدا كالعادة، وسيمًا على نحو مدمّر. كان في العمل طوال اليوم وقد بدأت لحيته بالظهور الأمر الذي جعله أكثر جاذبية. التقت نظراتنا لجزء من الثانية، وشعرت بالانجذاب إليه رغمًا عنّي. هو أيضًا اتّسعت عيناه، وأنا متأكّدة من أنّه شعر بالشيء نفسه.

قال: "سأساعدك في تنظيفها".

"لا داعٍ لذلك".

غير أنّه أصرّ على مساعدتي. فقمت بكنس القطع الكبيرة من الزجاج، بينما حمل المجرفة وتخلّص منها في المطبخ. ما كانت نينا لتساعدني إطلاقًا، لكنّ آندرو ليس مثلها. بينما كان يأخذ المكنسة منّي، تلامست أصابعنا. فالتقت نظراتنا مجدّدًا، وهذه المرّة لم نستطع تجاهل الشرارة. كنت أشعر بألم جسدي لأنّني لا أستطيع أن أكون مع هذا الرجل.

قال بصوت أجشّ: "ميلي".

شعرت بجفاف في حلقي. كان على بعد خطوة منّي، ولو انحنيت إلى الأمام، لعانقني.

"آه كلّا! ماذا حدث؟".

عندما سمعنا صوت نينا، قفزنا أنا وآندرو بعيدًا عن بعضنا البعض كما لو أنّ نارًا اشتعلت فينا. أمسكتُ بالمكنسة بقوّة إلى أن ابيضّت أصابعي وقلت: "لقد أسقطتُ كأسًا. وأنا، كما تعلمين... أنظّف الزجاج".

تحوّل نظر نينا إلى الأرض، وهناك، كانت كسر الزجاج تلمع تحت مصابيح السقف. "أوه ميلي، من فضلك كوني أكثر حذرًا في المرّة القادمة".

لقد عملت هنا لأشهر ولم أُسقط أو أكسر شيئًا. حسنًا، باستثناء تلك الليلة التي قبضت علينا فيها أنا وآندرو ونحن نشاهد التلفاز في وقت متأخّر من الليل. ولكنّها لم تعرف بأمر ذلك الكأس. "نعم، أنا آسفة. سأنظّف المكان بالمكنسة الكهربائية".

تتبّعني آندرو بنظراته وأنا أعود إلى خزانة الأدوات (التي يتجاوز حجمها بقليل حجم غرفتي في الطابق العلوي)، وضعتُ فيها المكنسة اليدويّة وأخرجت المكنسة الكهربائية. بدا تعبير ألم على وجهه، وأيًّا يكن ما أراد قوله لي قبل دقيقة، فما زال راغبًا في قوله. لكنّه لا يستطيع - ليس بوجود نينا معنا في الغرفة.

أو ربّما يمكنه ذلك.

همس في أذني، وهو يتبع نينا إلى غرفة المعيشة لانتظاري حتّى أنتهي من التنظيف: "علينا أن نتحدّث لاحقًا، اتّفقنا؟".

أومأت برأسي موافقة. لا أعرف ما الذي يريد أن قوله لي، لكنّني اعتبرت ذلك علامة جيّدة. فقد اتّفقنا أساسًا على عدم التحدّث عن تلك الليلة التي أمضيناها في فندق بلازا. أمّا إذا أراد مراجعة قراره...

كلا، لا أريد أن أرفع سقف آمالي.

بعد نحو عشر دقائق، انتهيت من تنظيف المكان، وذهبت لمناداة آندرو ونينا للعودة إلى غرفة الطعام. كانا جالسَين على الأريكة، لكن على طرفَي نقيض، ينظران إلى هاتفيهما، ولا يحاولان التحدّث معًا. ولاحظت أنّهما بدءا بفعل الشيء نفسه في وقت العشاء.

لحقا بي إلى غرفة الطعام، وجلست نينا أمام آندرو. نظرت إلى طبق اللحم مع صلصة التفاح والبروكوليني. فابتسمت لي، وعندئذ لاحظتُ أنّ أحمر الشفاه الفاقع الذي تضعه يتجاوز خطّ فمها قليلًا. فقد كان مائلًا بعض الشيء من الجهة اليمنى، الأمر الذي أضفى عليها مظهر مهرّج شيطاني. "يبدو شهيًا يا ميلي".

"شكرًا لك".

قالت: "أليست الرائحة رائعة يا آندي؟".

تناول شوكته قائلًا: "أمّ، شهيّة جدًّا".

تابعت نينا: "أنا واثقة أنّك لم تحصلي على طعام كهذا في السجن يا ميلي، أليس كذلك؟".

هذا ما يسمّونه بالأداء الملحميّ!

ابتسمت نينا بسرور بشفتيها المخيفتين. أمّا آندرو، الجالس أمامها، فراح يحدّق إليّ بذهول. من الواضح أنّ هذه المعلومة جديدة بالنسبة إليه.

قلت: "ممم".

ألحّت قائلة: "ما نوع الطعام الذي كانوا يقدّمونه لكم هناك؟ لطالما شعرت بالفضول حيال ذلك. ماذا يشبه طعام السجون؟".

لم أعرف ماذا أقول، فأنا لا أستطيع إنكار ذلك. إنّها تعرف ماضيّ. "لا بأس به".

"حسنًا، أتمنّى ألّا تستلهمي من أيّ من الوجبات التي تناولتها هناك". ضحكت مضيفة: "بل واظبي على ما تحضّرينه، أنت تقومين بعمل جيّد".

تمتمت قائلة: "شكرًا لك".

شحب وجه آندرو تمامًا. بالطبع، لم تكن لديه أيّ فكرة أنّني كنت في السجن، حتّى إنّني لم أفكّر في إخباره. بطريقة ما، عندما أكون معه، تبدو لي تلك الفترة من حياتي وكأنّها من الماضي البعيد، حقبة من حياة أخرى. لكنّ معظم الناس لا يرون الأمر بهذه الطريقة. فبالنسبة إلى معظم الناس، أنا مجرّد محكومة.

وتريد نينا أن تضعني في مكاني.

في تلك اللحظة، كنت يائسة للهرب من تعبير آندرو المصدوم. فاستدرت للعودة إلى غرفتي، وكدت أقترب من السلّم عندما نادتني نينا. "ميلي؟".

توقّفتُ وقد تصلّب ظهري. تطلّب الأمر كلّ ما أملكه من قدرة على ضبط النفس لكي لا أصرخ في وجهها وأنا أستدير. عندما عدت ببطء إلى غرفة الطعام، رسمتُ ابتسامة مصطنعة على وجهي. "نعم نينا؟".

عبسَت قائلة: "لقد نسيتِ وضع عبوتَي الملح والفلفل. ومع الأسف، فإن هذا اللحم يحتاج إلى قليل من الملح. أتمنّى أن تكوني أكثر سخاء مع التوابل في المستقبل".

"صحيح، أنا آسفة".

عدت إلى المطبخ وأحضرت زجاجتَي الملح والفلفل عن المنضدة. كانتا على بعد ستّة أقدام تقريبًا من مكان جلوس نينا في الغرفة الأخرى. أحضرتها إلى غرفة الطعام، وعلى الرغم من جهودي لعدم القيام بذلك، إلّا أنّني وضعتها على الطاولة بعنف. وعندما نظرتُ إلى نينا، رأيت زاويتَي فمها ترتعشان.

قالت: "شكرًا جزيلًا لك يا ميلي. من فضلك لا تنسي ذلك ثانية".

أتمنّى أن تدوس على كسرة زجاج.

لم أستطع حتّى النظر إلى آندرو، فالله أعلم بما يفكّر فيه. لا أصدّق أنّني تخيّلت مستقبلًا معه. لم أفعل حقًّا، ولكن لجزء من الثانية... حسنًا، لقد حدثت أشياء أكثر غرابة بعد، لكن لم يعد لذلك أيّ أهمّية الآن. بدا مرعوبًا عندما ذكَرت أنّني كنت في السجن. فقط لو استطعت أن أشرح...

تمكّنتُ من الوصول إلى الدرج هذه المرّة من دون أن تناديني نينا لتطلب، لا أدري، ربّما نقل الزبدة من جهة من الطاولة إلى أخرى أو شيء من هذا القبيل. صعدت الدرجات المؤدّية إلى الطابق الثاني، ومن ثمّ السلّم الأضيق والأكثر ظلمةً المؤدّي إلى غرفة نومي. أغلقت الباب خلفي، وتمنّيت ككثير من المرّات لو كان بإمكاني أن أقفله.

سقطت على سريري، محاولة مقاومة الدموع التي بدأت تتجمّع في عينَيّ. تساءلت منذ كم من الوقت تعرف نينا عن ماضيّ. هل اكتشفت ذلك مؤخّرًا، أم أنّها تحقّقت بالفعل من تاريخي عندما وظّفتني؟ ربّما أحبّت فكرة توظيف محكومة، فتاة يمكنها التسلّط عليها. فأيّ امرأة أخرى، كانت لتستقيل منذ أشهر.

بينما كنت جالسة على سريري أتحسّر على نفسي، لفت انتباهي شيء ما على منضدتي.

كانت نسخة عن برنامج المسرحية.

تناولتها مربكة. ماذا تفعل تلك الورقة على منضدتي؟ كنت قد وضعتها في حقيبة يدي بعد العرض، واحتفظت بها هناك كتذكار عن تلك الليلة السحرية. كانت حقيبتي على الأرض، مسندة إلى خزانة الملابس. كيف وصلت إذًا إلى المنضدة؟ أنا متأكّدة من أنّني لم أخرجها من هناك، كنت واثقة من ذلك.

لا شكّ في أنّ شخصًا آخر وضعها هناك. صحيح أنّني أقفلت باب الغرفة، لكنّني لست الوحيدة التي تملك مفتاحًا هنا.

شعرت بانقباض في معدتي. أخيرًا فهمت لماذا ذكرَت نينا أنّني كنت في السجن. إنّها تعلم أنّني شاهدت العرض مع آندرو، وتعلم أنّنا كنّا في مانهاتن معًا، بمفردنا. لست واثقة ممّا إذا كانت تعلم أنّنا قضينا الليلة في فندق بلازا، لكنّها تعلم أنّنا لم نكن في المنزل عند الساعة الحادية عشرة ليلًا. وأنا واثقة من أنّها، إذا كانت ذكية بما فيه الكفاية، فيمكنها معرفة ما إذا كنّا قد سجّلنا وصولنا إلى الفندق أم لا.

نينا تعرف كلّ شيء.

لقد باتت لديّ عدوّة خطيرة.

الفصل 31

كجزء من نظام التعذيب اليومي الجديد، أصبح هدف نينا جعل التسوّق تحدّيًا بالنسبة إليّ قدر الإمكان.

كتبَت قائمة بالأغراض التي نحتاج إليها من المتجر، ولكن كانت كلّها محدّدة للغاية. فهي لا تريد حليبًا، بل تريد حليبًا عضويًا من مزرعة كوينزلاند. وإذا لم يكن العنصر الذي تريده بالضبط متوفّرًا، يتحتّم عليّ أن أرسل لها رسالة نصّية لإخبارها بذلك، فضلًا عن صور للبدائل المحتملة. فتمضي وقتها في مراسلتي، بينما أقف هناك، في جناح الحليب اللعين، بانتظار أن تقرّر.

الآن، أنا في جناح الخبز، أرسل لنينا رسالة نصّية:

لم يعد لديهم خبز نانتوكيت المخمّر. إليك بعض البدائل الممكنة.

أرسلت إليها لها صورًا لكلّ أنواع الخبز المخمّر المتوفّرة لديهم. والآن عليّ الانتظار حتّى تتفحّصها. بعد عدّة دقائق، تلقّيت منها رسالة نصّية:

هل لديهم بريوش؟

عليّ الآن أن أرسل لها صورًا لكلّ قطع البريوش الموجودة في المتجر. أقسم أنّ عقلي يكاد ينفجر قبل انتهاء رحلة التسوّق هذه. إنّها تعذّبني عمدًا، ولكن لكي نكون منصفين، لقد نمت مع زوجها بالفعل.

بينما كنت ألتقط صورًا للخبز، لاحظت رجلًا ضخم الجثّة، وأشيب الشعر يراقبني من الطرف الآخر للجناح. حتّى إنّه لم يحاول إخفاء ذلك. عندما رمقته بنظرة، تراجع، حمدًا لله. فأنا لا أريد التعامل مع مُطارد فوق كلّ ذلك.

بينما كنت أنتظر نينا للتفكير في الخبز قليلًا بعد، شرد فكري. كالعادة، يشرد فكري في آندرو وينشستر. فبعد أن كشفت نينا أنّني كنت في السجن، لم يحاول آندرو "التحدّث" معي كما سبق وقال. لقد خاف منّي فعلًا، ولا يمكنني لومه.

يعجبني آندرو، كلّا هو لا يعجبني وحسب، بل أنا مغرمة به. إنّني أفكّر فيه طوال الوقت، ومن المؤلم أن أعيش معه تحت سقف واحد من دون أن أكون قادرة على التصرّف وفقًا لمشاعري تجاهه. علاوة على ذلك، هو يستحقّ امرأة أفضل من نينا. وأنا قادرة على إسعاده إعطائه الطفل الذي يريده. وفي النهاية، أيّ امرأة تعتبر أفضل منها.

لكن مع أنّه يعلم أنّه ثمّة شرارة بيننا، إلّا أنّ شيئًا لن يحدث. فقد بات على علم بكوني خرّيجة سجون، ولن يرغب في إقامة علاقة مع محكومة سابقة. لذلك سيستمرّ في حياته التعيسة مع تلك المشعوذة، وربّما لبقيّة حياته.

أزّ هاتفي مجدّدًا.

هل من خبز فرنسي؟

استغرق الأمر عشر دقائق أخرى، لكنّني تمكّنت من العثور على خبز يلبّي توقّعات نينا. وبينما كنت أدفع العربة للخروج، لاحظتُ ذاك الرجل الضخم مجدّدًا. كان يحدّق إليّ حتمًا. والأكثر إثارة للقلق، أنّه لا يجرّ عربة تسوّق. ما الذي يفعله إذًا؟

دفعت ثمن المشتريات بأسرع ما يمكن، ثمّ وضعت الأكياس الورقية مجدّدًا في العربة، لأجرّها إلى المرآب الذي ركنتُ فيه سيّارتي. ولكن عندما اقتربت من المخرج، قبضَت يد على كتفي. التفتُّ لأرى ذاك الرجل واقفًا بقربي.

"المعذرة!" حاولت الإفلات منه، ولكنّه أمسك بذراعي بقوّة. فشددت قبضتي اليمنى. على الأقلّ كان ثمّة عدد من الناس يروننا، ولذلك لديّ شهود. "ماذا تظنّ نفسك فاعلًا؟".

أشار إلى بطاقة التعريف الصغيرة المتدلّية من ياقة قميصه، والتي لم ألاحظها من قبل. "أنا من أمن المتجر. هلّا أتيت معي يا آنسة؟".

شعرت بالدوار. يكفي أنّني أمضيت نحو تسعين دقيقة في هذا المكان، لشراء حفنة من الأغراض، والآن يتمّ توقيفي؟ لماذا؟

ازدردت لعابي قائلة: "ما الخطب؟".

كنّا قد اجتذبنا حشدًا من الناس، ولاحظتُ بينهم امرأتين من المدرسة، ستبلغان نينا بسرور أنّهما شاهدتا أمن المتجر يقبض على مدبّرة منزلها.

قال الرجل مجدّدًا: "تعالي معي من فضلك".

دفعتُ العربة معنا لأنّني خشيت تركها ورائي. فهي تحتوي على ما يزيد عن مائتي دولار من المشتريات، وإن ضاعت أو تمّت سرقتها، نينا ستجبرني على دفع ثمنها جميعًا. تبعت الرجل إلى غرفة صغيرة تحتوي على مكتب خشبي تكسوه الخدوش ومقعدين بلاستيكيين أمامه. أشار إليّ الرجل للجلوس، فجلست على أحدهما، وناء تحت وزني.

"لا بدّ من وجود خطأ..." نظرت إلى بطاقة تعريف الرجل، كان اسمه بول دورسي. "ما سبب ذلك سيّد دورسي؟".

عبس في وجهي قائلًا: "أبلغني أحد العملاء أنّك كنت تقومين بسرقة أشياء من المتجر".

شهقت مجيبة: "يستحيل أن أفعل ذلك!".

"ربّما لا". أدخل إبهامه في حلقة حزامه متابعًا: "لكن عليّ التحقّق. هل يمكنني إلقاء نظرة على الإيصال، من فضلك يا آنسة...؟".

"كالواي". بحثت في حقيبتي إلى أن أخرجت قصاصة الورق المجعّدة. "ها هو".

قال: "مجرّد تحذير، نحن نلاحق قضائيًا جميع السارقين".

جلست على الكرسي البلاستيكي، وقد غزا الاحمرار خدّيّ، بينما كان الحارس يتحقّق بدقّة من جميع مشترياتي ويطابقها مع ما يوجد في العربة. تقلّصت معدتي وأنا أفكّر في الاحتمال الرهيب ألّا يكون موظّف الصندوق قد سجّل كلّ شيء كما ينبغي، وسيبدو الأمر بالتالي أنّني سرقت شيئًا. ماذا الذي سيحدث عندئذٍ، بما أنّهم يلاحقون جميع السارقين. سيتّصلون بالشرطة، وسيكون ذلك انتهاكًا لإطلاق السراح المشروط بكلّ التأكيد.

خطر ببالي أن ذلك يناسب نينا تمامًا. فبذلك ستتخلّص منّي من دون أن تضطرّ إلى طردي وتظهر بصورة المرأة اللئيمة. كما أنّها ستنفّذ انتقامها منّي لأنّني نمت مع زوجها. بالطبع، من الصعب بعض الشيء أن يُسجن المرء بتهمة الخيانة، ولكنّني أشعر أنّ نينا تنظر إلى الأمر بطريقة مختلفة.

لا يمكن لذلك أن يحدث، فأنا لم أسرق شيئًا من المتجر، لذا من المستحيل أن يجد في تلك العربة شيئًا ليس مذكورًا في الإيصال.

أليس كذلك؟

شاهدته وهو يدقّق في الورقة بينما كانت علبة مثلّجات الفستق في العربة تتحوّل على الأرجح إلى سائل. أخذ قلبي ينبض وبالكاد استطعت التنفّس. لا أريد العودة إلى السجن، لا أريد، لا يمكنني ذلك. أفضّل الانتحار على العودة إلى ذلك المكان.

قال أخيرًا: "حسنًا، يبدو أنّ كلّ شيء متطابق".

كدت أنفجر باكية. "صحيح، بالطبع".

تمتم قائلًا: "أنا آسف لإزعاجك بهذا الشكل آنسة كالواي. فنحن نواجه كثيرًا من المشاكل مع السارقين، ولذلك كان عليّ التعامل مع المسألة بجدّية. لقد تلقّيت مكالمة هاتفية نبّهتني أنّه ثمّة زبونة تتطابق أوصافها معك ربما تخطّط لأخذ شيء ما".

اتّصال هاتفي؟ من سيتّصل بمتجر لإعطائه أوصافي وإخبار رجال الأمن أنّني أخطّط لسرقة شيء ما؟ من قد يفعل شيئًا كهذا؟

لا يمكنني التفكير سوى في شخص واحد قد يقدم على ذلك.

قال: "على أيّ حال، شكرًا على تفهّمك، يمكنك الذهاب الآن".

كانت تلك أجمل ثلاث كلمات سمعتها في حياتي. *يمكنك الذهاب الآن*. سأغادر هذا المتجر بكامل حرّيتي وأنا أدفع عربة التسوّق أمامي. سأعود إلى البيت. هذه المرّة.

لكن لديّ شعور رهيب أنّ هذه المسألة لم تنته، فنينا لم تفرغ كلّ ما في جعبتها بعد.

الفصل 32

لم أستطع النوم.

مرّت ثلاثة أيّام منذ حادثة المتجر، ولا أعرف ماذا يجدر بي فعله تاليًا. كانت نينا لطيفة بما فيه الكفاية، ولذلك ربّما شعرت أنّني تعلّمت درسي حول من تكون سيّدة هذا المنزل. وربّما لم تكن تسعى إلى إعادتي إلى السجن في النهاية.

لكن لم يكن هذا سبب تقلّبي في فراشي هذه الليلة.

في الحقيقة، أنا لا أكفّ عن التفكير في آندرو. أفكّر في تلك الليلة التي قضيناها معًا، وفي مشاعري عندما أكون معه. لم يسبق لي أن شعرت هكذا من قبل. وإلى أن ألقت نينا قنبلتها حول ماضيّ، كان شعوري متبادلًا، أعرف ذلك.

لكنّ الأمور اختلفت الآن. هو يعتقد أنّني لست سوى مجرمة.

ركلت الغطاء عن ساقيّ. كان الجوّ حارًّا على نحو خانق في غرفتي، حتّى ليلًا. فقط لو كان بإمكاني فتح تلك النافذة اللعينة، ولكن أشكّ في أنّ نينا ستفعل شيئًا يجعلني أكثر ارتياحًا هنا.

أخيرًا، نزلت إلى المطبخ في الطابق السفلي. كان لديّ برّاد صغير في غرفتي، ولكنّني لا أضع فيه كثيرًا من الطعام، فهو صغير جدًّا على ذلك. لم يكن يحتوي سوى على زجاجات المياه الثلاث الصغيرة التي تركتها نينا فيه، والتي لا تزال على حالها.

بينما كنت في طريقي إلى المطبخ، لاحظت مصباحًا مضاءً على الشرفة الخلفية. فعبست واقتربت من الباب. عندئذ، أدركت سبب المصباح المضاء، فقد كان ثمّة شخص هناك.

إنّه آندرو.

كان جالسًا بمفرده على أحد المقاعد يشرب من زجاجة.

تسلّلت بهدوء من الباب الخلفي، وعندما رآني بدت عليه الدهشة، لكنّه لم يقل شيئًا، بل اكتفى بأخذ جرعة أخرى من زجاجته.

قلت: "مرحبًا".

قال: "أهلًا".

شددت على يديّ وسألته: "هل يمكنني الجلوس هنا؟".

"بالتأكيد، اجلسي براحتك".

دستُ على الألواح الخشبية الباردة التي تغطّي أرضية الشرفة، ثمّ جلست على المقعد المجاور له، متمنّية لو كان لديّ كأس شراب أنا الأخرى. لم ينظر إليّ حتّى، بل واصل الشرب من زجاجته وهو يحدّق إلى الحديقة الخلفية الهائلة.

"أريد أن أشرح". تنحنحت مضيفة: "أعني، لماذا لم أخبرك عن..."

"لست مضطرّة لتشرحي شيئًا". نظر إليّ ومن ثمّ إلى زجاجته. "من الواضح تمامًا لماذا لم تخبريني".

"أردت ذلك". لم يكن ذلك صحيحًا، فأنا لم أرغب في إخباره. لم أشأ أن يعرف شيئًا، مع أنّ ذلك كان غير واقعي على الإطلاق. "على أيّ حال، أنا آسفة".

راح يميل الزجاجة بيده قائلًا: "إذًا، لماذا سُجنت؟".

أنا أتمنّى حقًّا لو كانت معي زجاجة. فتحت فمي، ولكن قبل أن أعرف ماذا أقول، قال: "انسَي الأمر، لا أريد أن أعرف، فهذا ليس من شأني".

عضضت على شفتي قائلة: "اسمع، أنا آسفة لأنّني لم أخبرك. كنت أحاول ترك الماضي ورائي، ولم أقصد إيذاء أحد".

"نعم..."

"و..." حدّقت إلى يديّ في حضني. "كنت محرجة. لم أرغب في أن أسقط من نظرك، فرأيك يعني لي الكثير".

التفت إليّ، ولان نظره تحت ضوء الشرفة الخافت. "ميلي..."

"أريدك أن تعرف أيضًا..." أخذت نفسًا عميقًا. "أنّني قضيت وقتًا رائعًا حقًّا تلك الليلة، كانت من أجمل الليالي التي عشتها على الإطلاق، بفضلك. ومهما حدث لاحقًا، أودّ أن أشكرك على ذلك. أنا... أنا أردت أن تعرف ذلك".

ظهرت تجعيدة بين حاجبيه. "أنا أيضًا قضيت وقتًا رائعًا. لم أشعر بهذه السعادة منذ..." جعّد أنفه متابعًا: "منذ مدّة، حتّى إنّني لم أكن أدرك ذلك".

حدّقنا إلى بعضنا البعض للحظة. كانت لا تزال بيننا تلك الشرارة، فقد رأيت ذلك في عينيه أيضًا. أخيرًا، ألقى نظرة على باب الشرفة، وقبل أن أدرك ما يحدث، عانقني.

شعرت أنّ دهرًا قد انقضى، ولكن لم تمرّ على الأرجح سوى ستّين ثانية. عندما ابتعد، كان ثمّة أسف في عينيه. "لا أستطيع..."

"أعلم..."

من المستحيل أن يكون بيننا شيء، وذلك لأسباب عديدة. ولكن إذا أراد المضيّ في ذلك، فأنا مستعدّة للمجازفة، حتّى لو كان ذلك يعني تحويل نينا إلى عدوّة لي. أنا مستعدّة للمجازفة، من أجله.

لكن بدلًا من ذلك، نهضت وتركته على الشرفة مع زجاجته.

شعرتُ ببرودة ألواح الخشب التي تغطّي الدرج تحت قدميّ الحافيتين وأنا أعود إلى الطابق الثاني. كان رأسي لا يزال يدور وأنا أفكّر أنّه لا يمكن أن تكون هذه المرّة الأخيرة. مستحيل. فقد رأيت الطريقة التي ينظر بها إليّ، وعرفت أنّه يكنّ لي مشاعر حقيقية. ومع أنّه بات يعرف ماضيّ، إلّا أنّني ما زلت أعجبه. المشكلة الوحيدة هي -

مهلًا. ما هذا؟

تجمّدت عند أعلى الدرج، فقد كان ثمّة ظلّ في الرواق. حدّقتُ محاولة أن أتبيّن الصورة في الظلام.

أخيرًا تحرّك.

صدرت عنّي شهقة وكدت أسقط من أعلى الدرج، لكنّني تمسّكت بالدرابزين ونجوت في اللحظة الأخيرة. اقترب الظل منّي، واستطعت رؤية صاحبته أخيرًا.

كانت نينا.

شهقتُ قائلة: "نينا".

لماذا تقف في الرواق؟ هل كانت في الطابق السفلي؟ هل رأتنا أنا وآندرو؟

"مرحبًا ميلي". كانت الردهة مظلمة، ولكنّ بياض عينيها كان يتوهّج تقريبًا.

"ماذا... ماذا تفعلين هنا؟".

عبست في وجهي، وألقى ضوء القمر ظلالًا مزعجة حول وجهها. "إنّه منزلي، ولست مضطرّة لشرح مكان تواجدي".

بالطبع، هذا ليس منزلها حقًّا، فآندرو هو الذي يملك هذا المنزل. ولو لم يكونا متزوّجَين، لما استطاعت العيش هنا. وإذا قرّر اختياري أنا، فسيصبح هذا منزلي.

كانت هذه الأفكار جنونية، وبالطبع، يستحيل أن تتحقّق.

"أنا آسفة".

كتفت ذراعيها قائلة: "ماذا تفعلين أنت هنا؟".

"أنا... لقد نزلت لشرب الماء".

"أليس لديك ماء في غرفتك؟".

كذبت مجيبة: "شربته كلّه". وأنا واثقة من أنّها عرفت أنّني أكذب، بالنظر إلى أنّها تتطفّل على غرفتي.

لزمَت الصمت للحظة. "آندي ليس في السرير. أهو في الطابق السفلي؟".

"أنا، أوه... أعتقد أنّه على الشرفة الخلفية".

"حسنًا".

"ولكنّني لست واثقة، فأنا لم أتحدّث معه".

بدا لي من النظرة التي ألقتها عليّ نينا أنّها لا تصدّق كلمة ممّا قلت. وهذا ليس مستغربًا بما أنّ كلّ ما قلته كان مجرّد أكاذيب. "سأذهب للاطمئنان عليه".

"وأنا سأصعد إلى غرفتي".

أومأت برأسها ومرّت من أمامي، ثمّ دفعتني جانبًا من كتفي. كان قلبي ينبض، ولم أستطع أن أتخلّص من شعوري أنّني ارتكبت خطأ فادحًا بمعاداة نينا وينشستر. مع ذلك، لا يبدو أنّني قادرة على مقاومة ذلك.

الفصل 33

يوم الأحد عطلة، وقد قرّرت تمضيته خارج المنزل. كان يومًا صيفيًا جميلًا، لا حارًّا ولا باردًا، لذلك قدت سيّارتي إلى المنتزه المحلّي وجلست على أحد المقاعد لقراءة كتابي. عندما يكون المرء في السجن، فإنّه ينسى تلك الملذّات الصغيرة، أي مجرد الخروج والقراءة في الحديقة. غير أنّني رغبت بذلك في بعض الأحيان لدرجة الألم الجسديّ.

لن أعود إلى هناك أبدًا، أبدًا.

أخذت شيئًا لتناوله من مطعم للوجبات السريعة، ثم عدت بالسيّارة إلى المنزل. كان منزل آل وينشستر جميلًا حقًّا. ومع أنّني بدأت أكره نينا، إلّا أنّني لا أستطيع أن أكره ذلك المنزل، فهو منزل جميل.

ركنت سيّارتي في الشارع كالعادة وتوجّهت إلى الباب. كانت السماء تتلبّد بالسحب طوال طريق العودة، وما إن وصلت، حتّى ألقت السحب حِملها وبدأت قطرات المطر تتساقط من السماء. ففتحت الباب، ودخلت مسرعة قبل أن أبتلّ.

عندما دخلت غرفة المعيشة، وجدت نينا جالسة على الأريكة في شبه ظلام. لم تكن تفعل شيئًا. لم تكن تقرأ، ولا تشاهد التلفاز، بل كانت جالسة هناك وحسب. وعندما فُتح الباب، التفتت إليّ.

قلت: "نينا؟ هل كلّ شيء على ما يرام؟".

"ليس حقًّا". ألقت نظرة إلى الطرف الآخر من الأريكة، فلاحظتُ وجود كومة من الملابس بجانبها. كانت الملابس نفسها التي أصرّت عليّ لأخذها منها عندما بدأتُ العمل هنا. "ماذا تفعل ملابسي في غرفتك؟".

حدّقتُ إليها بذهول، بينما لمع البرق في الغرفة. "ماذا؟ ما الذي تتحدّثين عنه؟ أنت التي أعطيتني تلك الملابس".

"أنا أعطيتك إيّاها!" ضحكَت ساخرة وتردّد صدى ضحكتها في الغرفة، ولكن جزئيًّا وحسب بفعل صوت الرعد. "لماذا أعطي خادمتي ملابس بقيمة آلاف الدولارات؟".

"قلتِ"-بدأت ساقاي ترتجفان-"قلتِ إنّها أصبحت أصغر مقاسًا، وأصررت عليّ لأخذها".

"كيف يمكنك الكذب هكذا؟" اقتربت منّي خطوة، وبدت عيناها الزرقاوان كالجليد. "لقد سرقت ملابسي! أنت لصّة!".

"كلّا..." مددت يدي للإمساك بشيء قبل أن تخذلني ساقاي، ولكنّ يدي أمسكت الهواء. "لم أفعل ذلك مطلقًا".

"ها! هذا ما نلتُه من وثوقي بمحكومة وإدخالها منزلي!".

كان صوتها عاليًا لدرجة أنّ آندرو سمع الضجّة. فاندفع من مكتبه، ورأيت وجهه الوسيم عند أعلى الدرج وقد أضاءه البرق. يا إلهي، ماذا سيظنّني؟ يكفي أنّه عرف بسجلّي الإجرامي، لا أريده أن يعتقد الآن أنّني سرقت شيئًا من منزله.

"نينا؟" نزل الدرج مسرعًا. "ما الذي يجري هنا؟".

"سأخبرك ما الذي يجري!" أعلنَت ذلك بانتصار. "كانت ميلي تسرق ملابس من خزانتي، سرقت كلّ هذه الملابس منّي. فقد وجدتها في خزانتها".

اتّسعت عينا آندرو ببطء. "هي..."

دمعت عيناي وأنا أقول: "أنا لم أسرق شيئًا! أقسم لك. نينا هي التي أعطتني هذه الملابس، وقالت إنّها لم تعد تناسب مقاسها".

"وكأنّنا نصدّق أكاذيبك". ابتسمَت ساخرة وهي تضيف: "سأتّصل بالشرطة. هل تعرفين قيمة هذه الملابس؟".

"كلّا، من فضلك لا..."

"أوه صحيح". ضحكت نينا وهي تنظر إلى تعابير وجهي. "أنت في حالة عفو مشروط، أليس كذلك؟ ومن شأن أمر من هذا أن يعيدك إلى السجن".

نظر آندرو إلى الملابس على الأريكة، وعبس قائلًا: "نينا...".

"سأتّصل بهم". أخرجت نينا هاتفها من حقيبتها. "الله يعلم ماذا سرقت منّا أيضًا، أليس كذلك يا آندي؟".

"نينا". حوّل نظره عن كومة الملابس قائلًا: "ميلي لم تسرق هذه الملابس. أنا أتذكّر أنّك أفرغت خزانتك، ثمّ وضعت كلّ شيء في أكياس القمامة وقلت إنّك ستتبرّعين بها". حمل ثوبًا أبيض صغير المقاس وقال: "أنت لم تتمكّني من ارتداء هذا الثوب منذ سنوات".

شعرتُ بالرضى من الاحمرار الذي غزا وجه نينا. "ما قصدك، أنّني سمينة جدًّا؟".

تجاهل ملاحظتها. "أنا أقصد أنّه من المستحيل أن تسرق هذا منك. لماذا تفعلين ذلك بها؟".

فغرت فاها دهشة: "آندي..."

نظر آندرو إليّ قائلًا: "ميلي". كان صوته لطيفًا عندما لفظ اسمي. "هلّا صعدتِ إلى الطابق العلوي ومنحتنا بعض الخصوصية؟ أودّ التحدّث مع نينا".

وافقتُ بسرور: "نعم، بالطبع".

وقف الاثنان هناك بصمت بينما صعدت السلّم إلى الطابق الثاني. وعندما وصلت إلى أعلاه، توجّهت إلى باب العلية وفتحته. للحظة، وقفت هناك وأنا أفكّر في خطوتي التالية، ثمّ ما لبثت أن أغلقت الباب بهدوء من دون أن أدخل.

تسلّلت بهدوء أكبر هذه المرّة إلى أعلى الدرج، ووقفت عند طرف الردهة قبل الوصول إلى الدرج تمامًا. لم يكن بمقدوري رؤية نينا وآندرو، ولكنّني سمعت

صوتيهما. أعلم أنّه من الخطأ التنصّت، ولكنّني لم أستطع المقاومة. ففي النهاية، سيتضمّن هذا الحديث بشكل شبه مؤكّد اتّهامات نينا لي.

أملت أن يستمرّ آندرو بالدفاع عنّي، حتّى بعد خروجي. هل ستقنعه أنّني سرقت ملابسها؟ ففي النهاية، أنا محكومة. وعندما يرتكب المرء خطأً واحدًا في الحياة، لا أحد يثق به مجدّدًا.

كان آندرو يقول: "... لم تأخذ هذه الملابس، أعلم أنّها لم تفعل".

أجابته نينا: "كيف تدافع عنها؟ كانت الفتاة في السجن، ولا يمكن الوثوق بشخص مثلها. إنّها كاذبة ولصّة، وربّما كانت تستحقّ العودة إلى السجن".

"كيف تقولين شيئًا كهذا؟ لقد كانت ميلي رائعة".

"نعم، أنا متأكّدة من أنّ هذا ما تظنّه".

"متى أصبحتِ بهذه القسوة يا نينا؟" كان صوته يرتجف. "لقد تغيّرتِ، تغيّرتِ كثيرًا".

أجابت: "الجميع يتغيّرون".

خفض صوته بحيث اضطررت إلى الإنصات جيّدًا لسماع صوته بسبب ضجيج المطر في الخارج وهو يهطل على الأرض. قال: "كلّا، ليس بقدرك، فأنا لم أعد أعرفك. أنت لست المرأة نفسها التي أُغرمت بها".

حلّ صمت طويل، اخترقته صاعقة عالية زعزعت جدران المنزل. بمجرّد توقّف الرعد، سمعت نينا تقول بصوت عالٍ وواضح.

"ما الذي تقوله يا آندي؟".

"أعتقد... أعتقد أنّني لم أعد مغرمًا بك يا نينا. أظنّ أنّه علينا أن نفترق".

"لم تعد تحبّني بعد الآن؟ كيف يمكنك قول ذلك؟".

"أنا آسف. كنت أحاول تقبّل الوضع وعيش حياتنا، لكنّني لم أدرك كم كنت تعيسًا".

صمتت نينا طويلًا محاولة استيعاب كلامه. "وهل لهذا علاقة بميلي؟".

حبستُ أنفاسي بانتظار إجابته. كان ثمّة شيء بيننا في تلك الليلة في نيويورك، ولكنّني لن أخدع نفسي بالاعتقاد أنّه يترك نينا بسببي.

قال أخيرًا: "ليس لذلك علاقة بميلي".

"حقًّا؟ هل ستكذب في وجهي وتدّعي أنّ شيئًا لم يحدث بينكما؟".

تبًّا، إنّها تعلم، أو على الأقلّ تشكّ بما حدث.

قال بصوت هادئ للغاية، بحيث شعرت كما لو أنّني أتخيّل: "لديّ مشاعر تجاه ميلي". كيف يمكن لهذا الرجل الثري والوسيم والمتزوّج أن يشعر بشيء تجاهي؟. "ولكن ليس لهذا علاقة بما يحدث بيننا أنا وأنت. أنا لم أعد أحبّك".

"هذا هراء!" ارتفعت نبرة نينا بحيث بدا وكأنّ صوتها يخترق جدران المنزل. "هل تتركني من أجل خادمتنا؟ هذا أسخف ما سمعته على الإطلاق. ألا يحرجك ذلك؟ أهذا ما تستحقّه؟".

كانت نبرته حازمة وهو يقول: "نينا، لقد انتهى كلّ شيء. أنا آسف".

"آسف؟" ضرب الرعد مجدّدًا واهتزّت الأرض من تحتي. "أوه، أنت لا تعرف معنى الأسف بعد..."

حلّ صمت قصير: "المعذرة؟".

هاجمته قائلة: "إذا حاولت المضيّ قدمًا في هذا الأمر، سأدمّرك في المحاكم. سأحرص على أن تبقى بلا أيّ فلس وبلا مأوى".

"بلا مأوى؟ هذا منزلي يا نينا، اشتريته قبل أن نعرف بعضنا. أنا أسمح لك بالبقاء هنا. تذكّري أنّنا وقّعنا على اتّفاقية قبل الزواج، وبعد طلاقنا، سيكون المنزل لي مجدّدًا". صمت مضيفًا: "والآن، أريدك أن ترحلي".

جازفتُ بإلقاء نظرة على السلّم. انخفضتُ قليلًا واستطعت رؤية نينا تقف في وسط غرفة المعيشة، شاحبة الوجه. كانت تفتح فمها وتغلقه كالسمكة. "لا يمكنك أن تكون جادًّا بشأن ذلك يا آندي".

"بل أنا في غاية الجدّية".

وضعت يدها على صدرها. "ولكن... ماذا عن سيسي؟".

"سيسي ابنتك أنت، ولم ترغبي في أن أتبنّاها قطّ".

بدا صوتها وكأنّها تتحدّث وهي تصرّ على أسنانها. "أوه، بدأت أفهم. السبب أنّني عاجزة عن إنجاب طفل آخر. فأنت تريد امرأة أصغر سنًّا تستطيع أن تنجب لك طفلًا. أنا لم أعد مناسبة لك كالسابق".

قال: "ليس هذا هو السبب". مع أنّه قد يكون السبب على صعيد من الصعد. فآندرو يريد طفلًا آخر، ولا يمكنه إنجابه من نينا.

ارتعش صوتها وهي تقول: "آندي، من فضلك لا تفعل ذلك بي... لا تذلّني بهذه الطريقة، من فضلك".

"ارحلي يا نينا، حالًا".

"ولكنّها تمطر!".

بقي آندرو على موقفه: "احزمي حقيبة واخرجي".

كان بإمكاني سماعها تقريبًا وهي تزن خياراتها. أيًّا يكن ما يمكنني قوله عن نينا وينشستر، فهي ليست غبيّة. أخيرًا، تدلّت كتفاها وقالت: "حسنًا، سأرحل".

سمعت خطوات نينا وهي تتّجه نحو الدرج. فأدركت عندئذٍ أنّ الأوان قد فات على الهرب. نظرَت نينا إلى الأعلى ورأتني أقف عند أعلى السلّم، فاشتعل خدّاها غضبًا على نحو لم أره من قبل. كان عليّ العودة إلى غرفتي، ولكنّ ساقاي تجمّدتا بينما كانت تضرب الدرجات بكعبيها واحدة تلو الأخرى.

لمع البرق مرّة أخيرة عندما وصلَت إلى أعلى الدرج، وجعلها الوهج تبدو كأنّها واقفة على أبواب الجحيم.

"هل..." تخدّرت شفتاي وصعب عليّ لفظ الكلمات. "هل تحتاجين إلى المساعدة في حزم أمتعتك؟".

بدت كأنّها ترمي السموم من عينيها، بحيث خشيت أن تمدّ يدها إلى صدري وتنتزع قلبي بيديها. "هل أحتاج إلى المساعدة في حزم أمتعتي؟ كلّا، أعتقد أنّني أستطيع تدبّر الأمر".

ذهبت نينا إلى غرفتها وصفقت الباب وراءها، بينما وقفت هناك غير واثقة ممّا عليّ فعله. كان بإمكاني الصعود إلى العلّية، ولكنّني نظرت إلى الطابق السفلي، ورأيت آندرو لا يزال في غرفة المعيشة. كان ينظر إليّ، فنزلت السلّم للتحدّث معه.

"أنا آسفة جدًّا!" خرجت الكلمات بسرعة. "لم أقصد أن..."

قال: "إيّاك أن تلومي نفسك، كان هذا متوقّعًا منذ زمن طويل".

ألقيت نظرة على النافذة المبلّلة بالمطر: "هل تريد منّي... الذهاب؟".

"كلّا، بل أريد منك البقاء".

لمس ذراعي، فسرت في جسدي قشعريرة. كل ما استطعت التفكير فيه هو أنّني أردت أن أكون معه، ولكن ليس الآن، ليس بوجود نينا في الطابق العلوي.

ولكن قريبًا سترحل.

بعد عشر دقائق تقريبًا، هبطت نينا الدرج وهي تكافح حاملة حقيبة على كلّ كتف. بالأمس، كانت ستجبرني على حملها وهي تضحك من ضعفي، أمّا الآن، فعليها فعل ذلك بنفسها. عندما نظرت إليها، بدت عيناها منتفختين وشعرها مشعّثًا. كان مظهرها رهيبًا، ولا أعتقد أنّني أدركت بالضبط كم عمرها حتّى هذه اللحظة.

توسّلَت إليه قائلة: "من فضلك يا آندي لا تفعل ذلك، من فضلك".

ارتعشت عضلة في فكّه. ضرب الرعد مجدّدًا، ولكنّه كان أخفّ هذه المرّة. كانت العاصفة تبتعد. "سأساعدك في وضع الحقائب في السيّارة".

خنقَت غصّة وقالت: "لا داعي لذلك".

ذهبَت بصعوبة نحو باب المرآب الذي كان بجانب غرفة المعيشة، وهي تكافح مع حقيبتيها الثقيلتين. وعندما حاول آندرو مدّ يده لمساعدتها، دفعته بعيدًا.

جاهدَت لفتح الباب المؤدّي إلى المرآب، ولكن عوضًا عن وضع حقيبتيها على الأرض، حاولت حملهما وفتح الباب في الوقت نفسه. استغرق الأمر منها عدّة دقائق، وأخيرًا لم يعد بإمكاني الاحتمال. فأسرعتُ إلى الباب، وقبل أن تتمكّن من إيقافي، أدرت المقبض وفتحته لها.

قالت: "آه، شكرًا جزيلًا".

لم أعرف بماذا أجيب، بل اكتفيت بالوقوف هناك وهي تدفعني بحقيبتيها. وقبل أن تعبر الباب، مالت نحوي واقترَبَت جدًّا بحيث استطعت أن أشعر بأنفاسها الساخنة على عنقي.

همَست في أذني: "لن أنسى ذلك أبدًا يا ميلي".

أخذ قلبي ينبض بسرعة وتردّد صدى كلماتها في أذني وهي ترمي بحقيبتيها في صندوق سيّارتها اللكزس البيضاء، ثمّ تنطلق خارج المرآب.

تركَت باب المرآب مفتوحًا، فاستطعت أن أرى المطر وهو يتساقط بغزارة على الممرّ قبل تهبّ الرياح في وجهي. وقفت هناك للحظة، أشاهد سيّارة نينا وهي تبتعد. وكدت أن أقفز مجفلة عندما طوّقت ذراع كتفيّ.

بالطبع، كان آندرو وحسب.

سألني: "هل أنت بخير؟".

يا له من رجل رائع. فبعد هذا المشهد البائس، ما زال يفكّر في سؤالي عن حالي. "أنا بخير، ماذا عنك؟".

تنهّد مجيبًا: "كان بإمكاننا أن ننفصل بشكل أفضل، ولكن هذا ما حدث. لم أستطع الاستمرار في العيش بهذه الطريقة، فأنا لم أعد أحبّها".

نظرتُ إلى باب المرآب. "هل ستكون بخير؟ إلى أين ستذهب؟".

لوّح بيده وقال: "لديها بطاقة ائتمان. حتمًا، ستجد غرفة في أحد الفنادق. لا تقلقي بشأن نينا".

ولكنّني قلقة بشأن نينا. أنا قلقة جدًّا بشأن نينا، ولكن ليس كما يعتقد.

أفلت كتفيّ للضغط على الزرّ وإغلاق باب المرآب، ثمّ أخذ بيدي وشدّني بعيدًا. غير أنّني بقيت أراقب باب المرآب وهو يُغلق تمامًا، خشية أن تظهر سيّارة نينا مجدّدًا في اللحظة الأخيرة.

لمعت عينا آندرو وهو يقول: "تعالي يا ميلي، لقد كنت أنتظر بقاءنا بمفردنا".

ابتسمت على الرغم من كلّ شيء: "حقًّا؟".

"ليست لديك أيّ فكرة..."

عانقني، بينما ضرب الرعد مجدّدًا. تخيّلت أنني أسمع محرّك سيّارة نينا في البعيد، ولكنّ ذلك مستحيل، فقد رحلت.

رحلت إلى غير رجعة.

الفصل 34

استيقظتُ في صباح اليوم التالي في غرفة نوم الضيوف، وآندرو بجانبي.

بعد أن رحلت نينا في الليلة الماضية، انتهى بنا الأمر هنا في هذا المكان. فأنا لم أرغب في النوم في السرير الذي كانت تنام فيه نينا قبل ليلة وحسب. ولم يكن سريري في الطابق العلوي مريحًا، لذلك كان هذا هو الحلّ الوسط.

أفترض أنّنا إذا استمرّينا على هذا النحو، أي إذا أصبحت الأمور أكثر جدّية بيننا، فإنّني سأضطرّ في النهاية للنوم في الغرفة الرئيسة. ولكن ليس الآن، فهي ما زالت تفوح برائحة نينا العالقة بكلّ شيء.

فتح آندرو عينيه، وارتسمت ابتسامة على وجهه عندما رآني. قال: "صباح الخير".

"صباح الخير".

"أحبّ الاستيقاظ بجانبك، بدلًا منها".

كان شعوره متبادلًا. أتمنّى أن أستيقظ بجانبه غدًا، لا بل كلّ صباح. لم تقدّر نينا هذا الرجل، على عكسي أنا، بل اعتبرت حياتها أمرًا مسلّمًا به.

من الجنون أن أعتقد أنّ حياتها ستصبح حياتي الآن.

قال: "من الأفضل أن أنهض، عليّ الذهاب إلى اجتماع".

جاهدتُ للجلوس قائلة: "سأحضّر لك الإفطار".

"إيّاك أن تفكّري في ذلك حتّى". كان يتمتّع بلياقة عالية، لا بدّ أنّه يمارس الرياضة. "لقد كنت تستيقظين وتحضّرين لنا الإفطار كلّ يوم منذ مجيئك إلى هنا. أمّا اليوم، فنامي وافعلي ما تشائين".

"أنا أغسل الملابس أيّام الاثنين عادة. لا أمانع بتشغيل الغسّالة و-"

ألقى عليّ نظرة قائلًا: "كلّا، اسمعي، أنا لا أعرف بالضبط كيف سأحلّ كلّ هذا، ولكن... أنت تعجبينني حقًّا. أنا أودّ أن نمنح أنفسنا محاولة حقيقية. وفي هذه الحالة، لن تكوني خادمتي. سأعثر على شخص آخر للقيام بالتنظيف، ويمكنك البقاء هنا حتّى تعرفي ما تريدين القيام به بعد ذلك".

احمرّ خدّاي وقلت أخيرًا: "الأمر ليس بهذه السهولة بالنسبة إليّ. أنت تعلم أنّني صاحبة سوابق، ولن يرغب الناس بتوظيف شخص-"

"لهذا السبب يمكنك البقاء هنا طالما أردتِ ذلك". رفع يده لمقاطعة أيّ احتجاج من جانبي. "أنا أعني ذلك. أحبّ استضافتك هنا. ومن يدري، ربّما يتحوّل ذلك إلى شيء دائم".

منحني تلك الابتسامة الجميلة والساحرة، فذبت تأثّرًا. لا بدّ أن تكون نينا مجنونة لترك هذا الرجل يفلت من يدها.

في الواقع، ما زلت خائفة من أن تقرّر استعادته.

راقبت آندرو وهو يرتدي ملابسه، مع أنّني تظاهرت بعدم النظر. غمزني مرّة أخيرة، ثمّ غادر الغرفة للاستحمام وتركني بمفردي.

تثاءبت وأنا أتمطّى في هذا السرير المزدوج الفاخر. شعرت بسعادة عارمة يوم نمت على السرير النقّال في الأعلى، لكن كان هذا شيئًا مختلفًا. لم أدرك حتّى إنّني كنت أعاني من تشنّج في ظهري، ولكن بعد ليلة واحدة على هذا الفراش، شعرت بتحسّن. بإمكان أيّ فتاة أن تعتاد على هذا.

كنت قد تركت هاتفي على المنضدة بجانب السرير، وقد بدأ يئزّ الآن بمكالمة هاتفية. مددت يدي وعبست عندما نظرت إلى الشاشة:

رقم محظور.

تقلّصت معدتي وأنا أتساءل من الذي يتّصل بي في هذه الساعة من الصباح. حدّقت إلى الشاشة إلى أن صمت الهاتف مجدّدًا.

حسنًا، كانت تلك طريقة لحلّ المسألة.

وضعت هاتفي مجدّدًا على المنضدة وجلست. لم يكن الفراش مريحًا فحسب، بل كانت الملاءات ناعمة بحيث شعرت وكأنّني أنام على الحرير. كانت البطّانية دافئة لكنّها خفيفة الوزن مع ذلك، وأفضل بكثير من القماش الصوفي المسبّب للحكّة الذي كنت أنام تحته في الطابق العلوي، وأفضل من تلك البطّانية المروّعة التي كنت أستخدمها في السجن. من كان يعلم أنّ البطّانيات الجميلة وباهظة الثمن مريحة أيضًا؟

بدأتُ أستغرق في النوم مجدّدًا. ولكن قبل أن أغفو، عاود الهاتف رنينه.

تأوّهت ومددت يدي إليه لأجد الرسالة نفسها:

رقم محظور.

من يمكن أن يتّصل بي؟ فأنا لا أملك أيّ أصدقاء. لديهم رقمي في مدرسة سيسيليا، ولكنّ المدرسة مقفلة في الصيف. الشخص الوحيد الذي يتّصل بي عادة هو... نينا.

حسنًا، إن كانت هي فعلًا، فإنّها آخر من أريد التحدّث إليه الآن. هكذا ضغطتُ على الزرّ الأحمر لرفض المكالمة. ولكن لم يعد من الممكن أن أستغرق في النوم مجدّدًا، لذلك نهضت من السرير وصعدت إلى الطابق العلوي للاستحمام.

***

عندما نزلت إلى الطابق السفلي، كان آندرو قد ارتدى بدلته ووقف يحتسي فنجانًا من القهوة. مرّرت أصابعي على سروالي الجينز، وقد شعرت أنّني رثّة الملابس مقارنة به. كان وقفًا بجانب النافذة، ينظر إلى الفناء الأماميّ بامتعاض.

سألته: "هل كلّ شيء على ما يرام؟".

أجفل وقد فوجئ بوجودي، ثمّ ابتسم مجيبًا: "نعم، أنا بخير. لكن... هذا البستاني اللعين عاد مجدّدًا. ماذا يفعل هناك طوال الوقت؟".

انضممت إليه عند النافذة. كان إنزو منحنيًا فوق بقعة مزروعة بالأزهار، والمجرفة بيده: "يعتني بالحديقة؟".

نظر إلى ساعته ثمّ قال: "إنّها الثامنة صباحًا، وهو دائم التواجد هنا. ثمّة عشرات العائلات الأخرى التي يعمل لديها، فلماذا لا يبارح هذا المكان؟".

هززت كتفي من دون أن أجيب، ولكن لديه وجهة نظر، إذ يبدو أنّ إنزو يطيل البقاء في حديقتنا. والوقت الذي يمضيه هنا لا يتناسب مع عدد منازل الحيّ، حتّى مع الأخذ بالاعتبار مساحة حديقتنا التي تفوق مساحة معظم حدائق المنازل الأخرى.

بدا أنّ آندرو حسم أمرًا ما، إذ وضع فنجان قهوته على حافة النافذة وخرج. مددت يدي إلى الفنجان، لأنّني أعلم أنّ نينا ستصاب بنوبة غضب إذا رأت حلقة من القهوة على حافة النافذة، لكن سرعان ما تراجعتُ. فنينا لن تسبّب لي المشاكل بعد اليوم، ولست مضطرّة لرؤيتها مجدّدًا. يمكنني ترك فناجين القهوة أينما طاب لي من الآن فصاعدًا.

ذهب آندرو إلى الحديقة الأمامية، وتعبير جادّ يعلو وجهه، فتبعته بفضول. من الواضح أنّه ينوي قول شيء ما لإنزو.

تنحنح مرّتين، لكنّ ذلك لم يكن كافيًا لجذب انتباه إنزو. قال أخيرًا: "إنزو!".

رفع هذا الأخير رأسه ببطء شديد واستدار قائلًا: "نعم؟".

"أريد التحدّث إليك".

أطلق إنزو تنهيدة طويلة ثمّ وقف وسار نحونا ببطء قدر الإمكان بالنسبة إلى كائن بشري: "إيه؟ ماذا تريد؟".

"اسمع". كان آندرو طويل القامة، لكنّ إنزو أطول منه، بحيث اضطرّ إلى رفع رأسه لينظر إليه. "شكرًا لك على كلّ المساعدة التي تقدّمها لنا، ولكنّنا لم نعد بحاجة إليك بعد الآن. لذا، من فضلك، اجمع أشياءك واذهب".

قال إنزو: "*كي كوزا*؟".

تحوّلت شفتا آندرو إلى خط مستقيم وهو يجيب: "قلت إنّنا لا نحتاج إليك. انتهينا، يمكنك الرحيل".

أمال إنزو رأسه جانبًا. "مطرود؟".

أخذ آندرو نفسًا غاضبًا وأجاب: "نعم، مطرود".

فكّر إنزو للحظة. أمّا أنا، فتراجعت خطوة إلى الوراء، مدركة أنّه على الرغم من قوّة آندرو وحجم عضلاته، إلّا أنّ إنزو أقوى منه بكثير. ولو دخل الاثنان في عراك، فلا أعتقد أنّ إندور يستطيع الوقوف في وجهه.

غير أنّ إنزو اكتفى بهزّ كتفيه وقال: "حسنًا، سأذهب".

بدا أنّه لا يكترث البتّة للأمر برمّته، بحيث تساءلت ما إذا كان آندرو قد شعر بالسخافة لأنّه ضخّم كثيرًا مسألة تواجد الرجل هنا. إلّا أنّ آندرو هزّ رأسه مرتاحًا وقال: "*غراتسييه*، أنا أقدّر مساعدتك خلال السنوات الماضية".

حدّق إليه إنزو بصمت.

تمتم آندرو بشيء في سرّه، ثمّ استدار على عقبية للعودة إلى المنزل. هممتُ باللحاق به، ولكن بمجرّد اختفاء آندرو في الداخل، منعني شيء ما. استغرق الأمر منّي ثانية لأدرك أنّ إنزو قبض على بذراعي.

استدرت للنظر إليه، فلاحظتُ أنّ تعبيره تغيّر تمامًا بعد عودة آندرو إلى المنزل. اتّسعت عيناه السوداوان وهو يحدّق إليّ هامسًا: "ميلي، عليك مغادرة هذا المنزل، فأنت في خطر رهيب".

فغرت فاهي دهشة، ليس بسبب ما قاله، بل بسبب الطريقة التي تكلّم بها. فمنذ أن بدأت أعمل هنا، لم يتمكّن من تركيب جملة من كلمتين باللغة الإنكليزية. لكن ها هو يقول جملتين كاملتين. ليس هذا وحسب، بل أصبحت لكنته الإيطالية، التي تطغى عادة على كلامه بحيث يبدو بالكاد مفهومًا، خفيفة جدًّا الآن. كانت لكنة رجل مرتاح جدًّا بالتحدّث بالإنكليزية.

قلت له: "أنا بخير، لقد رحلت نينا".

"كلّا". هزّ رأسه بحزم وأصابعه لا تزال قابضة على ذراعي وأضاف: "أنت مخطئة، هي لم -"

قبل أن يتمكّن من قول كلمة أخرى، فُتح باب المنزل مجدّدًا. فترك إنزو ذراعي، وتراجع.

"ميلي؟" خرج آندرو من الباب متسائلًا: "هل كلّ شيء على ما يرام؟".

"نعم".

"ألن تدخلي؟".

كنت أريد البقاء هنا لسؤال إنزو عمّا قصده بالضبط بتحذيره المشؤوم، وما الذي كان يحاول قوله لي، لكنّني اضطررت للعودة إلى الداخل مرغمة.

بينما كنت أتبع آندرو عبر باب المنزل، نظرت إلى إنزو، الذي شغل نفسه بجمع معدّاته. لم ينظر إليّ حتّى، فبدا لي كما لو أنّ تلك اللحظات كانت من صنع خيالي، باستثناء أنّني عندما نظرت إلى ذراعي، رأيت الآثار الحمراء التي خلّفتها أصابعه الغاضبة.

الفصل 35

طلب منّي آندرو عدم القيام بأيّ عمل في المنزل، ولكن عادة ما أذهب إلى التسوّق يوم الإثنين، وقد بات لدينا كثير من النواقص. وبعدما تصفّحت بعض الكتب التي أخرجتها من المكتبة وشاهدت التلفاز قليلًا، شعرت بالرغبة في فعل شيء ما. فعلى عكس نينا، أنا أحبّ أن أبقي نفسي مشغولة.

كنت أتجنّب بعناية المتجر الذي حاول فيه الحارس إلقاء القبض عليّ. بدلًا من ذلك، ذهبت إلى متجر في جزء آخر من المدينة، فكلّ المتاجر متشابهة في النهاية.

أفضل ما في الأمر أنّني كنت أدفع عربتي في أرجاء المتجر من دون أن أضطرّ لاتّباع قائمة نينا العجيبة. يمكنني شراء ما طاب لي. لو أردت البريوش، فسأشتريه. وإذا رغبت في الخبز المخمّر، فما عليّ سوى إحضاره. ولست مضطرّة لإرسال مئات الصور لكلّ نوع من أنواع الخبز. كنت حرّة تمامًا.

بينما كنت أبحث في جناح الألبان، رنّ الهاتف في حقيبة يدي. مجدّدًا، ساورني ذاك الشعور بالاضطراب. من يمكن أن يتّصل بي؟

ربّما كان آندرو.

مددت يدي إلى الحقيبة وأخرجت الهاتف، فرأيت ذاك الرقم المحظور يملأ شاشة هاتفي مجدّدًا. أيًّا يكن من اتّصل بي هذا الصباح فإنّه يكرّر المحاولة.

"ميلي، أليس كذلك؟".

أجفلت لدى سماع اسمي. نظرت إلى الأعلى، لأجد إحدى تلك النساء اللواتي اجتمعت بهنّ نينا في حديقة المنزل، لكن لم أستطع تذكّر اسمها. كانت تدفع عربة تسوّق، وتبتسم بشفتيها الممتلئتين المطليتين بأحمر الشفاه.

"نعم؟".

قالت: "أنا باتريس، أنت فتاة نينا، أليس كذلك؟".

انزعجتُ من الوصف الذي أعطتني إيّاه. فتاة نينا، يا إلهي. فلتنتظر إلى أن تعرف أنّ آندرو تخلّى عن نينا التي لن تحصل على شيء من الطلاق بفضل اتّفاقية ما قبل الزواج، وكذلك عندما تعرف أنّني حبيبة آندرو وينشستر الجديدة. وقريبًا ربّما أكون أنا المرأة التي تتملّقها.

قلت بتصلّب: "أنا أعمل لدى آل وينشستر". ولكن ليس لوقت طويل.

اتّسعت ابتسامتها. "أوه جيّد". كنت أحاول الاتّصال بنينا طوال الصباح، إذ كان من المفترض أن نلتقي لتناول الإفطار. نحن ننظّم دائمًا اجتماعًا على الإفطار يومي الاثنين والخميس في مطعم كريستن، ولكنّها لم تحضر. هل كلّ شيء على ما يرام؟".

كذبتُ مجيبة: "نعم، كلّ شيء على ما يرام".

لوت شفتيها وقالت: "لا بدّ أنّها نسيت إذًا. أنت تعلمين أنّ نينا فوضوية أحيانًا، أنا متأكّدة".

أوه، لا بل هي أكثر من ذلك بكثير، غير أنّني أبقيت فمي مغلقًا.

وقع نظرها على الهاتف بيدي. "أهذا هو الهاتف الذي أعطتك إيّاه نينا؟".

"أوه نعم، إنّه هو".

أرجعت رأسها إلى الخلف وضحكت قائلة: "إنّه حقًّا للطف منك أن تسمحي لها بتعقّبك طوال الوقت. لا أعرف ما إذا كنت سأحبّ ذلك لو كنت مكانك".

هزت كتفيّ مجيبة: "إنّها في الغالب تراسلني وحسب، والأمر ليس بهذا السوء".

"ليس هذا ما عنيته". أومأت برأسها إلى الهاتف مضيفة: "أنا أقصد تطبيق التعقّب الذي ثبّتته في الهاتف. ألا يدفعك ذلك إلى الجنون لأنّها تريد أن تعرف مكانك طوال الوقت؟".

شعرت وكأنّني تعرّضت للكمة في معدتي. *نينا تتعقّبني على هاتفي؟ تبًا.*

كم أنا حمقاء! بالطبع ستفعل شيئًا كهذا، إنّه منطقي تمامًا. والآن أدركت أنّها لم تكن مضطرّة للبحث في حقيبتي للعثور على تذكرة المسرحية أو الاتّصال بالمنزل ليلة العرض. كانت تعرف بالضبط أين كنت.

"أوه!" وضعت باتريس يدها على فمها قائلة: "آسفة جدًّا. ألم تدركي...؟"

أردت أن أصفعها على وجهها المحشوّ بالبوتوكس. لست واثقة ممّا إذا كانت تعرف أنّني كنت على علم بذلك أم لا، لكنّها بدت سعيدة لكونها هي التي أخبرتني. سال عرق بارد على مؤخّر عنقي. أخيرًا، قلت لباتريس: "المعذرة".

مررت من أمامها تاركة عربة المشتريات ورائي، ورحتُ أجري في موقف السيّارات، ولم أتمكّن من التنفّس مجدّدًا إلّا عندما أصبحت خارج المتجر. وضعت يديّ على ركبتيّ وانحنيت إلى الأمام حتّى عاد تنفّسي إلى طبيعته.

عندما استقمت مجدّدًا، خرجت سيّارة مسرعة من موقف السيّارات، وعرفت سيّارة اللكزس البيضاء.

بدت مثل سيّارة نينا.

ثمّ بدأ هاتفي يرنّ مجدّدًا.

أخرجته من حقيبتي، ورأيت الرقم المحظور مجدّدًا. حسنًا، إذا أرادت التحدّث معي، فلتفعل ولتقل ما تريد قوله. وإذا أرادت تهديدي، والقول إنّني دمّرت زواجها، فلتفعل أيضًا.

ضغطتُ على الزرّ الأخضر. "ألو؟ نينا؟".

"ألو!" كان الصوت مرحًا. تابع يقول: "بلغنا أنّ تأمين سيّارتك ربّما يكون قد انتهى مؤخّرًا!".

أبعدتُ الهاتف عن أذني ورحت أحدّق إليه غير مصدّقة. في النهاية، لم تكن نينا. بل مجرّد اتّصال تسويقي لعين. لقد بالغتُ تمامًا في ردّ فعلي تجاه الأمر برمّته. مع ذلك، لم أستطع التخلّص من ذاك الإحساس أنّني في خطر.

الفصل 36

كان آندرو مضطرًّا للتأخّر في عمله الليلة.

أرسل إليّ رسالة مؤسفة عند الساعة السابعة إلّا ربعًا:

لدينا مشكلة في العمل. أنا عالق هنا لساعة أخرى على الأقلّ. كلي من دوني.

رددت عليه:

حسنًا. عد بالسلامة.

لكن في الحقيقة، شعرت بخيبة أمل. فقد استمتعت كثيرًا بتناول العشاء في مانهاتن مع آندرو، وقد حاولت الليلة إعداد إحدى الوجبات التي تناولناها في ذلك المطعم الفرنسي، ستيك أو بوافر. استخدمت الفلفل الأسود الذي اشتريته من المتجر (بعد أن تماسكتُ وعدت إلى الداخل لإحضار المشتريات)، والكرّاث المفروم، والخلّ، ومرق اللحم البقري، والكريما. كانت الرائحة لا تصدّق، ولكنّ الطبق لن يكون نفسه بعد ساعة أو ساعتين، فشرائح اللحم لا تبقى على حالها عند

تسخينها. لم يكن لديّ خيار سوى تناول ذلك العشاء الرائع بمفردي. وها هو الآن قابع في معدتي كالصخرة بينما أجول على محطّات التلفاز.

لا أحبّ التواجد في هذا المنزل بمفردي. عندما يكون آندرو هنا، يبدو كأنّه منزله، كما هو الحال فعلًا. ولكن في غيابه، يصبح هذا المنزل عابقًا بنينا. فعطرها يفوح من كلّ زاوية من زواياه - لقد حدّدت أرضها برائحتها، تمامًا كالحيوانات.

مع أنّ آندرو طلب منّي عدم فعل شيء، إلّا أنّني نظّفت المنزل بعمق بعد رحلة التسوّق، محاولة التخلّص من عطرها. مع ذلك، ما زلت قادرة على اشتمامه.

ومع أنّ باتريس كانت بغيضة في المتجر، إلّا أنّها أسدت لي معروفًا كبيرًا. كانت نينا تتعقّبني بالفعل، فقد وجدت التطبيق مخفيًّا في ملفّ عشوائي، في مكان ما كنت لأعثر عليه مطلقًا. فما كان منّي إلّا أن حذفته على الفور.

مع ذلك، لم أستطع التخلّص من إحساسي أنّها تراقبني.

أغمضت عينيّ وفكّرت في تحذير إنزو لي هذا الصباح. *عليك الخروج من هنا. أنت في خطر رهيب.* كان يخاف من نينا، استطعت رؤية ذلك في عينيه عندما كنّا نتحدّث ومرّت بنا.

أنت في خطر رهيب.

قاومتُ شعورًا بالغثيان. لقد رحلت الآن.

ولكن ربّما ما زالت قادرة على إيذائي.

كانت الشمس قد غابت وعندما نظرت من النافذة، لم أرَ سوى انعكاس صورتي. نهضت عن الأريكة وذهبت إلى النافذة، وقلبي ينبض. ضغطت جبيني على الزجاج البارد، أحدّق إلى الظلام في الخارج.

أهذه سيّارة متوقّفة خارج البوّابة؟

حدّقتُ إلى الظلام محاولة أن أعرف ما إذا كنت أتخيّل الأشياء وحسب. أفترض أنّه بإمكاني الخروج وإلقاء نظرة فاحصة. ولكن هذا سيحتّم عليّ فتح أبواب المنزل.

بالطبع، ما الفرق إذا كان الباب مفتوحًا أم لا ما دام لدى نينا مفتاح؟

قاطع أفكاري رنين هاتفي على الطاولة. فأسرعتُ لأخذه قبل أن تفوتني المكالمة ودُهشت عندما رأيت رقمًا محظورًا آخر على الشاشة. رحت أهزّ رأسي وفكّرت أنّه اتّصال إعلاني آخر. هذا تمامًا ما أحتاج إليه.

ضغطت على الزرّ الأخضر لتلقّي المكالمة، متوقّعة سماع ذلك الصوت المسجّل البغيض. ولكن بدلًا من ذلك، تناهي إليّ صوت آلي مشوّه:

"ابتعدي عن آندرو وينشستر!".

شهقت قائلة: "نينا؟".

لم أعرف ما إذا كان الصوت صوتَ رجل أم امرأة، فما بالك بمعرفة ما إذا كانت نينا هي المتّصلة. تلت ذلك طقطقة على الخطّ الآخر، ثمّ قُطع الاتّصال.

ازدردت لعابي. لقد اكتفيت من ألاعيب نينا. بدءًا من الغد، سأستولي على هذا المنزل. سأتّصل بصانع أقفال لتغيير أقفال الأبواب. وهذه الليلة، سأنام في غرفة النوم الرئيسة. لن أبقى في غرفة الضيوف تلك، فأنا لم أعد ضيفة بعد الآن.

قال آندرو إنّه يريد أن تصبح علاقتنا دائمة. بالتالي، هذا منزلي أيضًا في الوقت الحاضر.

صعدت السلّم درجتين درجتَين، إلى أن وصلت إلى الغرفة الخانقة في العلّية، غرفة نومي. غير أنّها لم تعد غرفة نومي بعد الآن. سأحزم كلّ أمتعتي، وأنتقل إلى الطابق السفلي. ستكون هذه المرّة الأخيرة لي في هذه الغرفة الصغيرة الخانقة مع قفلها الغريب من الخارج.

أخرجت إحدى حقائبي من الخزانة وبدأت أرمي فيها الملابس من دون أيّ عناية، لأنّني لن أحملها إلّا إلى الطابق الثاني. بالطبع، سيتحتّم عليّ أن أطلب إذن آندرو قبل أن أخلي أحد الأدراج في الأسفل، ولكنّه لن يتوقّع منّي أن أنام هنا بعد الآن، فهذا ليس إنسانيًا. هذه الغرفة أشبه بغرفة تعذيب.

"ميلي؟ ماذا تفعلين؟".

كاد الصوت الذي أتى من خلفي أن يصيبني بنوبة قلبية. وضعت يدي على صدري واستدرت. "آندرو، لم أسمعك وأنت تدخل".

حدّق إلى حقائبي قائلًا: "ماذا تفعلين؟".

وضعت كومة من الملابس الداخلية التي كنت أحملها في الحقيبة مجيبة: "حسنًا، فكّرت في الانتقال إلى الأسفل".

"أوه".

"هل... هل هذا ممكن؟" شعرت فجأة بالحرج. فقد افترضت أنّ آندرو سيوافق، ولكن ربّما ما كان يجدر بي أن أفترض ذلك.

اقترب منّي خطوة، بينا عضضت على شفتي حتّى كدت أدميها. "بالطبع هذا ممكن. كنت سأقترح عليك ذلك، ولكنّني لم أكن متأكّدًا ممّا إذا كنت تريدين".

خفضت كتفيّ مجيبة: "بالتأكيد أريد. لقد... لقد كان يومي صعبًا".

"ماذا كنت تفعلين؟ لقد رأيت بعض كتبي على الطاولة، هل كنت تقرأين؟".

تمنّيت لو كان هذا كلّ ما فعلته اليوم. "بصراحة، لا أريد التحدّث عن ذلك".

اقترب منّي خطوة أخرى ومدّ يده متتبّعًا خطّ فكّي بإصبعه. "ربّما يمكنني أن أنسيك ما يزعجك...".

ابتسمتُ مجيبة: "بالتأكيد...".

وهذا ما كان.

الفصل 37

على الرغم من أنّ سريري مزعج للغاية مقارنة بالفراش الرائع في غرفة الضيوف، إلّا أنّني سرعان ما استغرقت بالنوم هناك. تذكّرت أنّ نينا كانت صارمة للغاية بشأن السماح لي باستقبال ضيوف هنا.

من المؤكّد أنّها فشلت في جعلي أطبّق تلك القاعدة.

استيقظت مجدّدًا نحو الساعة الثالثة صباحًا، وكان أوّل إحساس راودني هو رغبة ملحّة في دخول الحمّام. عليّ النهوض فورًا. عادة ما أدخل الحمّام قبل النوم، ولكنّني غفوت هذه الليلة من دون أن أفعل.

وهذا إحساس آخر داهمني، إحساس بالفراغ، إذ لم يكن آندرو بجانبي على السرير.

لا شكّ أنّه بعد أن استغرقت في النوم، قرّر العودة إلى سريره، ولا يمكنني لومه على ذلك. فهذا السرير ليس مريحًا حتّى لشخص واحد، فما بالك بشخصين، كما أنّ الغرفة خانقة. ربّما حاول النوم، ولكن بعد أن تقلّب طويلًا، نهض وعاد إلى سريره في الأسفل. كان آندرو يكبرني بأكثر من عشر سنوات، وبالكاد يتحمّل ظهري ليلة كاملة على هذا الفراش، لذا أنا أعذره.

كنت سعيدة للغاية لأنّ هذه ليلتي الأخيرة هنا. وربّما بعد استعمال الحمّام، سألحق بآندرو إلى غرفته في الأسفل.

نهضت عن السرير وتصاعد أنين ألواح الأرضية تحت ثقلي. تقدّمت نحو الباب وأدرت المقبض. كالعادة، بقي عالقًا، فما كان منّي إلّا أن أدرته بقوّة أكبر.

غير أنّه لم يتحرّك.

اجتاحني الذعر. ضغطت بجسدي على الباب، واحتكّت بشرتي بالخدوش التي تكسوه، ثمّ وضعت يدي اليمنى مباشرة على المقبض. حاولت مجدّدًا أن أديره باتّجاه عقارب الساعة، لكنّه لم يتزحزح، ولا حتّى لمليمتر واحد. عندئذٍ أدركت ما يجري.

الباب ليس عالقًا.

إنّه مقفل.

الجزء الثاني

الفصل 38

نينا

لو أنّ أحدهم أخبرني قبل بضعة أشهر أنّني سأمضي هذه الليلة في غرفة فندق، بينما يمكث آندي في منزلي مع امرأة أخرى - الخادمة! - ما كنت لأصدّق.

لكن ها أنا ذا، مرتدية ثوب استحمام وجدته في الخزانة، ومستلقية في سرير الفندق الكبير. كان التلفاز شغّالًا، ولكنّني لا أتابعه. أخرجت هاتفي ونقرت على التطبيق الذي كنت أستخدمه خلال الأشهر الماضية. *أين أصدقائي*. انتظرت حتّى يخبرني عن موقع ويلهلمينا "ميلي" كالواي.

لكن تحت اسمها كُتب: لم يتمّ العثور على الموقع. وهكذا كانت النتيجة منذ ما بعد الظهيرة.

لا بدّ أنّها اكتشفت أنّني كنت أتعقّبها وقامت بتعطيل التطبيق. فتاة ذكية.

لكنّها ليست ذكية بما فيه الكفاية.

أخذت حقيبتي من حيث وضعتها على المنضدة، ثمّ بحثت فيها إلى أن وجدت الصورة الورقية الوحيدة التي أملكها لآندي. كان عمرها بضع سنوات، نسخة من الصور التي التقطَها لدى مُصوِّر من أجل موقع الشركة، وأعطاني إحداها. حدّقت إلى عينيه البنّيتين الداكنتين على قطعة الورق اللامعة، وشعره البنّي المثالي، والغمّازة الخفيفة في ذقنه القوية. كان آندي من أكثر الرجال الذين عرفتهم في حياتي وسامة، وأغرمت به منذ اللحظة التي رأيته فيها.

ثمّ وجدت شيئًا شيئًا آخر في حقيبتي، ودسسته في جيب رداءي.

نهضت عن السرير، فغرقت قدماي في السجادة الفخمة. هذه الغرفة تكلّف آندي ثروة، ولكن لا بأس، فأنا لن أمكث فيها طويلًا.

ذهبت إلى الحمّام وحملت صورة وجه آندي المبتسم، ثمّ أخرجت ما في جيبي.

كانت ولّاعة.

أشعلتها، فتصاعد منها لهب أصفر. وضعت طرف الصورة فوقه حتّى بدأ يشتعل. أخيرًا، وقفت أراقب وجه زوجي الوسيم وهو يتحوّل إلى اللون البنّي ويتحلّل، إلى أن امتلأت المغسلة بالرماد.

عندئذٍ ابتسمت. كانت أوّل ابتسامة حقيقية لي منذ ثماني سنوات تقريبًا.

لا أصدّق أنّني تخلّصت أخيرًا من هذا الرجل الحقير.

***

كيف تتخلّصين من زوجك الساديّ الشرير - دليل بقلم نينا وينشستر

الخطوة الأولى: تورّطي مع شخص لليلة واحدة، واتركي المدرسة، واعملي في وظيفة بغيضة لتغطية مصاريفك

رئيسي، آندرو وينشستر، أشبه بالخيال.

هو ليس رئيسي في الواقع، بل بالأحرى، رئيس رئيس رئيسي. قد يكون ثمّة بضع طبقات أخرى من الأشخاص في السلسلة بينه - الرئيس التنفيذي لهذه الشركة منذ تقاعد والده - وبيني أنا - موظفّة الاستقبال.

عندما أجلس إلى مكتبي، خارج مكتب مديري الفعلي، وأتأمّله بإعجاب من بعيد، لا يبدو الأمر كما لو أنّني معجبة برجل حقيقي، بل هو أشبه بالإعجاب بممثل

شهير في العرض الأوّل لفيلم سينمائي، أو حتّى بلوحة في متحف للفنون الجميلة. لا سيّما وأنّني لا أملك في حياتي مساحة لموعد عابر، فما بالك بحبيب.

غير أنّه وسيم جدًّا. رجل يملك المال، وكذلك الجمال. وفوق كلّ ذلك، كان بالغ اللطف أيضًا.

على سبيل المثال، عندما ذهب للتحدّث مع رئيسي، وكان رجلًا يكبره على الأقلّ بعشرين عامًا ويدعى ستيوارت لينش، يكره تلقّي الأوامر من شابّ يسمّيه "الولد"، توقّف آندرو وينشستر عند مكتبي، وابتسم لي مناديا إياي باسمي. قال: "مرحبا نينا. كيف حالك اليوم؟".

من الواضح أنّه لا يعرف من أكون، بل قرأ اسمي عن مكتبي. لكن مع ذلك، من اللطف أن يبذل جهدًا. كما أنّني أحببت سماع اسمي العادي المكوّن من أربعة أحرف بصوته.

كان آندرو في مكتب ستيوارت يتحدّثان منذ نحو نصف ساعة. وقد أمرني ستيوارت بعدم الرحيل خلال وجود السيّد وينشستر هناك، لأنّه قد يحتاج إليّ لإخراج بعض البيانات من الكمبيوتر. في الواقع، لا أعرف بالضبط ما الذي يفعله ستيوارت، لأنّني أقوم بكلّ أعماله، ولكن لا بأس، أنا لا أمانع ما دمت أحصل على راتبي وتأميني الصحّي. فأنا وسيسيليا بحاجة إلى مكان نعيش فيه، وبحسب طبيبة الأطفال، ثمّة مجموعة من اللقاحات التي تحتاج إلى أخذها هذا الشهر (من باب الوقاية!).

لكن ما يزعجني قليلًا أنّ ستيوارت لم يبلغني مسبقًا أنّني قد أتأخّر. والمفترض أن أذهب لاستخدام المضخّة الآن. فقد امتلأ ثدياي بالحليب، وهما يضغطان على ملابسي الداخلية الرثّة. أنا أبذل قصارى جهدي لعدم التفكير في سيسي، لأنّني إذا فعلت، سيتسرّب الحليب عبر ملابسي، وليس هذا من الأمور التي تريد المرأة حدوثها وهي في مكان عملها.

سيسي مع جارتي إيلينا الآن. فإيلينا أمّ عزباء هي الأخرى، ولذلك نحن نتبادل واجبات رعاية طفلينا. فساعات عملي أكثر انتظامًا، بينما تعمل هي في نوبات مسائية

في أحد المطاعم. لذلك أعتني بتيدي في غيابها، وهي تعتني بسيسي في غيابي. وبالكاد ننجح في تسيير أمورنا.

أفتقد إلى سيسي عندما أكون في العمل وأفكّر فيها طول الوقت. لطالما تخيّلت أنّني عندما أنجب طفلًا، سألازم المنزل لستّة أشهر على الأقلّ. لكن بدلًا من ذلك، اكتفيت بأسبوع إجازة، وعدت إلى العمل مباشرة، على الرغم من أنّ المشي كان لا يزال يؤلمني. كان مسموحًا لي أخذ إجازة لمدّة اثني عشر أسبوعًا، لكنّ الأسابيع العشرة التالية ستكون غير مدفوعة. ومن يستطيع تحمّل عشرة أسابيع بلا أجر؟ لست أنا بالتأكيد.

تستاء إيلينا أحيانًا من ابنها بسبب كلّ ما تخلّت عنه من أجله. كنت قد تخرّجت من الجامعة عندما أتى اختبار الحمل إيجابيًا، وكنت أعمل على شهادة الدكتوراه بالإنكليزية وأعيش في شبه فقر. صُدمت عندما رأيت الخطّين الأزرقين وأدركت أنّ نمط حياتي طويل الأمد في كلّية الدراسات العليا لن يوفّر لي ولطفلي الذي لم يولد بعد حياة لائقة. هكذا، تركت الدراسة في اليوم التالي، وبدأت أبحث عن عمل يغطّي مصاريفي.

لم تكن هذه وظيفة أحلامي، بل على العكس، لكنّ راتبها كان لائقًا، وفوائدها عظيمة، ودوامها ثابتًا وليس طويلًا. وقيل لي إنّه ثمّة مجال للتقدّم، لاحقًا.

لكن في الوقت الحالي، عليّ تجاوز الدقائق العشرين القادمة من دون أن يتسرّب الحليب.

كنت على وشك الذهاب إلى الحمّام بحقيبة ظهري الصغيرة التي تحتوي على المضخّة وزجاجات الحليب الصغيرة، عندما أتاني صوت ستيوارت عبر جهاز الاتّصال الداخلي.

قال بجفاف: "نينا؟ هلّا أحضرت بيانات غرايدي؟".

"نعم سيّدي، حالًا!".

ذهبت إلى الكمبيوتر وحمّلت الملفّات التي يريدها، ثمّ طبعتها. كانت البيانات بحجم خمسين صفحة تقريبًا، بينما جلست هناك أطرق بحذائي على

الأرض، وأشاهد الطابعة وهي تبصق صفحة تلو الأخرى. عندما انتهت طباعة الصفحة الأخيرة، انتزعت الأوراق وأسرعت إلى مكتبه.

فتحت الباب: "المعذرة سيّد لينش؟".

"ادخلي، نينا".

دخلتُ مسرعة. وعلى الفور، لاحظت أنّ كلا الرجلين يحدّقان إليّ، وليس بذلك الإعجاب الذي اعتدت أن أراه في الأماكن العامّة، قبل أن أحمل وتتغيّر حياتي بأكملها. كانا ينظران إليّ كما لو أنّ عنكبوتًا عملاقًا يتدلّى من شعري ومن دون أن أعرف حتّى. كنت على وشك أن أسألهما عمّا يحدّقان إليه، عندما نظرت إلى الأسفل وفهمت.

لقد تسرّب الحليب.

لم يتسرّب وحسب، بل تدفّق كما لو كنت بقرةً في مكتب. كان ثمّة دائرتين كبيرتين من الحليب على قميصي، كما راحت تسيل منه بضعة قطرات. أردت في تلك اللحظة لو تنشقّ الأرض وتبتلعني.

صاح ستيوارت: "نينا! اذهبي ونظّفي نفسك!".

قلت بسرعة: "نعم. أنا... أنا آسفة. أنا...".

تركت الأوراق على مكتب ستيوارت، وهرعت إلى الخارج بأسرع ما يمكن. أخذت معطفي لإخفاء قميصي، بينما كانت الدموع تتجمّع في عينيّ. حتّى إنّني لست واثقة ما الذي أحزنني أكثر، أهي رؤية رئيس رئيسي لي بهذه الحالة أم كمّية الحليب التي ضاعت سدى.

أخذت مضخّتي إلى الحمّام ووصلتها بالكهرباء. على الرغم من إحراجي، كان من الجيّد إفراغ كلّ ذلك الحليب. ملأت زجاجتين كاملتين ووضعتهما في حقيبتي مع كيس من الثلج. سأضع الحقيبة في البرّاد حتّى يحين موعد انصرافي من العمل. أمّا الآن، فعليّ العودة إلى مكتبي. ولن اخلع المعطف خلال الساعات المتبقّية، لأنّني اكتشفت مؤخّرًا أنّه حتّى لو جفّ الحليب، فإنّه يخلّف بقعًا.

عندما فتحت باب الحمام، أصبت بصدمة لدى رؤية الشخص الواقف هناك. لم يكن أيّ شخص، بل آندرو وينشستر، رئيس رئيس رئيسي. رفع قبضته في الهواء، وكان على استعداد لطرق الباب، لذا، فوجئ عندما رآني.

قلت: "أوه مرحبًا، حمّام الرجال هناك".

سرعان ما شعرت بالغباء لدى قول ذلك. أعني أنّ هذه شركته. كما أنّه ثمّة رسم لامرأة بفستان على باب الحمّام، ولا بدّ أنّه أدرك أنّه حمّام النساء.

قال: "في الواقع، كنت أبحث عنك".

"عنّي؟".

أومأ برأسه قائلًا: "أردت أن أرى ما إذا كنت بخير".

"أنا بخير". حاولت الابتسام وإخفاء المهانة التي شعرت بها منذ قليل. "كان مجرّد حليب".

عبس قائلًا: "أعلم، ولكن... ستيوارت تصرّف بفظاظة. هذا غير مقبول".

"نعم، حسنًا..." رغبت في إخباره أنّه ثمّة مئات الحالات الأخرى التي تصرّف فيها ستيوارت بفظاظة معي، ولكن ليس من الجيّد التحدّث عن مساوئ المدير. "لا بأس. على أيّ حال، كنت على وشك الذهاب لتناول الغداء، لذا..."

"أنا أيضًا". قوّس أحد حاجبيه قائلًا: "ما رأيك بالانضمام إليّ؟".

وافقت بالطبع. وحتّى لو لم يكن رئيس رئيسي، لوافقت أيضًا. فهو جذّاب للغاية أوّلًا. تعجبني ابتسامته، بالتجاعيد التي تظهر حول عينيه والغمّازة الخفيفة في ذقنه. ولكن ليس الأمر كما لو أنّه يطلب منّي الخروج في موعد غرامي. لقد شعر بالضيق وحسب بسبب ما حدث سابقًا في مكتب ستيوارت. وربّما طلب منه شخص ما من قسم الموارد البشرية أن يفعل ذلك حفاظًا على صورة الشركة.

تبعت آندرو وينشستر إلى الطابق السفلي، إلى بهو المبنى الذي يملكه. افترضت أنّه سيصطحبني إلى أحد المطاعم الفاخرة العديدة المنتشرة في الحيّ، ولذلك صدمت عندما قادني إلى عربة هوت دوغ خارج المبنى مباشرة ووقف في الصفّ.

غمزني قائلًا: "أفضل هوت دوغ في المدينة. كيف تحبّينه؟".

"امم... بالخردل، على ما أظنّ؟".

عندما وصلنا إلى مقدّمة الصفّ، طلب شطيرتين من الهوت دوغ، كلاهما مع الخردل، فضلًا عن زجاجتين من الماء. ناولني شطيرة وزجاجة ماء، وقادني إلى سلّم حجري أمام المبنى. جلس على الدرجات، وجلست بجانبه. كان المشهد كوميديًا تقريبًا، هذا الرجل الوسيم جالس على الدرجات ببدلته الثمينة، يحمل شطيرة هوت دوغ مليئة بالخردل.مكتبة سُر مَن قرأ

قلت: "شكرًا لك على الطعام يا سيّد وينشستر".

صحّح لي قائلًا: "آندي".

كرّرت: "آندي". وأخذت قضمة من الهوت دوغ. كان لذيذًا بالفعل، أمّا ما إذا كان الأفضل في المدينة، فلست متأكّدة. أعني، إنّه مجرّد خبز ولحم غامض.

سألني: "كم عمر طفلتك؟".

احمرّ وجهي كما يحدث دائمًا عندما يسألني أحدهم عن ابنتي. "خمسة أشهر".

"وما اسمها؟".

"سيسيليا".

ابتسم قائلًا: "اسم لطيف، كما في الأغنية".

سجّل الآن نقاطًا عالية بالفعل لأنّ أغنية سايمون وغارفنكل هي سبب اختياري لهذا الاسم، على الرغم من اختلاف التهجئة. كانت تلك الأغنية المفضّلة لدى والديّ. لا بل كانت أغنيتهما قبل أن يحرمني منهما حادث تحطّم تلك الطائرة. وقد شعرت أنّني قريبة منهما مجدّدًا عندما كرّمتهما بهذه الطريقة.

جلسنا هناك خلال الدقائق العشرين التالية، نتناول طعامنا ونتحدّث. وفوجئت كم أنّ آندي وينشستر شخص متواضع. أحببت الطريقة التي يبتسم لي بها، والأسئلة التي طرحها عنّي، كما لو كان مهتمًّا حقًّا. ولم أستغرب نجاحه الكبير

في الشركة، ذلك أنّه يجيد التعامل مع الناس. أيًا يكن ما طلبه منه قسم الموارد البشرية، فقد أحسن فعلًا. فقد نسيت بالتأكيد تلك الحادثة التي وقعت في مكتب ستيوارت.

قلت له عندما أصبحت الساعة الواحدة والنصف: "من الأفضل أن أعود، فستيوارت سيقتلني إذا عدت متأخّرة من الغداء".

ولم أشر إلى حقيقة أنّ ستيوارت يعمل لديه.

وقف ونفض الفتات عن يديه قائلًا: "لدي إحساس أنّ الهوت دوغ لم يكن الغداء الذي توقّعته منّي".

"كان غداء لذيذًا". وكنت صادقة، فقد أمضيت وقتًا رائعًا خلال تناول الهوت دوغ مع آندي.

"دعيني أعوّض عن ذلك". نظر إلى عينيّ مضيفًا: "اسمحي لي باصطحابك إلى العشاء الليلة".

ذهلت من طلبه. فباستطاعة آندرو وينشستر الحصول على أيّ امرأة يريدها، أيّ امرأة. لماذا إذًا يريد اصطحابي إلى العشاء؟ لكنّه سأل.

وأنا أردت الذهاب حقًا، حتّى إنّه كان من المؤلم تقريبًا رفض طلبه. "لا أستطيع، ليس لديّ أحد لرعاية ابنتي".

قال: "ستكون والدتي في المدينة بعد ظهر غد على أيّ حال. إنّها تحبّ الأطفال وستشعر بسعادة عارمة للاهتمام بلسيسيليا".

الآن فغرت فاهي دهشة بالفعل. فهو لم يدعني وحسب لتناول العشاء، لا بل عندما وضعت أمامه حاجزًا، أتاني بحلّ، حلّ يتضمّن والدته. إنّه يرغب حقًا في الذهاب لتناول العشاء معي.

كيف لي أن أرفض؟

الفصل 39

الخطوة الثانية: تزوّجي بسذاجة من رجل ساديّ وشرّير

مضى على زواجنا أنا وآندي ثلاثة أشهر، في بعض الأحيان، أقرص نفسي لأصدّق أنّني لست في حلم.

كانت خطوبتنا سريعة. قبل أن أقابل آندي، كان كلّ الرجال الذين واعدتهم يسعون إلى تمضية الوقت وحسب، أمّا آندي، فلم يكن من هذا النوع. فمنذ ليلة أوّل موعد خياليّ لنا، أوضح لي نواياه، كان يبحث عن علاقة جدّية. سبق وارتبط قبل عام بامرأة تدعى كاثلين، ولكنّ الأمر لم ينجح. كان جاهزًا للزواج ومستعدًّا لأخذنا على عاتقه أنا وسيسيليا.

من جهتي، كان ذلك كلّ ما أبحث عنه. فقد أردت منزلًا آمنًا لي ولابنتي. أردت رجلًا يعمل في وظيفة ثابتة، ويكون أبًا لصغيرتي سيسي. أردته أن يكون طيّبًا ومسؤولًا... وبالطبع، جذّابًا. وكان آندي يستوفي كلّ هذه الشروط.

في الأيّام التي سبقت حفل زفافنا، ظللت أبحث عن عيوب فيه. فما من أحد مثاليّ إلى هذا الحدّ، مثل آندي وينشستر. لا بدّ أنّ تكون لديه مشكلة قمار سرّية أو ربّما عائلة أخرى خبّأها في ولاية يوتا. حتّى إنّني فكرت في الاتّصال بكاثلين، خطيبته السابقة. كان قد أراني صورًا لها، شعرها أشقر مثلي ووجهها لطيف، لكنّني لم أعرف اسم عائلتها ولم أستطع إيجادها على مواقع التواصل الاجتماعي.

لكن على الأقلّ، لم تتحدّث عنه بالسوء على الإنترنت. وقد اعتبرت ذلك علامة جيّدة.

العيب الوحيد في آندي كان... أمّه. فإيفلين وينشستر متواجدة حولنا أكثر قليلًا ممّا أودّ، ولن أصفها أنّها من ألطف الأشخاص في العالم. وعلى الرغم من تأكيدات آندي أنّها "تحبّ الأطفال" وأنّها "ستفرح" بالاهتمام بسيسي، إلّا أنّها بدت دائمًا متوتّرة عندما كنّا نطلب منها رعاية الطفلة. وكانت الأمسية تنتهي دائمًا بمجموعة من الانتقادات لطريقة تربيتي، مموّهة بـ "الاقتراحات".

لكنّني أتزوّج آندي وليس أمّه. وما من امرأة تغرم بحماتها! سأجد طريقة للتعامل مع إيفلين، مع أنّها غير مهتمّة بي عمومًا، باستثناء افتقاري الظاهر لمهارات الأمومة. كان هذا العيب الوحيد في آندي، ويمكنني التعامل معه.

هكذا تزوّجنا.

وحتّى بعد ثلاثة أشهر، لم أستفق من حلمي بعد. لا أصدّق أنّني أتمتّع الآن بالاستقرار المالي بحيث يمكنني البقاء في المنزل مع ابنتي الصغيرة. أريد استئناف دراساتي العليا في نهاية المطاف، لكن حاليًا، أرغب في الاستمتاع بكلّ دقيقة مع عائلتي؛ سيسي وآندي. هل يعقل لامرأة أن تكون محظوظة إلى هذا الحدّ؟

في المقابل، أحاول أن أكون زوجة مثالية. في وقت فراغي القليل، أمارس الرياضة في صالة للألعاب للحفاظ على لياقتي. اشتريت ملابس بيضاء بالكامل وغير عملية لأنّه يعشقني بالأبيض. وتعلّمت وصفات على الإنترنت أحاول إعدادها له بقدر ما أستطيع. فأنا أريد أن أستحقّ هذه الحياة الرائعة التي قدّمها لي.

الليلة، قبّلت سيسيليا على خدّها الناعم، ووقفت لبضع ثوانٍ للتحديق إليها والاستمتاع بصوت تنفّسها العميق ورائحتها العطرة. أبعدتُ خصلة من شعرها الأشقر الناعم خلف إحدى أذنيها الشفّافتين تقريبًا. كم هي جميلة! أنا أحبّها كثيرًا، وأشعر أحيانًا أنّني أودّ التهامها.

عندما خرجتُ من غرفة نومها، كان آندي ينتظرني في الخارج. ابتسم لي، بشعره الأسود المسرّح بعناية بالغة، وكلّ جزء فيه جميل تمامًا كأوّل يوم رأيته فيه. ما زلت لا أفهم لماذا اختارني. بإمكانه الحصول على أيّ امرأة في العالم، فلماذا أنا؟

ولكن ربّما لا يجدر بي أن أسأل، بل أن أستمتع وحسب.

قال: "مرحبًا"، وأبعد خصلة من شعري الأشقر خلف أذني. "أرى أنّ جذور شعرك بدأت تظهر قليلًا".

"أوه". مددت يدي إلى خطّ شعري بحرج. فآندي يحبّ الشعر الأشقر، لذلك بدأت أرتاد صالون تجميل بعد أن ارتبطنا لتفتيح لون شعري ليصبح ذهبيًا أكثر. "يا إلهي، أعتقد أنّني انشغلت كثيرًا بسيسي ونسيت أمره".

لم أستطع تمامًا قراءة التعبير الذي ظهر على وجهه. كان لا يزال يبتسم، لكن بدا لي أنّه ثمّة خطب ما. لا يمكن أن يزعجه كثيرًا نسيان موعد لصباغة الشعر، أليس كذلك؟

قال: "اسمعي، أحتاج إلى مساعدتك في أمر ما أوّلًا".

رفعت أحد حاجبيّ، وقد سررت لأنّه لم يبد مستاء جدًّا بشأن شعري. "بالتأكيد، ما هو؟".

نظر إلى السقف وقال: "ثمّة أوراق متعلّقة بالعمل وضعتها في مخزن في الطابق العلوي، وكنت أتساءل ما إذا كان بإمكانك مساعدتي في محاولة العثور عليها. فأنا أحتاج إلى إنهاء هذا العقد الليلة. بعد ذلك، يمكننا..." ابتسم لي. "أنت تعلمين".

لم يكن عليه أن يكرّر طلبه.

أنا أعيش في هذا المنزل منذ نحو أربعة أشهر، ولم يسبق لي أن صعدت إلى المخزن في العلّية. صعدت الدرج إلى هناك مرّة، بينما كانت سيسي نائمة، ولكنّ الباب كان مغلقًا، لذلك عدت أدراجي. يقول آندي إنّها مجرّد مجموعة أوراق، ولا شيء مهمّ.

في الحقيقة، لا أحبّ الصعود إلى هناك. صحيح أنّني لا أعاني من حالات رهاب جنونية حيال العلّيات، ولكنّ الدرج المؤدّي إلى هناك مخيف قليلًا. فهو مظلم، والدرجات تصرّ مع كلّ خطوة. بينما كنت أتبع آندي عبر السلّم، بقيت قريبة منه.

وعندما وصلنا إلى أعلى الدرج، قادني عبر رواق صغيرة ينتهي عند باب مقفل. أخرج مجموعة من المفاتيح وأدخل أحد المفاتيح الصغيرة في القفل. بعد ذلك، فتح الباب وشدّ حبلًا لإضاءة المصباح.

بهرني الضوء، واستغرقت بضع لحظات لكي أعتاد وأرى ما يحيط بي. لم تكن الغرفة الصغيرة مخزنًا كما ظننت، بل هي أقرب إلى غرفة صغيرة مع سرير نقّال موضوع في إحدى زواياها. كان ثمّة حتّى خزانة صغيرة وبرّاد صغير ونافذة صغيرة في نهايتها.

حككت ذقني قائلة: "أوه، إنّها غرفة. ظننتها مجرّد مكان لتخزين الخردة والأغراض".

"في الواقع، أنا أحتفظ بكلّ شيء في الخزانة هناك"، شرح ذلك مشيرًا إلى الخزانة المجاورة للسرير.

ذهبت إلى الخزانة وحدّقت إلى الداخل، غير أنّني لم أجد شيئًا باستثناء دلو أزرق. لم أرَ أوراقًا على الإطلاق، فما بالك بالبحث فيها لتكون وظيفة لشخصين. لم أفهم تمامًا ماذا يريد منّي فعله.

فجأة، سمعت الباب يُغلق.

رفعت رأسي واستدرت. فجأة، وجدت نفسي بمفردي في هذه الغرفة الصغيرة. كان أندي قد غادر الغرفة وأغلق الباب خلفه.

ناديته قائلة: "آندي؟".

عبرت الغرفة بخطوتين، ومددت يدي إلى مقبض الباب، لكنّه لم يستدر. حاولت بجهد أكبر، وألقيت كلّ وزني فيه، ولكن عبثًا. لم يتحرّك المقبض قيد أنملة.

إنّه مقفل.

ناديت مجدّدًا: "آندي؟" ولكن لا جواب. "آندي!".

حبًّا بالله، ما الذي يجري هنا؟

ربّما نزل إلى الطابق السفلي وأغلق الهواء الباب. ولكن هذا لا يشرح سبب عدم وجود أوراق في هذه الغرفة عندما قال إنّ هذا ما أتينا من أجله.

طرقت الباب بقبضتي. "آندي!".

مكتبة
t.me/soramnqraa

ولكن لم يأتني أيّ جواب.

ضغطتُ أذني على الباب، فسمعتُ وقع خطىً، لكنّها لم تكن تقترب، بل تبتعد وتختفي أسفل الدرج.

لا بدّ أنّه لم يسمعني، هذا هو التفسير الوحيد. بحثت في جيبي، لكنّ هاتفي كان في غرفة النوم. ما من طريقة للاتّصال به.

تبًّا.

وقع نظري على النافذة. كان ثمّة نافذة صغيرة واحدة في زاوية الغرفة. ذهبت إليها ونظرت إلى الخارج، فأدركت أنّها تطلّ على الفناء الخلفي. هذا يعني أنّه ما من طريقة لجذب انتباه أحد في الخارج. أنا عالقة هنا حتّى عودة آندي.

لم أكن أعاني من رهاب الأماكن الضيّقة، ولكنّ هذه الغرفة صغيرة جدًّا وسقفها منخفض بحيث ينحدر فوق السرير. وفكرة أنّني حبيسة هذا المكان بدأت تخيفني. نعم، آندي سيعود قريبًا، لكنّني لا أحبّ هذه المساحة المغلقة. بدأت أنفاسي تتسارع وشعرت بتنميل في أطراف أصابعي.

عليّ فتح تلك النافذة.

ضغطتُ على أسفل النافذة، لكنّها لم تتحرّك، ولا حتّى لمليمتر واحد. للحظة، فكّرت أنّها ربّما تُفتح إلى الداخل، ولكن كلّا. ما خطب هذه النافذة العجيبة؟ أخذت نفسًا عميقًا، محاولة تهدئة نفسي، ثمّ ألقيت نظرة فاحصة على النافذة و...

إنّها مثبّتة.

عندما يعود آندي إلى هنا، لن أسكت على فعلته. أنا أعتبر نفسي باردة الأعصاب عمومًا، ولكنّني لا أحبّ أن أسجن في غرفة كهذه. علينا فعل شيء حيال قفل هذا الباب، لكي لا يقفل تلقائيًا مرّة أخرى. أعني، ماذا لو كنّا نحن الاثنان هنا؟ لبقينا عالقين في هذه الغرفة فعلًا.

عدت أطرق الباب وأصيح بأعلى صوتي: "آندي! آندي!".

بعد ربع ساعة، بُحّ صوتي من شدّة الصراخ. لماذا لم يعد بعد؟ حتّى لو لم يكن يسمعني، لا بدّ أنّه أدرك أنّني ما زلت في العلّية. ما الذي يمكن أن أفعله هنا بمفردي؟ أنا لا أعرف حتّى ما هي الأوراق التي يريدها.

ترى هل كان يهبط الدرج، فتعثّر، ثمّ سقط على السلّم، وهو يرقد الآن فاقدًا للوعي في بركة من الدماء في الأسفل؟ هذا هو التفسير الوحيد الذي يبدو منطقيًا بالنسبة إليّ.

بعد ثلاثين دقيقة، كدتُ أفقد عقلي. آلمني حلقي واحمرّت يداي من شدة الطرق على الباب. كنت على وشك أن أنفجر باكية. أين آندي؟ ما الذي يجري هنا؟

كنت قد شارفتُ على الانهيار عندما سمعت صوتًا من الجانب الآخر من الباب. "نينا؟"

صرخت قائلة: "آندي! حمدًا لله! أنا محبوسة هنا! ألم تسمعني وأنا أصرخ؟".

ساد صمت طويل من الجانب الآخر. "بلى، سمعتك".

لم أعرف حتّى ماذا أقول. ما دام قد سمعني، فلماذا لا يخرجني من هنا؟ لكنّني لا أستطيع التفكير في ذلك الآن. كلّ ما أريده هو الخروج من هذه الغرفة. "هلّا فتحت الباب من فضلك؟".

ساد الصمت مجدّدًا. "كلّا، ليس بعد".

ماذا؟

قلت غاضبة: "لم أفهم، لماذا لا يمكنك إخراجي؟ هل أضعت المفتاح؟".

"كلّا".

"أخرجني إذًا!".

"قلت ليس بعد".

أجفلت من حدّة الكلمتين الأخيرتين. لم أفهم ما الذي يجري هنا. لماذا لا يسمح لي بالخروج من العلّية؟

حدّقت إلى الباب الفاصل بيننا. حاولت تحريك المقبض مرّة أخرى، على أمل أن تكون مزحة، ولكنّه ما زال مقفلًا. "آندي، أخرجني من هنا".

"لا تلقي عليّ الأوامر في منزلي". كان صوته مشوبًا بنبرة غريبة لم أسمعها من قبل. "عليك أن تتعلّمي درسك قبل أن أسمح لك بالخروج".

سرت قشعريرة باردة في عمودي الفقري. عندما كنّا أنا وآندي مخطوبين، بدا لي مثاليًا للغاية. كان لطيفًا، ورومانسيًا، ووسيمًا، وثريًا، وطيبًا مع سيسيليا. بحثت كثيرًا عن عيبه القاتل الوحيد.

والآن وجدته.

"آندي، من فضلك دعني أخرج. لا أعلم ما الذي أغضبك، ولكن يمكننا حلّ المسألة. فقط افتح الباب لنتحدّث".

"لا أعتقد ذلك". كان صوته هادئًا، لا بل عكس ما أشعر به تمامًا في هذه اللحظة. "الطريقة الوحيدة للتعلّم هي رؤية عواقب أفعالك".

شهقت قائلة: "آندي، أخرجني من هذه الغرفة اللعينة الآن".

ركلت الباب بقوّة، مع أنّ قدمي الحافية لم تحدث التأثير المطلوب، بل آلمتني أصابعي. انتظرت سماع القفل وهو يُفتح، ولكن عبثًا.

قلت بصوت غاضب: "أستحلفك بالله يا آندي، أخرجني من هذه الغرفة. أخرجني".

قال: "أنت غاضبة، سأعود عندما تهدأين".

ثمّ بدأت خطواته تبتعد، كان يرحل.

صرخت: "آندي! إيّاك أن تذهب! عد إلى هنا! عد وأخرجني من هنا! آندي، إن لم تخرجني من هنا، سأتركك! دعني أخرج!" رحت أضرب بكلتا يديّ. "أنا هادئة! دعني أخرج!".

لكنّ وقع خطواته تلاشى حتّى اختفى نهائيًّا.

الفصل 40

الخطوة الثالثة: اكتشفي أنّ زوجك شرّ محض

انقضت ثلاث ساعات، وحلّ منتصف الليل.

ضربتُ الباب وخدشت الخشب إلى أن تشظّى تحت أظافري. صرخت حتّى اختفى صوتي. تخيّلت أنّه حتّى لو كان لا ينوي السماح لي بالخروج، فربّما يسمعني الجيران. ولكن بعد ساعة، فقدت الأمل في ذلك.

أنا الآن جالسة على السرير النقّال في زاوية الغرفة. كانت الرفّاصات تضغط على ردفيّ بينما سالت الدموع على خدّي. لا أعرف ما الذي يخطّط لفعله بي، ولكنّني لم أفكّر سوى في سيسيليا، النائمة في سريرها بمفردها مع ذاك المريض النفسي. ما الذي سيفعله بي؟ ما الذي سيفعله بها؟

إذا استطعت الخروج من هنا، سأحمل سيسي وأهرب بها بعيدًا قدرما أستطيع عن هذا الرجل. لا يهمّني كم لديه من مال ولا أنّنا متزوّجان قانونيًا. أريد الخروج وحسب.

"نينا؟".

كان صوتَ آندي. نهضت بسرعة عن السرير وهرعت إلى الباب. "آندي"، قلت ذلك بصوت مبحوح.

أقرّ قائلًا: "لقد بحّ صوتك".

لم أعرف بماذا أجيب.

"ما كان يجب أن تتكبّدي عناء الصراخ. فكلّ ما تحت العلّية مغلّف بعازل للصوت، ولذلك لن يسمعك أحد. بإمكاني أن أقيم حفل عشاء في الطابق السفلي ولن يسمع أحد صراخك".

قلت بصوت كالأنين: "أخرجني أتوسّل إليك".

كنت مستعدّة لفعل أيّ شيء. سأوافق على ما يريده شرط أن يسمح لي بالخروج من هنا. بالطبع، بمجرّد فتح الباب، سأتركه. لا آبه إن كانت اتّفاقية ما قبل الزواج تنصّ على عدم حصولي على أيّ شيء إذا طلبت الطلاق خلال العام الأوّل. سأعطي أيّ شيء مقابل الخروج من هنا.

قال: "لا تقلقي يا نينا، سأخرجك. أعدك".

تنهّدت.

أضاف: "لكن ليس بعد. عليك أن تتعلّمي عواقب فعلتك".

"ما الذي تتحدّث عنه؟ عواقب ماذا؟".

"شعرك". كان صوته مليئًا بالاشمئزاز. "لا يمكنني أن أترك زوجتي تتجوّل بجذور شعرها الداكنة".

جذور شعري؟ لا أصدّق أنّه مستاء من ذلك. أعني، كانت مجرّد بضع ملليمترات. "أنا آسفة. أعدك أنّني سأحدّد موعدًا مع مصفّف الشعر حالا".

"هذا لا يكفي".

ضغطت جبهتي على الباب. "سأذهب في الصباح الباكر، أقسم لك".

تثاءب من الجانب الآخر من الباب. "أنا ذاهب للنوم الآن. اصبري وسنتحدّث في الصباح حول عقابك".

تلاشت خطواته وهو يبتعد. مع أنّ يديّ آلمتاني من شدّة الطرق على الباب، إلّا أنّني استأنفت الطرق مجدّدًا. ضربت قبضتي على الباب بقوّة، بحيث لم أصدّق

أنّني لم أكسر كلّ عظمة فيها. "آندي، إيّاك أن تتركني هنا طوال الليل! عد إلى هنا! عد إلى هنا!".

لكنّه تجاهلني تمامًا كما فعل من قبل.

***

نمت في تلك الغرفة تلك الليلة. بالطبع فعلت، إذ لم يكن لديّ خيار آخر؟

لم أعتقد أنّني سأستغرق في النوم، لكنّني فعلت بطريقة ما. فبين الصراخ والطرق على الباب، تلاشى الأدرينالين وحلّ محلّه الإرهاق، فغفوت على السرير القديم وغير المريح. لم يكن هذا السرير أسوأ بكثير من ذاك الذي كنت أنام عليه في الشقّة الصغيرة التي عشنا فيها أنا وسيسيليا وحدنا، لكنّني اعتدت على فراش آندي الإسفنجي الوثير الذي يحتفظ بشكل الجسد.

عدت إلى الماضي، عندما كنّا أنا وسيسي فقط. كنت دائمًا في حالة من الانشغال الشديد وعلى حافة البكاء. لم تكن لديّ أيّ فكرة كم كانت حياتي رائعة قبل أن أتزوّج من مختلّ عقلي يحبسني في غرفة طوال الليل لمجرّد أنّني نسيت موعدًا لدى مصفّف الشعر.

سيسي، أتمنّى أن تكون بخير. أقسم أنّني سأقتل ذلك الأحمق إذا لمس شعرة واحدة من رأسها. ولا يهمّني إن أمضيت بقيّة حياتي في السجن.

كان ظهري يؤلمني عندما استيقظت في الصباح ورأسي ينبض كالطبل. لكنّ الأسوأ من ذلك كلّه أنّني أردت إفراغ مثانتي التي كانت ممتلئة بشكل مؤلم. كانت تلك الحاجة الأكثر إلحاحًا.

ماذا يمكنني أن أفعل؟ الحمّام خارج هذه الغرفة، لكن إذا انتظرت أكثر، فإنّني سأتبوّل في ملابسي.

نهضت ورحت أذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا. حاولت تحريك مقبض الباب مرّة أخرى، على أمل أن أكون قد تخيّلت ما جرى في الليلة الماضية وأن يُفتح بطريقة سحرية. ولكن عبثًا، فهو ما زال مقفلًا.

تذكّرت أنّني عندما فتحت الخزانة رأيت فيها شيئًا واحدًا فقط، دلوًا.

لقد دبّر آندي كلّ ذلك. خدعني للصعود إلى هنا، ووضع قفلًا لهذا الباب من الخارج، وترك هذا الدلو هناك أيضًا لسبب.

أنا مضطرّة لفعل ذلك.

أفترض أنّه ثمّة أشياء أسوأ من التبوّل في دلو. أخرجته من الخزانة وفعلت ما عليّ فعله، ثمّ أعدته إلى هناك مجدّدًا. آمل ألّا أضطرّ لاستخدامه مجدّدًا.

شعرت بالعطش وقرقرت معدتي جوعًا، على الرغم من أنّ فكرة الأكل جعلتني أشعر بالغثيان. فبالنظر إلى الطريقة التي وضع فيها الدلو في الخزانة، تساءلت ما إذا كان قد اتّخذ احتياطات مشابهة في أجزاء أخرى من الغرفة. فتحت البرّاد الصغير، على أمل إيجاد مكافأة من الطعام هناك. غير أنّني وجدت بدلًا من ذلك ثلاث زجاجات مياه صغيرة.

ثلاث زجاجات مياه رائعة.

كدت أغيب عن وعيي من شدّة الفرح. تناولت إحداها وفتحتها، ثمّ شربتها في جرعة واحدة. بقي حلقي جافًا وخشنًا، ولكنّني تحسّنت بعض الشيء.

رمقت الزجاجتين الأخريين. كنت أودّ ان أشرب واحدة أخرى، لكنّني تردّدت. فأنا لا أعلم كم سيتركني آندي هنا. لذا، عليّ أن أحافظ على مواردي.

"نينا؟ هل أنت مستيقظة؟".

تناهى إليّ صوت آندي عند الباب. فهرعت إليه متعثّرة ورأسي ينبض مع كلّ خطوة. "آندي..."

"صباح الخير يا نينا".

أغمضت عينيّ مع موجة دوار مفاجئة. "هل سيسيليا بخير؟".

"إنّها بخير. قلت لأمّي إنّك ذهبت لزيارة أقاربك وطلبت منها الاهتمام بسيسيليا حتّى عودتك".

تنفّست الصعداء. على الأقلّ، ابنتي بأمان. صحيح أنّ إيفلين وينشستر ليست الشخص المفضّل لديّ في العالم، لكنّها جليسة أطفال جيّدة. "آندي، دعني أخرج من فضلك".

تجاهل طلبي، ولم يعد يفاجئني ذلك. "هل وجدت الماء في البرّاد؟".

"نعم". ومع أنّ ذلك قتلني، إلّا أنّني أضفت: "شكرًا لك".

"عليك أن تحافظي عليه، فأنا لا أستطيع إعطاءك المزيد".

قلت بصوت أجش: "إذًا، دعني أخرج".

"سأفعل. ولكن عليك فعل شيء من أجلي أوّلًا".

"ماذا؟ سأفعل أيّ شيء".

صمت قليلًا ثمّ قال: "عليك أن تفهمي أنّ الشعر امتياز".

"حسنًا، أنا أفهم ذلك".

"حقًّا يا نينا؟ لأنّني أشعر أنّك لو فهمت ذلك، ما كنتِ لتتجوّلي في المنزل بجذور شعرك الداكنة".

"أنا... أنا آسفة لذلك".

"وبما أنّك لم تتمكّني من العناية بشعرك، فستعطيني إيّاه الآن".

انتابني شعور فظيع بالغثيان. "ماذا؟".

"ليس كلّه". ضحك، لأنّ ذلك سيكون سخيفًا بالطبع. "أريد مائة شعرة".

"أنت... تريد مائة شعرة من رأسي؟".

"صحيح". نقر على الباب. "أعطني مائة شعرة من رأسك، وسأدعك تخرجين".

كان هذا أغرب طلب سمعته على الإطلاق. يريد أن يعاقبني على جذور شعري الداكنة بإعطائه مائة شعرة من رأسي؟ ثمّة هذا القدر في فرشاة

شعري. هل لديه عقدة ما تتعلّق بالشعر؟ أهذا هو الأمر؟ "إذا بحثت في فرشاة شعري-"

قاطعني قائلًا: "كلّا، أريدها من فروة رأسك. أريد أن أرى الجذر".

وقفت هناك مذهولة. "هل أنت جادّ؟".

ردّ بحدّة: "وهل يبدو عليّ أنّني أمزح؟". ثمّ لان صوته قائلًا: "ثمّة عدد من المغلّفات في درج الخزانة. ضعي الشعر في أحدها، ثمّ دسّيه من تحت الباب. إذا فعلتِ ذلك، تكونين قد تعلّمتِ الدرس، وعندها، سأدعك تخرجين".

وافقت قائلة: "حسنًا". مرّرت يدي في شعري الأشقر وسقطت منه شعرتان بين أصابعي. "سأعطيك إيّاها في خمس دقائق".

قال بانزعاج: "عليّ الذهاب إلى العمل الآن يا نينا. ولكن عندما أعود إلى المنزل، يجب أن يكون طلبي جاهزًا".

"لكن يمكنني القيام بذلك بسرعة!" شددت شعري مرّة أخرى وخرجت شعرة ثالثة.

قال: "سأعود إلى المنزل عند الساعة السابعة. وتذكّري، أريد أن تكون الشعرات سليمة تمامًا. أودّ رؤية الجذر، وإلاّ فلا تُحسب!".

"كلّا! من فضلك!" شددت شعري بعنف هذه المرّة، بحيث دمعت عيناي، ولكن لم أحصل سوى على بضع شعرات إضافية. "سأفعل ذلك الآن! انتظر!".

لكنّه لم يكن ينوي الانتظار. كان يرحل، وكان وقع خطواته يضعف، كما حدث سابقًا.

تعلّمت أنّ الصراخ والطرق على الباب لا ينفعان لإعادته. لذا لا فائدة من إهدار طاقتي وزيادة صداعي المؤلم الذي أنهكني أساسًا. عليّ التركيز على إعطائه ما يريد. وبعد ذلك، يمكنني العودة إلى ابنتي، والهرب من هذا المنزل إلى الأبد.

الفصل 41

بحلول الساعة السابعة صباحًا، كنت قد أنجزت المهمّة.

حصلت على نحو عشرين شعرة من خلال تمرير أصابعي بشكل متكرّر عبر شعري. بعد ذلك، علمت أنّني سأضطرّ لاقتلاع الباقي من الجذور. نحو ثمانين مرّة، أمسكت بشعرة من شعري، وحبست أنفاسي وشددتها. حاولت انتزاع عدّة شعرات معًا، ولكنّ ذلك كان مؤلمًا للغاية. لحسن الحظّ، كان شعري بحالة جيّدة، لذلك استطعت انتزاع معظم الشعرات مع بصيلاتها سليمة. لو كان ذلك بعد إنجابي لسيسيليا، لكان عليّ انتزاع كلّ الشعر الموجود في رأسي للحصول على ما فيه الكفاية من الشعر الصالح.

هكذا عندما دقّت الساعة السابعة، كنت جالسة على السرير، أمسك بمغلّف يحتوي على مائة شعرة من رأسي. لم أكن أطيق الانتظار لتسليمه إيّاه والخروج من هنا، ومن بعد ذلك إرسال أوراق الطلاق لذلك اللعين المريض.

"نينا؟".

نظرتُ إلى ساعتي. كانت السابعة بالضبط. كم هو دقيق، عليّ الاعتراف بذلك. قفزت عن سريري وضغطت رأسي على الباب. قلت: "إنّه معي".

"مرّريه من تحت الباب".

مررت المغلّف من تحت عقب الباب. تخيّلته في الجانب الآخر يفتح المغلّف ويتفحّص بصيلات شعري. لا آبه لما يفعله الآن، طالما أنّه سيسمح لي بالخروج. لقد نفّذت طلبه.

قلت: "هل كلّ شيء على ما يرام؟". كنت أشعر بالعطش الشديد. فقد أنهيت زجاجتي المياه الأخريين خلال اليوم، واحتفظت بالزجاجة الأخيرة للساعة الأخيرة. عندما أخرج من هنا، سأشرب خمسة أكواب متتالية من الماء، وأتبوّل في مرحاض حقيقي.

قال: "أعطني دقيقة، "أنا أتحقّق".

صررت على أسناني، متجاهلة الغضب الذي كان يعتمل بداخلي. أنا لم آكل منذ أربع وعشرين ساعة، كما أنّني أشعر بالدوار. وصلت إلى مرحلة بدا لي الشعر فيها لذيذًا.

قلت: "أين سيسي؟".

قال: "إنّها في ملعبها في الأسفل". كنّا قد أنشأنا منطقة مسوّرة وآمنة في غرفة المعيشة يمكنها أن تلعب فيها من دون أن نخاف عليها. كانت تلك فكرة آندي، فهو بعيد النظر.

كلا، هو ليس بعيد النظر. كان ذلك كلّه وهمًا، مجرّد تمثيل.

إنّه وحش.

قال آندي: "هممم".

سألته بصوت أجش: "ماذا؟ ما الأمر؟".

"اسمعي، كلّ الشعرات تقريبًا جيّدة، لكنّ إحداها لا تحتوي على بصيلة".

يا له من نذل. "حسنًا، سأعطيك واحدة جديدة".

تنهّد قائلًا: "أخشى أنّ هذا لن ينفع. عليك أن تبدأي من الصفر. سأعود إليك صباح غد. أتمنّى بحلول ذلك الوقت أن تعطيني مائة شعرة سليمة. وإلّا، فسيتعيّن علينا الاستمرار في المحاولة".

"لا..." اختفت خطواته في الرواق، وأدركت أنّه يتركني، بلا طعام وبلا ماء. "آندي!" كان صوتي أجشًا وأقرب إلى الهمس. "لا تفعل ذلك! من فضلك! من فضلك لا تفعل ذلك!".

ولكنّه رحل.

***

كانت المائة شعرة الإضافية جاهزة بحلول وقت النوم، تحسّبًا في حال قرّر العودة، لكنّه لم يفعل. حتّى إنّني وضعت عشر شعرات إضافية. بطريقة ما، بات الشعر يُنتزع بشكل أسهل الآن. بالكاد أشعر بذلك لأنّ الشعر كان ينفصل بسهولة عن فروة رأسي.

كلّ ما أمكنني التفكير فيه هو الماء. الطعام والماء، ولكنّ حاجتي إلى الماء كانت أكبر. وبالطبع، حبيبتي سيسيليا. لست متأكّدة من أنّني سأراها مجدّدًا. فأنا لا أعرف كم يمكن للإنسان أن يعيش من دون ماء، ولكن قد يستمرّ طويلًا. أقسم آندي أنّه سيخرجني من هنا، ولكن ماذا لو كان يكذب؟ ماذا لو تركني أموت هنا؟

كلّ ذلك لأنّني فوّتُّ موعدًا لدى مصفّف الشعر.

كلّما غفوت ليلًا، كنت أحلم ببركة ماء. أخفض رأسي إلى البركة، فيهرب الماء منّي. كلّما حاولت أن أشرب، ابتعد الماء. كان ذلك أشبه بالتعذيب.

"نينا؟".

أيقظني صوت آندي. لست متأكّدة ممّا إذا كنت أنام أو يغمى عليّ، لكنّني انتظرته طوال الليل، ولذلك عليّ أن أنهض وأعطيه ما يريد. إنّها الطريقة الوحيدة لأغادر هذه الغرفة.

انهضي يا نينا!

ما إن جلست في السرير، حتّى دار رأسي بعنف. سيطر اللون الأسود على كلّ شيء لثانية. فأمسكت بطرف الفراش، بانتظار أن تتّضح رؤيتي، الأمر الذي استغرق دقيقة كاملة.

قال آندي من الجانب الآخر من الباب: "أخشى أنّني لا أستطيع السماح لك بالخروج ما لم أحصل على تلك الشعرات".

صوته الكريه ضخّ في جسدي موجة من الأدرينالين دفعتني للوقوف على قدميّ. ارتجفت أصابعي وأنا أمسك بالمغلّف وأصل إلى الباب متعثّرة. مررت المغلّف من تحت الباب، ثمّ انهرت على الجدار، وانزلقت إلى الأرض.

انتظرته وهو يعدّ الشعرات، وبدا لي أنّه استغرق دهرًا. إن قال إنّني لـم أنجـح، فلا أدري ماذا سأفعل. لا يمكنني البقاء هنا اثنتي عشرة ساعة أخرى. ستكون تلـك النهاية. سأموت في هذه الغرفة.

كلّا، لا بدّ لي من الصمود مهما حدث، من أجل سيسي. لا يمكنني أن أتركها لهذا الوحش.

قال أخيرًا: "حسنًا، أحسنت صنعًا".

بعد ذلك، أدار القفل وفتح الباب.

كان آنـدي قـد ارتـدى بدلتـه، وعلـى أتـمّ الاستعداد للـذهاب للعمـل. تخيّلـت اللحظة أنّني عندما أرى هذا الرجل الذي سـجنني في هـذه الغرفـة لليلتـين، سـأنقضّ عليه وأقتلع عينيه. ولكن بدلًا من ذلك، بقيت على الأرض، وقـد أنهكنـي الضعـف. قرفص آندي بجانبي، وعندئذ لاحظت أنّه يحمل كوبًا كبيرًا من الماء وكعكة.

قال: "خذي، أحضرت لك هذا".

كان يجدر بي أن أرمي المـاء في وجهـه، فهـذا مـا أردتـه. ولكـن لا أعتقـد أنّني سأتمكّن من مغادرة هـذه الغرفـة مـا لـم أشـرب وآكـل شـيئًا. لـذلك، قبلـت هديّتـه. ازدردت الماء وحشوت قطع الخبز في حلقي إلى أن ابتلعت كلّ شيء.

قال: "أنا آسف لأنّني اضطررت للقيام بذلك، لكن هذه هـي الطريقـة الوحيـدة لتتعلّمي".

هسست في وجهه قائلة: "اذهب إلى الجحيم".

حاولت الوقوف، لكنّني تعثّرت مجدّدًا. حتّى بعد شرب الماء، مـا زال رأسـي يدور. لـم أستطع السير في خطّ مستقيم. وأشكّ أنّني سأتمكّن من نـزول الـدرج إلـى الطابق الثاني.

هكذا، ومع أنّني كرهـت نفسـي لفعـل ذلـك، إلّا أنّـني تركـت آنـدي يسـاعدني. تركته يقودني إلى الطابق السفلي، واضطررت للاتّكاء عليه بكلّ ثقلي خـلال ذلـك. عندما وصلت، سمعت سيسيليا تغنّي في الأسفل. إنّها بخير، لم يؤذها، حمدًا لله.

لن أسمح له بالحصول على فرصة أخرى.

قال آندي بجدّية: "عليك الاستلقاء، فأنت لستِ بخير".

أجبت بصوت أجش: "كلّا". فقد أردت أن أكون مع سيسيليا. كانت ذراعاي تتوقان لحملها.

قال: "أنت مريضة جدًّا الآن". كما لو كنت أعاني من الزكام ولم يحبسني في غرفة ليومين. كان يتحدّث إليّ كما لو كنت مجنونة. "هيّا".

ولكن أيًّا يكن، كان على حقّ في أنّني بحاجة إلى الاستلقاء. فقد كانت ساقاي ترتعشان مع كلّ خطوة ورأسي لا يكفّ عن الدوران. لذلك تركته يقودني إلى سريرنا الكبير ويمدّدني تحت الأغطية. ولو كانت ثمّة فرصة لخروجي من هنا، فقد تبدّدت بمجرّد وصولي إلى السرير. إذ بدا الأمر كما لو أنّني أنام على غيمة بعد أن أمضيت ليلتين على ذلك السرير النقّال.

شعرت أنّ جفنيّ أصبحا كالفولاذ، ولم أستطع مقاومة الرغبة في النوم. جلس آندي بجانبي، على طرف السرير، ومرّر أصابعه في شعري قائلًا: "لم تأكلي جيّدًا، أنت بحاجة إلى يوم من النوم. ولا تقلقي بشأن سيسيليا. سأحرص على أن تتلقّى الرعاية اللازمة".

كان صوته لطيفًا، بحيث بدأت أتساءل ما إذا كنت قد تخيّلت الأمر برمّته. في النهاية، لطالما كان زوجًا صالحًا. فهل يمكن أن يحبسني في غرفة ويطلب منّي أن أنتزع شعري؟ لا يبدو ذلك معقولًا. ربّما كنت أعاني من الحمّى وكان كلّ ما جرى مجرّد هلوسة رهيبة؟

كلّا، لم تكن هلوسة، بل كانت حقيقة. أنا أعلم ذلك.

همست قائلة: "أنا أكرهك".

تجاهل آندي كلامي وواصل تمرير يده في شعري إلى أن أغمضت عينيّ. قال بلطف: "خذي قسطًا من النوم، هذا كلّ ما تحتاجين إليه".

الفصل 42

الخطوة الرابعة: دعي العالم يعتقد أنّك مجنونة

استيقظت على صوت الماء البعيد.

ما زلت أشعر بالدوار والوهن. تُرى ما هي المدّة التي يستغرقها الجسم للتعافي من حرمانه من الطعام والماء لمدّة يومين؟ نظرت إلى ساعتي - كنّا في فترة ما بعد الظهيرة.

فركت عينيّ محاولةً تحديد موقع المياه الجارية. يبدو أنّ الصوت قادم من حمّام الغرفة المغلق. هل آندي يستحمّ هناك؟ إن كان الأمر كذلك، فليس لديّ كثير من الوقت للفرار من هنا.

كان هاتفي على المنضدة بجانب السرير. فأخذته وخطر ببالي الاتّصال بالشرطة لإخبارهم بما فعله آندي بي. لكن لا، سأنتظر حتّى أصبح بعيدة عنه.

كان الهاتف مليئًا برسائل نصّية من آندي. لا بدّ أنّ يكون صوت رسائله هو الذي أيقظني. رحت أقرأها عابسة.

هل أنت بخير؟

كنت تتصرّفين بغرابة هذا الصباح. من فضلك اتّصلي بي وأخبريني أنّك على ما يرام.

نينا، هل كلّ شيء على ما يرام؟ أنا على وشك الانضمام إلى اجتماع، ولكن أخبريني أنّك بخير.

كيف حالكما أنت وسيسي؟ من فضلك اتّصلي بي أو راسليني.

كانت الرسالة الأخيرة هي التي لفتت انتباهي. سيسيليا... لم أرها منذ يومين. قبل ذلك، لم يمرّ يوم بدونها. لم أتركها حتّى للذهاب في شهر عسل، فأين هي الآن؟ في النهاية، لا يتركني آندي بمفردها معي وأنا نائمة.

نظرت إلى باب الحمّام المغلق. من يوجد في حمّام الغرفة؟ ظننتُ أنّه آندي، ولكن هذا مستحيل لأنّه يراسلني من العمل. هل تركتُ الماء مفتوحًا عن طريق الخطأ؟ ربّما نهضت واستعملت الحمّام ونسيت إغلاق الصنبور. بدا لي ذلك ممكنًا، بالنظر إلى حالتي.

أبعدت الأغطية عن ساقيّ، وبدت لي يداي شاحبتين ومرتعشتين. حاولت النهوض، لكن بصعوبة بالغة. فعلى الرغم من أنّني شربت الماء واسترحت، إلّا أنّني ما زلت أشعر بالتعب. اضطررت للتمسّك بالسرير لكي أسير، غير أنّني لم أكن واثقة من قدرتي على الحمّام.

أخذت نفسًا عميقًا، وحاولت أن أسيطر على الدوار، ثمّ مشيت ببطء قدر المستطاع. قطعت نحو ثلثي المسافة قبل أن أنهار على ركبتيّ. ربّاه، ما خطبي؟

لكنّني عليّ أن أعرف ما هذا الصوت. ما سبب جريان الماء في الحمّام؟ الآن بعد أن أصبحت أقرب، استطعت أن أرى ضوءًا خلف الباب المغلق. مَن هناك؟ من *يوجد في حمّامي؟*

زحفت بقية الطريق إلى هناك. وعندما وصلت أخيرًا إلى باب الحمام، مددت يدي إلى المقبض ودفعتُ الباب لفتحه. والمشهد الذي رأيته عندما دخلت لن أنساه لبقية حياتي.

إنّها سيسي. كانت في حوض الاستحمام، عيناها مغلقتان، وتمّ إجلاسها في الحوض. وفي تلك الأثناء، كان الماء يملأ الحوض بسرعة، ويرتفع فوق مستوى كتفيها. بعد دقيقة أخرى أو دقيقتين، كان سيعمّ رأسها.

شهقت قائلة: "سيسيليا".

لم تقل شيئًا. لم تبك ولم تنادني، لكنّ جفنيها تحرّكا قليلًا.

عليّ إنقاذها. عليّ إغلاق صنبور الماء وسحبها من الحوض. ولكنّني لا أستطيع الوقوف على قدميّ، وأشعر أنّ كلّ حركة أشبه بالسباحة في الوحل. سأنقذها على الرغم من ذلك، سأنقذ ابنتي حتّى لو استلزم ذلك كلّ ما بقي لديّ من قوّة، حتّى لو كلّفني حياتي.

زحفت على أرض الحمّام، بينما كان رأسي يدور، وخشيت ألّا أتمكّن من البقاء بوعيي. لكنّني لا أستطيع أن أستسلم الآن، فطفلتي تحتاج إليّ.

أنا قادمة يا سيسي. تماسكي، أرجوك.

عندما لامست أصابعي حوض الاستحمام، كدت أبكي من شدّة الارتياح. أوشك الماء على بلوغ ذقنها الآن. هممت بمدّ يدي إلى الصنبور، لكنّ صوتًا قاسيًا جمّد أصابعي.

"سيدة وينشستر، لا تتحرّكي".

مددت يدي إلى الصنبور على أيّ حال، فما من أحد سيمنعني من إنقاذ طفلتي. تمكّنت من إغلاق الصنبور، ولكن قبل أن أفعل شيئًا آخر، أمسكت بي يدان قويتان ودفعتاني للوقوف على قدمي. في ما يشبه الضباب، رأيت رجلًا يرتدي زيًّا رسميًا يسحب سيسيليا من الحوض.

حاولت أن أسأله، لكنّ كلامي كان غير واضح: "ماذا تفعل؟".

تجاهل الرجل الذي أنقذ سيسيليا سؤالي، بينما قال شخص آخر: "إنّها على قيد الحياة، ولكن يبدو أنّها مخدّرة".

قلت: "نعم مخدّرة".

إنّهم يعرفون، يعرفون ما كان يفعله آندي بنا. والآن قام بتخديرنا نحن الاثنتان. الحمد لله على وصول الشرطة. والآن، وضع أحد المسعفين سيسيليا على حمّالة، ونقلوني على حمّالة أخرى أنا أيضًا. سنكون بخير، لقد أتوا لإنقاذنا.

سلّط رجل بزيّ الشرطة مصباحًا على عينيّ. فأشحت بنظري وقد أبهرني الضوء الساطع. قال بحدّة: "سيدة وينشستر، لماذا كنت تحاولين إغراق ابنتك؟".

فتحت فمي، ولكن لم يخرج منّي أيّ صوت. إغراق ابنتي؟ ما الذي يقوله؟ لقد كنت أحاول إنقاذها. ألم يروا ذلك؟

لكنّ الشرطي هزّ رأسه، ثمّ التفت إلى أحد زملائه. "ليست بوعيها. يبدو أنّها تناولت كمّية من المخدّر هي نفسها. خذوها إلى المستشفى وسأتّصل بزوجها لإبلاغه أنّنا وصلنا إلى هنا في الوقت المناسب".

وصلوا في الوقت المناسب؟ ما الذي يتحدّث عنه؟ لقد كنت نائمة طوال اليوم. حبًّا بالله، ماذا يظنّون أنّني فعلت؟

الفصل 43

أمضيت الأشهر الثمانية التالية من حياتي في مستشفى كليرفيو للطبّ النفسي. وبحسب القصّة التي كُرّرت على مسمعيّ مرّات لا تحصى، فقد تناولت قبضة من الحبوب المهدّئة التي وصفها لي طبيبي، كما أعطيت ابنتي بعضًا منها في زجاجة الحليب. بعد ذلك وضعتها في حوض الاستحمام وفتحت صنبور الماء. على ما يبدو، كانت نيّتي قتلنا كلانا. حمدًا لله، اشتبه زوجي الرائع آندي بوجود خطب ما، ووصلت الشرطة في الوقت المناسب لإنقاذنا.

لا أذكر شيئًا من هذا. لا أذكر أنّني تناولت حبوب مهدّئة، ولا أنّني وضعت سيسيليا في حوض الاستحمام. حتّى إنّني لا أذكر أنّ طبيبي وصف لي هذا الدواء، لكنّ طبيب الأسرة الذي نزوره أنا وآندي أكّد ذلك.

بحسب المعالج النفسي الذي أراه في كليرفيو، أنا أعاني من اكتئاب شديد وأوهام. والأوهام هي التي دفعتني إلى الاعتقاد بأنّ زوجي احتجزني في غرفة لمدّة يومين. وهي التي جعلتني أقدم على محاولة القتل والانتحار.

في البداية، لم أصدّق ذلك. فذكرياتي عن تواجدي في العلّية حيّة للغاية، لدرجة أنّني أشعر بوخز في فروة رأسي بسبب الشعر الذي انتزعته. لكنّ الدكتور بارينغر شرح لي بإصرار أنّه عند وجود أوهام، قد نشعر أنّها حقيقية للغاية حتّى لو لم تكن كذلك.

لذا، أنا أتناول الآن دواءين لمنع تكرار الحادثة، أحدهما مضادّ للذهان والآخر مضادّ للاكتئاب. وعندما أذهب إلى جلساتي مع الدكتور بارينغر، فإنّني أتحمّل مسؤولية ما قمت به، على الرغم من أنّني ما زلت لا أتذكّر ذلك على الإطلاق. كلّ ما أذكره أنّني استيقظت ووجدت سيسيليا في حوض الاستحمام.

لكن لا شكّ في أنّني فعلت ذلك، إذ لم يكن ثمّة شخص آخر هناك.

وما أقنعني أخيرًا أنّني أنا من فعلت ذلك، أنّه من المستحيل أن يُقدم آندي على ارتكاب أمر كهذا. فمنذ اليوم الذي قابلته فيه، كان شخصًا رائعًا. وطوال فترة إقامتي في كليرفيو، كان يزورني كلّما سنحت له الفرصة. والموظّفون يحبّونه هناك. فقد كان يجلب معه المافن والبسكويت للممرّضات ويحتفظ بواحدة دائمًا من أجلي.

أحضر لي اليوم قطعة مافن بالتوت البرّي. قرع باب غرفتي في كليرفيو، وهي منشأة باهظة الكلفة تستقبل الأشخاص الذين يعانون من مشاكل نفسية ويملكون المال. جاء مباشرة من العمل، وكان يرتدي بذلة مع ربطة عنق، وبدا وسيمًا على نحو لا يصدّق.

عندما جئت إلى هنا للمرّة الأولى، كنت حبيسة في الغرفة. لكنّني تحسّنت كثيرًا مع الدواء بحيث حظيت بامتياز غرفة غير مقفلة. جلس آندي على الطرف الآخر لسريري بينما كنت أتناول المافن. فقد زادت مضادّات الذهان من شهيّتي، وكسبتُ تسعة كيلوغرامات منذ وصولي إلى هنا.

سألني: "هل أنت مستعدّة للعودة إلى البيت الأسبوع المقبل؟".

أومأت برأسي موافقة ومسحت فتات المافن عن شفتيّ. "أنا... أعتقد ذلك".

مدّ يده ليمسك بيدي، فأجفلت، ولكنّني تمكّنت من عدم إبعادها. عندما أتيت إلى هنا في البداية، لم أكن أحتمل أن يلمسني. غير أنّني تمكّنت من دفع مشاعر الاشمئزاز عنّي. فآندي لم يفعل لي شيئًا، بل عقلي المخرّب هو الذي دفعني إلى تخيّل كلّ شيء.

مع ذلك، بدت تلك التخيّلات حقيقية للغاية.

سألته: "كيف حال سيسيليا؟".

ضغط على يدي قائلًا: "إنّها بخير. وهي متحمّسة للغاية لعودتك إلى المنزل".

اعتقدت أنّها ستنساني خلال وجودي هنا، لكنّها لا تنسى أبدًا. لم يُسمح لي برؤيتها خلال الأشهر الأولى، ولكن عندما أحضرها آندي إليّ أخيرًا، تشبّثنا ببعضنا، وعندما انتهت ساعات الزيارة، راحت تلوّح برأسها إلى أن انفطر قلبي.

عليّ العودة إلى البيت، عليّ العودة إلى حياتي السابقة. فقد كان آندي رائعًا معي في كلّ شيء. وبذل من أجلي أكثر بكثير ممّا هو متوقّع.

قال: "إذًا، سآتي لأصطحبك ظهر يوم الأحد. وستبقى والدتي مع سيسي".

قلت: "عظيم".

بقدر ما أنا متحمّسة للعودة إلى المنزل ورؤية ابنتي، فإنّ فكرة دخول ذلك المنزل سبّبت لي الغثيان. أنا لست توّاقة للعودة إلى هناك، ولا سيّما إلى العلّية.

لن أصعد إلى هناك مرّة أخرى.

الفصل 44

"ما الذي تخشينه يا نينا؟".

نظرت إلى الدكتور هيويت. كنت أذهب إلى هذه الجلسات خلال الأشهر الأربعة الماضية، مرّتين في الأسبوع، منذ خروجي من كليرفيو. لكن لم يكن الدكتور هيويت خياري الأوّل. كبداية، كنت سأختار على الأرجح طبيبة أصغر سنًّا منه، رأسها غير مكسوّ بالشعر الرمادي. لكنّ والدة آندي أوصت بشدّة بالدكتور جون هيويت، ولم أجرؤ على الاعتراض، لا سيّما وأنّ آندي قام بتغطية كلّ تكاليف علاجي النفسي.

على أيّ حال، تبيّن أنّ الدكتور هيويت طبيب جيّد. صحيح أنّه يضغط عليّ أحيانًا ببعض الأسئلة الصعبة، كما يفعل الآن ونحن نتعامل مع حقيقة أنّني لم أقترب من علّية منزلنا منذ عودتي.

غيّرت جلستي على أريكته الجلدية. كان الأثاث الثمين لهذا المكتب شهادة على نجاح هذا الطبيب الكبير. "لا أعرف ما الذي أخشاه، تلك هي المشكلة".

"هل تعتقدين أنّه ثمّة زنزانة في العلّية؟".

"ليست زنزانة، بل..."

بعد كلّ ادّعاءاتي حول ما حدث لي في منزلنا، تمّ إرسال ضابط شرطة للتحقّق من العلّية. فوجد هناك غرفة، وتحقّق من أنّها لا تتجاوز كونها غرفة تخزين مليئة بالصناديق والأوراق.

كان كلّ شيء مجرد وهم. حدث خطأ ما في كيميائياتي الدماغية وتخيّلت أنّ آندي احتجزني هناك كرهينة. هل يُعقل أن يجبرني على انتزاع شعري ووضعه في مغلّف لمجرّد أنّه فاتني موعد لدى مصفّف شعر؟ هذا جنون تامّ، لدى التفكير في الأمر الآن.

لكنّه بدا لي حقيقة في ذلك الوقت. وقد حرصت على صباغة شعري منذ عودتي إلى المنزل، تحسّبًا..

أبقى آندي باب الدرج المؤدّي إلى العلية مُغلقًا. وعلى حدّ علمي، لم يفتحه منذ عودتي.

قال لي الدكتور هيويت، عاقدًا حاجبيه الأبيضين السميكين: "أعتقد أنّه من المفيد لك الصعود إلى هناك. فبذلك يفقد المكان سيطرته عليك، وترين بنفسك أنّها مجرّد مخزن".

"ربّما..."

كان آندي يشجّعني هو الآخر على الصعود إلى هناك. *ما عليك سوى أن تري بنفسك. ما من شيء يدعو للخوف.*

قال: "عديني أن تحاولي يا نينا".

"سأحاول".

ربّما، سنرى.

رافقني الدكتور هيويت إلى قاعة الانتظار. هناك، كان آندي جالسًا على أحد المقاعد الخشبية، يقرأ شيئًا على هاتفه. عندما رآني، ظهرت ابتسامة على وجهه. كان قد أعاد ترتيب جدول أعماله ليصطحبني إلى كلّ هذه الجلسات. ولا أعرف كيف ما زال بإمكانه أن يحبّني إلى هذه الحدّ بعد كلّ الأمور الفظيعة التي اتّهمته بها. لكنّنا نتعاون لتحقيق الشفاء.

انتظر إلى أن أصبحنا في سيّارته البي إم ليسألني عن الجلسة. "إذًا، كيف سارت الأمور؟".

"يعتقد أنّه عليّ زيارة غرفة العلّية".

"إذًا؟".

ازدردت لعابي وأنا أتأمّل المشاهد التي تعبر من خلال النافذة. "أنا أفكّر في الأمر".

هزّ آندي رأسه قائلًا: "أظنّ أنّها فكرة جيّدة. بمجرّد وصولك إلى هناك، ستدركين أنّ الأمر برمّته كان مجرّد وهم. سيتّضح لك كلّ شيء على حقيقته".

أو سأصاب بانهيار تامّ وسأحاول قتل سيسيليا مجدّدًا. بالطبع، هذا صعب، لأنّه من غير المسموح لي حاليًّا أن أنفرد بها. فآندي أو والدته موجودان على الدوام. كان هذا أحد شروط عودتي إلى المنزل. ولا أدري كم من الوقت سأحتاج إلى مُرافِق عندما أكون مع ابنتي، لكن من الواضح حاليًّا أنّه ما من أحد يثق بي.

كانت سيسي على الأرض، تلعب بإحدى الألعاب التعليمية التي اشترتها لها إيفلين. عندما رأتنا ابنتي ونحن ندخل، تركت لعبتها واندفعت نحوي إلى أن لامس جسدها الصغير ساقي اليسرى، وكاد توازني يختلّ. على الرغم من أنّه ليس مسموحًا لي بالتواجد بمفردي معها، إلّا أنّ سيسي أصبحت متعلّقة بي بشكل كبير منذ عودتي إلى المنزل.

"ماما!" رفعت ذراعيها إليّ لكي أحملها. كانت ترتدي فستانًا أبيض بكشاكش لا يناسب تمامًا فتاة صغيرة تلعب في غرفة المعيشة، ولا بدّ أنّ إيفلين هي التي ألبستها إيّاه. "ماما عادت".

لم تكن إيفلين سريعة في النهوض بقدر سيسي. قامت ببطء عن الأريكة، ونفضت سروالها الأبيض الناصع. لم ألاحظ من قبل كم تكثر إيفلين من ارتداء اللون الأبيض، الذي لطالما كان اللون المفضّل لدى آندي، علمًا أنّه يناسبها تمامًا.

بدا شعرها أنّه كان أشقر في ما مضى، لكنّه يتراوح الآن بين الأشقر والأبيض، وكان كثيفًا وسليمًا على نحو مثير للاستغراب بالنسبة إلى امرأة في عمرها. عمومًا، تحافظ إيفلين على نفسها ومظهرها على نحو لا يصدّق. حتّى إنّه لم يسبق لي أن رأيت خيطًا مرتخيًا في سترتها.

قال آندي: "شكرًا على رعاية سيسي يا أمّي".

قالت إيفلين: "لا داعي للشكر. لقد أحسنت التصرّف اليوم، لكن..." حوّلت نظرها إلى السقف متابعة: "لاحظتُ أنّكَ تركتَ الأنوار مضاءة في غرفة النوم بالطابق العلوي. وهذا هدر رهيب للكهرباء".

ألقت عليه نظرة استياء واحمرّ وجه آندي بالكامل. لاحظت كم هو يائس لنيل استحسانها.

قلت: "لقد كان خطأي". لم أكن متأكّدة من ذلك، ولكن فليكن. يمكنني أن أتحمّل اللوم، لا سيّما وأنّ إيفلين تكرهني أساسًا. "أنا من تركت المصباح مضاء".

وبّختني إيفلين قائلة: "نينا، إنتاج الكهرباء يستهلك الكثير من موارد كوكبنا. عليك أن تتذكّري إطفاء الأنوار عندما تغادرين أيّ غرفة".

وعدتها قائلة: "سأفعل ذلك بالتأكيد".

ألقت عليّ إيفلين نظرة وكأنّها ليست متأكّدة تمامًا من أنّني أعني ما قلت، ولكن ماذا ستفعل؟ لقد فشلَت أساسًا في منع ابنها من الزواج بي. بالطبع، ربّما كانت محقّة بشأني بعد فعلتي الرهيبة.

قال آندي: "توقّفنا لشراء الطعام يا أمّي، وقد أحضرنا وجبة إضافية، فهل ترغبين في مشاركتنا؟".

شعرتُ بالارتياح عندما هزّت إيفلين رأسها رافضة. فهي ليست ضيفًا لطيفًا على الطعام. بوجودها، نسمع سلسلة لا تنتهي من الانتقادات حول غرفة الطعام، ونظافة الأطباق والأواني، والطعام نفسه.

قالت: "كلّا، عليّ الذهاب، فوالدك ينتظرني".

تردّدَت أمام آندي. وللحظة، ظننتُ أنّها ستقبّله على خدّه، وهو أمر لم أرها تفعله من قبل. لكن بدلًا من ذلك، مدّت يدها، ثمّ عدّلت ياقته وسوّت قميصه. بعد ذلك، أمالت رأسها تتفحّصه، ثمّ أومأت موافقة. "حسنًا، أنا ذاهبة".

بعد رحيل إيفلين، استمتعنا بعشاء لطيف معًا، نحن الثلاثة وحسب. جلست سيسيليا على كرسيّها المرتفع وأكلت المعكرونة بأصابعها. وفي منتصف الوجبة، وجدت إحدى قطع المعكرونة طريقها إلى جبهتها والتصقت هناك لبقية العشاء. ولكن حتّى وأنا أحاول الاستمتاع بوجبتي، انتابني إحساس مزعج. فقد واصلت التفكير في ما قاله الدكتور هيويت. يعتقد أنّه عليّ الصعود إلى العلّية، وكذلك هو رأي آندي.

ربّما كانا كلاهما على حقّ.

لذلك، بعدما وضعت سيسيليا في فراشها، وطرح آندي الفكرة، وافقت على الفور.

الفصل 45

الخطوة الخامسة: اكتشفي أنّك لست مجنونة في النهاية

وعدني آندي ونحن واقفَين معًا عند باب السلّم المؤدّي إلى العلّية: "سنأخذ الأمر ببطء، ولكن سيكون ذلك مفيدًا لك. سترين بنفسك أنّه ما من شيء يدعو للخوف، وأنّ كلّ ما جرى كان من صنع خيالك بالكامل".

"صحيح". قلت ذلك وأنا أعلم أنّه على حقّ، ولكنّه بدا لي حقيقيًا.

أمسك آندي بيدي. لم أعد أنكمش على نفسي عندما يلمسني، بل عادت علاقتنا إلى طبيعتها مجدّدًا. فقد استعدت ثقتي به وستكون هذه الخطوةَ الأخيرة لنعود إلى ما كنّا عليه قبل أن أقدم على تلك الحماقة الرهيبة، قبل أن يتخرّب عقلي.

قال: "هل أنت جاهزة؟".

أومأت برأسي موافقة.

أمسكنا بيدَي بعضنا البعض ونحن نصعد السلّم، يرافقنا صرير الدرجات. علينا وضع مصباح هنا في مكان ما. فبقية المنزل جميل للغاية، وربّما لو كانت هذه المنطقة بأكملها غير مخيفة بهذا الشكل، لشعرت بتحسّن. لكنّ هذا ليس عذرًا لما فعلت.

سرعان ما وصلنا إلى الغرفة في العلّية، ذاك المخزن الذي حوّلتُه بطريقة ما في رأسي إلى زنزانة. رفع آندي حاجبيه ونظر إليّ قائلًا: "هل أنت بخير؟".

"أنا... أعتقد ذلك".

أدار المقبض وفتح الباب. كان الضوء مطفأ، والغرفة غارقة في ظلام دامس. وهذا أمر غريب، لأنّه ثمّة نافذة وأعلم أنّ القمر بدر الليلة، فقد تأمّلته من نافذة غرفة النوم. خطوت إلى الداخل، وأنا أحدّق إلى ظلام الغرفة.

ابتلعت غصّة في حلقي وقلت: "آندي، هلّا أضأت المصباح؟".

"بالطبع يا حبيبتي".

شدّ الحبل وأضاء الغرفة، ولكنّه لم يكن ضوءًا عاديًا. كان الضوء القادم من الأعلى ساطعًا على نحو مبهر تقريبًا. كان ساطعًا للغاية، على نحو لم أره من قبل. أفلتُّ يد آندي ورفعتُ يديّ لأحجب الضوء عن عينيّ.

ثمّ سمعت صوت الباب وهو يُغلق.

ناديت: "آندي! آندي!".

كانت عيناي قد اعتادتا على الضوء الساطع بالكاد لأتمكّن من رؤية محتويات الغرفة و... كانت تمامًا كما أذكرها. السرير النقّال في الزاوية، والخزانة مع الدلو، والبرّاد الصغير الذي يحتوي على ثلاث زجاجات صغيرة من المياه.

قلت بصوت أجش: "آندي؟".

أتاني صوته مكتوم: "أنا هنا يا نينا".

"أين؟" حاولت أن أمدّ يديّ حولي من دون أن أرى شيئًا. "أين ذهبت؟".

لامست أصابعي المعدن البارد لمقبض الباب، فحاولت أن أديره يمينًا و...

كلّا. كلّا، هذا مستحيل.

هل أعاني من انهيار آخر؟ هل كلّ هذا في رأسي وحسب؟ مستحيل، إنّه شعور حقيقي تمامًا.

أتاني صوت آندي مجدّدًا: "نينا، هل يمكنك سماعي؟".

غطّيت عينيّ بيدي. "النور ساطع جدًّا هنا، لماذا؟".

"أطفئي النور".

مددت يدي أتلمّس ما حولي إلى أن عثرت على الحبل، ثمّ شددته. شعرت بموجة من الارتياح عندما عاد الظلام. ولم يدم ذلك سوى لثانيتين، حتّى أدركت أنّني لا أستطيع رؤية شيئًا هنا.

قال: "ستعتاد عيناك قليلًا، لكنّ ذلك لن يساعد حقًّا. فقد حجبت النافذة تمامًا في الأسبوع الماضي ووضعت مصباحًا جديدًا. إذا أطفأتِ الضوء، سيغمرك الظلام الدامس، وإذا أضأته... حسنًا، تلك المصابيح فائقة السطوع، أليس كذلك؟".

أغمضت عينيّ ولم أر سوى الظلام. فتحهما مجدّدًا، وبقي الوضع على حاله، لا فرق. تسارعت أنفاسي.

قال: "النور امتياز يا نينا، وقد لاحظت والدتي أنّك نسيت إطفاء المصباح. هل تعلمين أنّه ثمّة بلدان لا يملك الناس فيها الكهرباء أساسًا؟ وأنت، ماذا تفعلين؟ تهدرينها".

ضغطتُ كفّي على الباب. "هذا يحدث بالفعل، أليس كذلك؟"

"ما رأيك؟".

"برأيي أنت لست سوى نذل مجنون ومريض".

ضحك آندي من الجانب الآخر من الباب. "ربّما، ولكن أنت من كنت في مستشفى المجانين بسبب محاولتك قتل ابنتك والانتحار. وقد رآك رجال الشرطة وأنت تفعلين ذلك، واعترفتِ بفعلتك. وعندما أتوا إلى هنا للتحقّق، بدت هذه الغرفة مثل أيّ غرفة تخزين".

شهقت قائلة: "كان ذلك حقيقة، كان كان شيء حقيقة. أنت..."

بدت نبرته مليئة بالتسلية وهو يقول: "أردتك أن تعلمي ما الذي تتعاملين معه. أردتك أن تعلمي ماذا سيحدث إذا حاولت الفرار".

تنحنحتُ قائلة: "أنا أفهم، أقسم لك، لن أرحل. فقط أخرجني من هنا".

"ليس بعد. أولًا، يجب أن تعاقَبي بسبب إهدار الكهرباء".

أعاد إليّ صدى كلماته شعورًا ساحقًا بأنّ هذا الأمر سبق أن حدث لي. شعرت أنّني على وشك التقيّؤ وسقطت على ركبتيّ.

قال: "اسمعي إذًا. لأنّني رجل طيب، سأعطيك خيارين. بإمكانك البقاء في الضوء أو الظلام، الأمر متروك لك تمامًا".

"آندي، من فضلك..."

"ليلة سعيدة يا نينا، سنتحدّث أكثر غدًا".

"أتوسّل إليك! آندي، لا تفعل ذلك!".

انهمرت الدموع من عينيّ بينما تلاشى وقع خطاه. لن يفيد الصراخ، فأنا أعرف ذلك جيّدًا لأنّ الأمر نفسه حدث لي منذ عام مضى. حبسني هنا بالطريقة نفسها كما فعل اليوم.

وبشكل من الأشكال، تركته يفعل ذلك مجدّدًا.

تخيّلت الأحداث تتوالى كما في المرّة السابقة. أخرج من هذه الغرفة ضعيفة ومترنّحة، وهو يجعل الأمر يبدو وكأنّني كنت أحاول إيذاء نفسي، أو الأسوأ من ذلك، إيذاء سيسيليا. وسيصدّق الجميع قصّته على الفور بعد ما حدث في السابق. ثمّ تخيّلت أن يتمّ تفريقي عن ابنتي مجدّدًا، بعد أن استعدتها للتوّ. لا يمكنني السماح بحدوث ذلك، هذا مستحيل.

أنا على استعداد لفعل أيّ شيء.

مجدّدًا، ترك لي آندي ثلاث زجاجات مياه في البرّاد. قرّرت الاحتفاظ بها لليوم التالي، لأنّ هذا كلّ ما سأحصل عليه وليست لديّ أيّ فكرة عن المدّة التي سأمضيها هنا. سأحتفظ بها إلى الوقت الذي أعجز فيه عن الاحتمال لدقيقة أخرى، عندما أشعر وكأنّ لساني جافّ كالرمل.

مسألة الضوء كادت تقودني إلى الجنون. كان ثمّة مصباحان مثبّتان في السقف، وكلاهما من المصابيح فائقة السطوع. إذا قمت بتشغيل الضوء، يصبح ساطعًا على

نحو مؤلم، وإذا أطفأته، أغرق في ظلام دامس. خطرت ببالي أخيرًا فكرة دفع الخزانة تحت المصابيح، ثمّ صعدت عليها وتمكّنت من فكّ أحدها. بات الوضع أفضل قليلًا مع مصباح واحد، ولكنّه ظلّ ساطعًا على نحو مزعج.

لم يعد آندي في الصباح التالي أيضًا. هكذا جلست في الغرفة طوال اليوم، أفكّر بسيسيليا، وأتساءل ماذا سأفعل عندما أخرج من هنا، هذا إذا خرجت. ولكنّ ما يحدث ليس وهمًا، ليس هلوسة، بل هو حقيقة. عليّ أن أتذكّر ذلك.

كان وقت النوم قد حان عندما سمعت أخيرًا وقع خطىً خارج الغرفة. كنت مستلقية على السرير، وقد اخترت الظلام. فعندما كان الوقت نهارًا، تسلّل شيء من ضوء الشمس من خلال بعض الشقوق الصغيرة، واستطعت أن أتبيّن ظلال الأشياء في الغرفة. ولكن الآن بعد أن غابت الشمس، خيّم الظلام التامّ مجدّدًا.

"نينا؟".

فتحت فمي، لكنّ حلقي كان جافًّا لدرجة أنّني لم أتمكّن من قول شيء. فتنحنحت قائلة: "أنا هنا".

"سأسمح لك بالخروج".

انتظرت منه أن يضيف: "لكن ليس بعد"، غير أنّه لم يفعل.

قال: "ولكن أوّلًا، سنضع بعض القواعد الأساسية".

"أنا موافقة على كلّ ما تقول". فقط أخرجني من هنا.

"بادئ ذي بدء، لن تخبري أحدًا بما حدث في هذه الغرفة". كان صوته حازمًا. "لن تخبري أصدقاءك، ولا طبيبك، ولا أيّ شخص، لأنّ أحدًا لن يصدّقك. وإذا تحدّثتِ عن ذلك، فستكون علامة على أنّك تعانين من الأوهام مجدّدًا، وقد تعرّضين سيسيليا المسكينة للخطر".

بقيت صامتة أحدّق إلى الظلام. فعلى الرغم من أنّني كنت أعرف ما سيقوله، إلّا أنّ سماع ذلك ملأني بالغضب. كيف يتوقّع منّي ألّا أتحدّث عمّا فعله بي للتوّ؟

"هل تفهمين يا نينا؟".

أجبت: "نعم".

"جيّد". استطعت أن أتخيّل ابتسامته الراضية. "ثانيًا، من وقت إلى آخر، إذا احتجتِ إلى التأديب، فإنّ ذلك سيحدث في هذه الغرفة".

هل يمزح معي؟ "مستحيل، انسَ الأمر".

قال ساخرًا: "لا أعتقد أنّك في وضع يسمح لك بالتفاوض يا نينا. أنا أخبرك وحسب كيف ستكون الأمور. أنت زوجتي الآن ولديّ توقّعات محدّدة. حقًّا، كلّ هذا لمصلحتك. فقد علّمتك درسًا قيّمًا عن إهدار الكهرباء، ألم أفعل؟".

شهقت في الظلام، فقد شعرت وكأنّني أختنق.

قال: "هذا من أجلك أنت يا نينا. انظري إلى الخيارات الرهيبة التي قمتِ بها قبل أن أدخل حياتك. كانت لديك وظيفة بلا أفق تتقاضين فيها الحدّ الأدنى للأجور. كما أنّك حملت من شخص فاشل لم يتزوّج منك. أنا أحاول أن أعلّمك كيف تكونين شخصًا أفضل".

قلت بحدّة: "أتمنّى لو لم ألتق بك قطّ".

ضحك مجيبًا: "هذا ليس لطيفًا من جانبك. أعتقد أنّني لا أستطيع لومك. مع ذلك، أنا معجب من تمكّنك من فكّ أحد المصباحين، حتّى إنّني لم أفكّر في ذلك".

"كيف... كيف استطعت...؟".

"أنا أراقبك يا نينا، أراقبك دائمًا". استطعت سماع أنفاسه من خلف الباب. "هكذا ستكون حياتنا من الآن فصاعدًا. سنكون زوجين سعيدين مثل غيرنا، وتكونين الزوجة الأفضل في الحيّ بأكمله. سأحرص على ذلك".

ضغطت أصابعي على مقلتي عينيّ، محاولة إخماد الصداع الذي بدأ ينتابني.

"مفهوم يا نينا؟".

وخزتني الدموع، ولكنّني لم أستطع البكاء. فأنا أعاني من الجفاف الشديد، ولم يخرج شيء من عينيّ.

"مفهوم يا نينا؟".

الفصل 46

الخطوة السادسة: حاولي التعايش مع واقعك الجديد

فتحتُ النافذة في سيّارة سوزان الأودي حتّى تتخلّل الرياح شعري. كانت توصلني إلى المنزل بعد لقائنا على الغداء. كان من المفترض أن نناقش مسائل متعلّقة برابطة الآباء والمعلّمين، لكنّ انتباهنا تشتّت وبدأنا نثرثر. من الصعب تجنّب النميمة هنا، ففي هذه البلدة كثير من الزوجات اللواتي يعانين من الملل.

ويعتقد الناس أنّني واحدة منهنّ.

مضى على زواجنا أنا وآندي سبع سنوات حتّى الآن، وقد وفى بكل وعوده. كان، من نواح كثيرة زوجًا رائعًا. فقد دعمني ماليًا، وكان شخصية الأب بالنسبة إلى سيسيليا، كما أنّه لطيف ومعتدل المزاج. لم يكن يكثر من الشراب أو يقيم علاقات من وراء ظهري، كعديد من الرجال في هذه المدينة. كان مثاليًا تقريبًا.

غير أنّني أكرهه بالرغم من ذلك.

فعلت كلّ ما بوسعي للتخلّص من هذا الزواج. ساومته، قلت له إنّني سأغادر مع سيسيليا فقط والملابس التي أرتديها، ولكنّه اكتفى بالضحك. فمع مشاكلي العقلية السابقة، سيكون من السهل عليه إخبار الشرطة أنّني اختطفت سيسي، وسيعمد إلى إيذائها مجدّدًا. حاولت أن أؤدّي دور الزوجة المثالية، لكي لا أمنحه العذر لسجني في العلّية. كنت أطهو طعامًا شهيًا، وأحافظ على نظافة المنزل،

وأتظاهر بعدم النفور منه عندما نكون معًا. لكنّه كان يجد سببًا على الدوام، خطأً لم أتخيّل حتّى أنّني ارتكبته.

في النهاية، استسلمت. لم أعد أحاول أن أكون طيبة ما لم يكن ذلك يؤثّر على عدد المرّات التي يصطحبني فيها إلى هناك. أصبحت استراتيجيتي الجديدة تقوم على جعله ينفر منّي. بدأت أتصرّف بطريقة مزعجة، وأثور غضبًا في وجهه كلّما أزعجني. غير أنّه لم يهتمّ، لا بل بدا وكأنّه يستمتع بالإساءة. توقّفت عن الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية وبدأت بتناول كلّ ما أريد، على أمل أن يكرهني بسبب سلوكي ومظهري. في إحدى المرّات، أمسك بي وأنا أتناول كعكة بالشوكولاتة، فجرّني إلى العلّية وتركني جائعة لمدّة يومين عقابًا لي. لكن بعد ذلك، بدا أنّه لم يعد يكترث.

حاولت العثور على كاثلين، خطيبته السابقة، على أمل أن تدعم قصّتي حتّى أتمكّن أخيرًا من الذهاب إلى الشرطة من دون أن أبدو مجنونة. كانت لديّ فكرة عن شكلها وعمرها التقريبي، فظننت أنّه بإمكاني العثور عليها. لكن من الصعب تصديق عدد النساء اللواتي تتراوح أعمارهنّ بين الثلاثين والخامسة والثلاثين تقريبًا ويحملن اسم كاثلين. كنّ كثرًا. هكذا، لم أفلح في العثور عليها، وتخلّيت عن المحاولة في نهاية المطاف.

في المتوسّط، كان يسجنني في العلّية مرّة كلّ شهرين. وقد تزيد أو تنقص. في إحدى المرّات، انقضت ستّة أشهر من دون أن أصعد إلى هناك. ولا أعرف ما إذا كانت عدم معرفتي بموعد العقاب أمرًا حسنًا أم سيّئًا. فمن المخيف أن أعرف اليوم الذي سأسجن فيه، ولكن من المخيف أيضًا ألّا أعرف ما إذا كنت سأمضي الليلة في سريري أم في ذلك السرير غير المريح في الأعلى. وبالطبع، لم أستطع يومًا توقّع نوع التعذيب الذي ينتظرني في الغرفة لأنّني لا أملك فكرة عن الانتهاك الذي ارتكبته.

والعقاب لا يقتصر على الأخطاء التي أرتكبها أنا. فعندما تفعل سيسيليا أمرًا غير مقبول، أنا من يُعاقَب. اشترى خزانة ملابس كاملة من الأثواب الخشنة ذات الكشاكش التي تكرهها، وتثير سخرية الأطفال الآخرين عندما ترتديها، لكنّها تعرف

أنّها إذا رفضت ارتداءها أو تسبّبت باتّساخها، فإنّ أمّها ستختفي لأيّام (ومن المحتمل أن يبقيني عارية، ليعلّمني أنّ الملابس امتياز). لذلك كانت تطيعه.

لطالما خشيت أن يبدأ يومًا ما بمعاقبتها هي بدلًا منّي، ولكن في هذه الأثناء، كنت أتقبّل مصيري برحابة صدر ما دام ذلك يجنّب ابنتي العقاب.

ومن الواضح أنّني إذا حاولت الابتعاد عنه، فإنّ سيسيليا ستدفع الثمن. لقد كاد يغرقها أساسًا. طريقته المفضّلة في إزعاجي هي الاحتفاظ بوعاء من زبدة الفول السوداني في مطبخنا، على الرغم من علمه أنّها تتحسّس تجاهها. كنت قد تخلّصت منه عشرات المرّات، ودائمًا ما يظهر مجدّدًا، وأحيانًا أُعاقَب أنا على الانتهاك. لحسن الحظّ، لم تكن تعاني من تحسّس يهدّد حياتها، بل تظهر بقع في جميع أنحاء جسمها. وبين الحين والآخر، كان يتعمّد وضع قليل من هذه الزبدة في عشائها، ليثبت وجهة نظر ما عند ظهور الطفح الجلدي المزعج والحكّة بعد انتهاء وجبتنا.

لو علمت أنّني لن أذهب إلى السجن بسبب ذلك، لأخذت سكّينًا وذبحته.

غير أنّ آندي استعدّ لشيء كهذا. بالطبع، كان يعلم أنّ رغبتي في الترتيب لقتله أو الإقدام على قتله بنفسي ستصبح ساحقة يومًا ما. لذلك أبلغني أنّه في حال وفاته لأيّ سبب من الأسباب، سيتمّ إرسال خطاب من محاميه إلى قسم الشرطة لإبلاغهم بسلوكي غير المتّزن وتهديدات القتل الموجّهة إليه. علمًا أنّه لا يحتاج إلى القيام بذلك، مع تاريخي النفسي.

لذلك بقيت معه. ولم أقدم على قتله في نومه، ولا على استئجار قاتل محترف، لكن كان لديّ تخيّلاتي في هذا المضمار. وعندما تكبر سيسيليا، ولا تعود بحاجة إليّ، ربّما يمكنني الإفلات منه. وعندئذٍ، لن يسبّب لي أيّ تهديد. بمجرّد أن تصبح آمنة، لن آبه بما سيحدث لي.

أعلنت سوزان بمرح ونحن نتوقّف أمام منزلنا: "ها قد وصلنا!". من المضحك كم وجدت هذا المنزل ساحرًا بأسواره في المرّة الأولى التي رأيته فيها. أمّا الآن، فهو يبدو لي على حقيقته، مجرّد سجن.

قلت: "شكرًا لك". مع أنّها لم تشكرني على دعوة الغداء.

قالت: "أنت على الرحب والسعة. آمل أن يعود آندرو إلى المنزل قريبًا".

تجهّمت من نبرة القلق في صوتها. قبل بضع سنوات، عندما أصبحت مقرّبة جدًّا سوزان، تناولنا بعض الشراب في منزلها واعترفت لها بكلّ شيء، *كلّ شيء*. توسّلت إليها لمساعدتي، وقلت لها إنّني أريد الذهاب إلى الشرطة، لكنّني لا أستطيع. ليس بدون شخص يدعمني.

تحدّثنا لساعات. أمسكت خلالها سوزان بيدي، وأقسمت لي أنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام، ثمّ طلبت منّي أن أذهب إلى المنزل ووعدتني أن نجد حلًّا معًا. فبكيت بارتياح، معتقدة أنّ كابوسي قد انتهى أخيرًا.

لكن عندما وصلت إلى المنزل، كان آندي ينتظرني.

على ما يبدو، كلّما أقمت صداقة جديدة، كان آندي يبحث عن هذه الصديقة، ثمّ يجلس معها ويخبرها بمشاكلي العقلية، وبما حاولت القيام به منذ سنوات. كما يطلب منها، في حال لاحظت أيّ سبب يدعو للقلق، أن تتّصل به على الفور، لأنّني ربّما أواجه نوبة عصبية أخرى.

من دون علمي، استأذنت سوزان أثناء حديثنا، بحجّة الذهاب إلى الحمّام، واتّصلَت بآندي، وحذّرته من أنّني أعاني من الأوهام مجدّدًا. وعندما عدت إلى المنزل، كان بانتظاري. أمضيت شهرين آخرين في كليرفيو، واكتشفت هناك أنّ أحد المديرين على الأقلّ كان صديقًا لوالده في لعبة الغولف.

عندما خرجت، اعتذرت منّي سوزان باستفاضة. *كنت قلقة عليك وحسب يا نينا، أنا مسرورة جدًّا لأنّك حصلت على المساعدة*. وقد سامحتها بالطبع. فقد خُدعَت كما خُدعتُ. لكنّ الأمور لم تعد كالسابق بيننا، ولم أتمكّن بعد ذلك من الوثوق بأيّ شخص مجدّدًا.

قالت سوزان: "إذًا أراك يوم الجمعة، اتّفقنا؟ في ملعب المدرسة".

قلت: "بالتأكيد. ذكّريني في أيّ وقت؟".

لم تجبني، بل تشتّت انتباهها فجأة.

سألتها مجدّدًا: "هل يبدأ عند السابعة؟".

"امم".

ألقيت نظرة من فوق كتفها لأرى ما الذي لفت انتباهها. وعندما عرفت، نظرتُ إلى الأعلى بسأم. كان إنزو، البستاني الذي استأجرناه للعناية بحديقتنا منذ شهرين. كان يقوم بعمل جيّد - دائم الانهماك بالعمل ولا يختلق أعذارًا - ومن الواضح أنّه مُلفت للنظر. ولكن من الغريب كيف أنّ كلّ امرأة تزور منزلنا وتراه وهو يعمل تتذكّر فجأة أنّ لديها بعض أعمال البستنة التي تحتاج إلى إنجازها.

قالت سوزان: "يا إلهي، سمعت أنّ البستاني الذي يعمل لديكم جذّاب، ولكن تبًّا".

ابتسمتُ قائلة: "إنّه يشذّب عشب حديقتنا وحسب، هذا كلّ شيء. حتّى إنّه لا يتحدّث الإنكليزية".

قالت سوزان: "يناسبني ذلك، لا بل قد تكون تلك ميزة إضافية".

لن ترحل حتّى أعطيها رقم هاتف إنزو، غير أنّني لا أمانع. فهو يبدو شابًّا لطيفًا ويسعدني أن يحصل على مزيد من العمل، حتّى لو كانت جاذبيّته هي السبب، وليس مهارته في عمله.

عندما خرجتُ من السيارة ومررت بالبوّابة، رفع إنزو نظره عن المقصّ ولوّح بيده بتحيّة: "*تشاو سينيورا*".

رددت ابتسامته قائلة: "*تشاو* إنزو."

كنت أحبّ إنزو. فعلى الرغم من أنّه لا يتحدّث الإنكليزية، إلّا أنّه بدا شخصًا لطيفًا. كان هذا واضحًا، فقد زرع أزهارًا جميلة في فناء منزلنا. وفي بعض الأحيان، تراقبه سيسي وهو يعمل، وعندما تسأله عن الأزهار، يخبرها بأسمائها بصبر. فتكرّر أسماءها بينما يومئ لها مبتسمًا. سألتني عدّة مرّات ما إذا كان باستطاعتها مساعدته،

فكان ينظر إليّ ويسألني: "موافقة؟"، وعندما أوافق، يطلب منها فعل شيء ما في الحديقة، مع أنّ ذلك يبطئ عمله على الأرجح.

كانت الأوشام تغطّي أعلى ذراعيه، معظمها مخفيّ بقميصه. ذات مرّة شاهدته وهو يعمل، ورأيت اسم أنطونيا موشومًا على عضلة ذراعه. فتساءلت من تكون أنطونيا، لا سيّما وأنّني متأكّدة من أنّه ليس متزوّجًا.

كان ثمّة شيء فيه يدفع إلى الثقة. ولو كان يتحدّث الإنكليزية، لأخبرته بهمّي ربّما. فقد يكون الشخص الذي سيصدّقني، ويساعدني بالفعل.

وقفت هناك، أراقبه وهو يقلّم الشجيرات. لم أعمل منذ اليوم الذي انتقلت فيه إلى هنا، ذلك أنّ آندي لم يسمح لي بذلك. وأنا افتقد إلى العمل. إنزو سيفهم، أعلم أنّه سيفعل. من المؤسف أنّه لا يجيد الإنكليزية على الإطلاق. ولكن بطريقة ما، هذا يجعل من الأسهل الوثوق به. فأنا أشعر أحيانًا أنّني إذا لم أقل الكلمات بصوت عالٍ، فإنّني سأجنّ حقًّا.

هكذا قلت بصوت عال: "زوجي وحش. إنّه يعذّبني، ويحتجزني كرهينة في العلّية".

تصلّب كتفا إنزو. وضع مقصّه وعبس قائلًا: "*سينيورا*... نينا..."

تقلّصت معدتي. لمَ قلت ذلك؟ ما كان يجب أن أفعل قطّ. لقد شعرت بالحاجة إلى إخبار شخص لن يشي بي لآندي، ولم أتوقّع أن يفهمني. ظننت أنّه من الآمن أن أخبر إنزو، ففي النهاية، هو لا يجيد الإنكليزية. ولكن عندما نظرت إلى عينيه السوداوين، شعرت أنّه فهم شيئًا.

قلت بسرعة: "لا تهتمّ".

قام بخطوة باتّجاهي، فهززت رأسي، وتراجعت. لقد ارتكبت خطأً فادحًا. والآن قد أضطرّ على الأرجح إلى طرد إنزو.

ولكن يبدو أنّه فهم ما أريد. ذلك أنّه تناول مقصّه مجدّدًا وعاد إلى عمله.

أسرعت إلى المنزل بأقصى سرعتي وأغلقت الباب خلفي. بجوار النافذة مباشرة، كان ثمّة تنسيق رائع من الأزهار. كانت كلّ ألوان قوس قزح مجموعة فيها. فقد أحضرها آندي إلى المنزل الليلة الماضية من العمل ليفاجئني، وليريني كم هو زوج رائع عندما "أكون مطيعة".

حدّقت من النافذة إلى الحديقة الأمامية. كان إنزو لا يزال يعمل هناك، حاملًا مقصّه الحادّ بيديه المكسوّتين بالقفّاز. لكنّه توقّف للحظة ونظر إلى النافذة، فتلاقت نظراتنا لجزء من الثانية.

عندئذٍ، أشحت بنظري بعيدًا.

الفصل 47

مضت عليّ في العلّية عشرون ساعة.

اصطحبني آندي إلى هناك بعد أن ذهبت سيسيليا إلى فراشها الليلة الماضية. تعلّمت ألّا أجادل، لأنّني إذا فعلت، سيكلّفني ذلك إقامة أخرى في كليرفيو. وربّما، عندما أذهب لاصطحاب سيسي من المدرسة في اليوم التالي، قد لا أجدها هناك وقد لا أتمكّن من رؤيتها لمدّة أسبوع كامل، بينما هي "خارج المدينة". هو لا يريد أن يؤذي سيسيليا، لكنّه سيفعل بالتأكيد. ففي النهاية، لو لم تصل الشرطة في الوقت المناسب تمامًا، لكان من الممكن أن تغرق في حوض الاستحمام قبل سنوات. ذكرت الأمر أمامه مرّة، فاكتفى بالابتسام. *كان ذلك سيلقّنك درسًا، أليس كذلك؟*

والآن، يريد آندي طفلًا آخر، يريد كائنًا صغيرًا آخر أحبّه وأرغب في حمايته، ليستخدمه في التحكّم بي لسنوات قادمة. غير أنّه يستحيل أن أسمح بحدوث ذلك. لهذا السبب، توجّهت إلى عيادة في المدينة، وأعطيتهم اسمًا مزيّفًا، ودفعت لهم نقدًا لوضع لولب. بعد ذلك، تدرّبت على تعبيري الحائر عندما جاءت نتائج اختبارات الحمل سلبية.

هذه المرّة كان خطأي رشّ كثير من معطّر الجوّ في غرفة نومنا. كانت بالضبط الكمّية نفسها التي أرشّها دائمًا، ولو لم أستخدمه من الأساس، لحبسني هناك مع شيء كريه الرائحة، كسمكة متعفنة، فقد بتّ أعلم كيف يعمل عقله.

على أيّ حال، قمت بطريقة ما برشّ كمّية زائدة من معطّر الهواء، الأمر الذي هيّج عينيه. أمّا عقابي، فنصّ على أن أرشّ رذاذ الفلفل على نفسي.

نعم.

ترك عبوة من رذاذ الفلفل في درج الخزانة قائلًا، *وجّهيه على عينيك واضغطي على الزرّ.*

وأبقي عينيك مفتوحتين، وإلاّ فلن تحسب.

وهكذا فعلت. رششت نفسي برذاذ الفلفل لمجرّد الخروج من هذه الغرفة اللعينة. ولكلّ من لم يسبق له أن جرّب ذلك، أنا لا أنصح به. فقد سبّب لي لسعًا رهيبًا، وعلى الفور، بدأت عيناي تدمعان بغزارة. شعرت أنّ وجهي كان يحترق، ثمّ بدأ أنفي يسيل. وبعد دقيقة، شعرت أنّ الرذاذ يتسرّب إلى فمي، وهناك سبّب لي لسعًا، وكان طعمه رهيبًا. جلست على السرير لعدّة دقائق، أعاني من صعوبة في التنفّس. وبالكاد تمكّنت من فتح عينيّ لمدّة ساعة تقريبًا.

كان الأمر بالتأكيد أسوأ من قليل من معطّر الجوّ.

لكن الآن مرّت عدّة ساعات، وبات بإمكاني فتح عينيّ مجدّدًا. ما زلت أشعر أنّني أعاني من حروق الشمس على وجهي وعيناي منتفختان، ولكنّني لم أعد أشعر أنّني على وشك الموت. أنا متأكّدة من أنّ آندي سينتظر إلى أن أستعيد شكلي الطبيعي قبل أن يسمح لي بالخروج من هنا.

هذا يعني أنّه أمامي ليلة أخرى، ولكن آمل أن أكون مخطئة.

لم تكن النافذة محجوبة هذه المرّة، كما يفعل أحيانًا، ولذلك استطعت الاستفادة من بعض الضوء الطبيعي في الغرفة. كان هذا الشيء الوحيد الذي يمنعني من الجنون التامّ. مشيت إلى النافذة ونظرت إلى الفناء الخلفي، متمنّية لو كنت هناك بدلًا من هذه الغرفة.

في تلك اللحظة أدركت أنّ الفناء لم يكن خاليًا.

كان إنزو هناك، يعمل. فبدأت بالتراجع، ولكنّه نظر إلى النافذة في اللحظة التي وقفت فيها هناك. حدّق إليّ، وحتّى من الطابق الثالث من المنزل، استطعت أن أرى النظرة القاتمة التي ظهرت على وجهه. فجأة، نزع قفّاز البستنة وغادر الفناء.

أوه كلّا، هذا لا يبشّر بالخير.

لا أدري ماذا ينوي أن يفعل. هل سيتّصل بالشرطة؟ لست متأكّدة ممّا إذا كان ذلك أمرًا جيّدًا أم سيّئًا. فقد تمكّن آندي دائمًا من قلب الحقائق ضدّي، وكان دائمًا متقدّمًا عليّ بخطوة. قبل عام تقريبًا، بدأت أخبّئ بعض المال في أحد أحذيتي في خزانتي، على أمل التمكّن من الفرار منه. لكن في أحد الأيّام، اختفى كلّ المال، وفي اليوم التالي، أجبرني على الصعود إلى العلّية.

بعد نحو دقيقة، سمعت طرقًا على باب العلّية. فتراجعتُ إلى الوراء، واحتميت بالحائط. "نينا!" كان صوت إنزو. "نينا! أعلم أنّك هناك!".

تنحنحت قائلة: "أنا بخير!".

اهتزّ مقبض الباب. "إذا كنت بخير، فافتحي الباب وأريني ذلك".

أدهشني في تلك اللحظة أنّ إنزو يتحدّث الإنكليزية بشكل جيّد. كان لديّ انطباع أنّه يفهم بعضًا من الإنكليزية ويتحدّثها أقلّ بكثير، لكنّ لغته الإنكليزية تبدو ممتازة حاليًا. حتّى إنّ لكنته الإيطالية ليست ظاهرة بوضوح.

قلت بصوت عالٍ على نحو غير طبيعي: "أنا... أنا مشغولة. ولكنّني بخير! إنّني أنجز بعض الأعمال".

"قلت لي إنّ زوجك يعذّبك ويحبسك في العلّية".

شهقت مرعوبة. قلت له ذلك لأنّني ظننت أنّه لن يفهمني، لكن من الواضح الآن أنّه فهم كلّ ما قلته. ولا بدّ لي أن أسيطر على الضرر الذي تسبّبت به. فأنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا يغضب آندي. "كيف دخلت المنزل أساسًا؟".

أفلت إنزو صوتًا غاضبًا. "أنت تتركين مفتاحًا تحت إناء النباتات بالقرب من الباب الأمامي. والآن، أين مفتاح هذه الغرفة؟ أخبريني".

"إنزو..."

"أخبريني".

كنت أعلم أين يوجد مفتاح باب العلّية. فهذه المعلومة لا تفيدني وأنا حبيسة هذه الغرفة، ولكن بإمكاني أن أدلّه عليه، إذا أردت. "أعلم أنّك تحاول المساعدة، لكنّ هذا لن ينفع. من فضلك، ابق خارج الموضوع. سيسمح لي بالخروج لاحقًا اليوم".

خيّم صمت طويل من الجانب الآخر من الباب. ربّما كان يفكّر في ما إذا كان الأمر يستحقّ التورّط في حياة صاحب العمل الشخصية. فأنا لا أعرف ما هو وضعه كمهاجر، ولكنّني أعلم أنّه لم يولد هنا. وأنا واثقة من أنّ آندي وعائلته يملكون ما يكفي من المال والسلطة لترحيله إذا أرادوا ذلك.

قال إنزو أخيرًا: "تراجعي إلى الخلف، سأخلع الباب".

"كلّا، لا يمكنك ذلك!" دمعت عيناي وأنا أضيف: "اسمع، أنت لا تفهم. إذا لم أفعل ما يقول، فإنّه سيؤذي سيسيليا. وسيحبسني أيضًا، لقد فعل ذلك من قبل".

"كلّا، هذه مجرّد أعذار".

"لا ليست أعذارًا!" سالت دمعة على خدّي. "أنت لا تفهم كم لديه من المال. لا تفهم ما بإمكانه فعله لك. هل تريد أن يتمّ ترحيلك؟".

صمت إنزو مجدّدًا. "هذا خطأ. إنّه يؤذيك".

"أنا بخير، أقسم لك".

وكان هذا صحيحًا إلى حدّ ما. صحيح أنّني ما زلت أشعر وكأنّ وجهي يحترق، وعيناي ما زالتا تلسعان، لكن لا ضرورة لأن يعرف إنزو ذلك. بعد يوم آخر، سأكون قد تعافيت تمامًا، كما لو أنّ ذلك لم يحدث قطّ. وبعد ذلك، يمكنني استئناف حياتي الطبيعية البائسة.

قال: "تريدينني أن أغادر".

لم أكن أريده أن يرحل، كنت أتمنّى لو أنّه يخلع الباب، لكنّني أعرف كيف سيحرّف آندي المسألة. والله يعلم ما سيتّهمنا به نحن الاثنان. فأنا لم أعتقد أنّه

يستطيع حبسي في مصحّة عقلية عدّة مرّات لمجرّد محاولة قول الحقيقة. ولا أريد أن تصبح هذه حياة إنزو أيضًا. فلدى آندي سبب ليرغب في إخراجي، في حين أنّه لن تكون لديه أيّ مشكلة في حبس إنزو إلى أجل غير مسمى.

قلت: "نعم، اذهب أرجوك".

أطلق تنهيدة طويلة. "سأذهب، ولكن إذا لم أرك صباح غد، فسوف أصعد إلى هنا وأكسر الباب. كما أنّني سأتّصل بالشرطة".

"اتّفقنا". كنت أستخدم آخر زجاجة مياه صغيرة، لذا، إن لم يسمح لي آندي بالخروج بحلول الصباح، فإنّني سأكون بحالة سيّئة.

انتظرت أن أسمع خطاه وهو يبتعد، لكنّني لم أسمع شيئًا. كان لا يزال واقفًا من الجانب الآخر من الباب. قال أخيرًا: "أنت لا تستحقّين أن تُعاملي بهذه الطريقة".

بعد ذلك اختفت خطوات في الردهة، بينما انهمرت الدموع على خدّيّ.

سمح لي آندي بالخروج من الغرفة في تلك الليلة. وعندما وصلت أخيرًا إلى المرآة، صُدمت من مدى تورّم عينيّ من رذاذ الفلفل، فيما وجدت وجهي أحمر كما لو أنّه محروق. لكن بحلول صباح اليوم التالي، عدت إلى طبيعتي تقريبًا. كان خدّاي ورديين، كما لو أنّني تعرّضت للشمس على نحو زائد في اليوم السابق.

كان إنزو يعمل في الفناء الأمامي عندما خرج آندي من المرآب، ومعه سيسي على مقعدها في الخلف. كان سيوصلها إلى المدرسة بينما أرتاح اليوم. فعادة ما يصبح لطيفًا جدًّا معي لعدّة أيّام بعد أن يسمح لي بالخروج من العلّية. وأنا متأكّد من أنّه سيعود الليلة حاملًا الأزهار وربّما بعض المجوهرات لي، كما لو أنّ هذا يعوّض شيئًا ممّا حدث.

شاهدت من النافذة آندي وهو يقود سيّارته عبر البوّابة، ويخرج إلى الطريق العامّ. بعد اختفاء السيارة، لاحظت أنّ إنزو يحدّق إليّ. عادة، هو لا يأتي إلى فناء منزلنا يومين متتاليين. إنّه هنا لسبب لا يتعلّق بحالة أزهارنا.

خرجت من باب المنزل إلى حيث يقف مع مقصّه. لاحظتُ مدى حدّة مقصّه، وخطر ببالي أنّه إذا غرزه في صدر آندي، فستكون نهايته. بالطبع، لن يحتاج لفعل ذلك، فبإمكانه على الأرجح قتل آندي بيديه.

أجبرت نفسي على الابتسام قائلة: "أرأيت؟ قلت لك إنّني بخير".

لم يردّ لي الابتسامة.

قلت: "حقًّا".

كانت عيناه قاتمتين جدًّا بحيث بدا من المستحيل رؤية بؤبؤ عينيه. "أخبريني الحقيقة".

"أنت لا تريد سماع الحقيقة".

"أخبريني".

خلال السنوات الخمس الماضية، كلّما أخبرت أحدًا عمّا فعله آندي بي - الشرطة والأطبّاء وصديقتي المقرّبة - وصفني بالجنون، *إنّها أوهام*. وتمّ حبسي لأنّني تكلّمت عمّا عانيته. ولكن ما دام هذا الرجل يريد أن يسمع الحقيقة، فإنّه سيصدّقني.

هكذا، وبينما نحن واقفان في حديقة منزلي في هذا اليوم المشمس الجميل، أخبرت إنزو بكلّ شيء. أخبرته عن الغرفة في العلّية، وعن بعض الطرق التي عذّبني بها آندي. كما أخبرته عن اليوم الذي وجدت فيه سيسيليا فاقدة للوعي في حوض الاستحمام. كان ذلك منذ سنوات ولكنّني أتذكّر وجهها تحت الماء كما لو كان بالأمس. أخبرته بكلّ شيء، بينما كان وجهه يزداد عبوسًا.

قبل أن أنتهي، أفلتت من إنزو سلسلة من الكلمات الإيطالية. ومع أنّني لا أجيد اللغة، إلّا أنّني أعرف الكلمات النابية عندما أسمعها. ضغط بأصابعه على المقصّ إلى أن ابيضّت عقد يديه، وهسّ قائلًا: "سأقتله، سأقتله الليلة".

شحب وجهي تمامًا. صحيح أنّني شعرت بالارتياح لإخباره بكلّ ما مررت به، ولكنّها كانت غلطة، فقد اشتعل غضبًا. "إنزو..."

انفجر قائلًا: "إنّه وحش! ألا تريدينني أن أقتله؟".

بلى، أريد أن يموت آندي، ولكنّني لا أريد أن أتعامل مع عواقب ذلك، لا سيّما الخطاب الذي سيُرسَل إلى الشرطة في حال وفاته. أنا أريده ميتًا، ولكنّني لا أنوي أن أمضي بقيّة حياتي في السجن.

هززت رأسي بقوّة: "لا يمكنك فعل ذلك. ستذهب إلى السجن، لا بل سنذهب كلانا، أهذا ما تريده؟".

غمغم إنزو بمزيد من الكلمات الإيطالية في سرّه. "حسنًا، إذًا انفصلي عنه".

"لا أستطيع".

"بل تستطيعين، سأساعدك".

"وماذا يمكنك أن تفعل؟" لم يكن سؤالي مجرّد تحدٍّ. فقد يكون إنزو ثريًا سرًّا، وربّما كان لديه بعض المعارف الأقوياء. "هل يمكنك أن تحصل لي على تذكرة طائرة؟ جواز سفر جديد؟ هوية جديدة؟".

"كلّا، ولكن..." فرك ذقنه متابعًا: "سأجد طريقة. أنا أعرف بعض الناس، وسأساعدك".

في تلك اللحظة، وددت تصديقه بشدّة.

الفصل 48

الخطوة السابعة: حاولي الهرب

بعد أسبوع، التقيت بإنزو لوضع الخطط.

كنّا حذرَين في ذلك. فعندما زارتني صديقاتي من راطبة الآباء والمعلّمين، قمت باستعراض أمامهنّ وتحدّثت إليه بحدّة كما لو أنّه يدمّر نباتاتي، لمجرّد درء أيّ ثرثرة محتملة. وأنا على يقين من أنّ آندي وضع جهاز تعقّب في مكان ما في سيّارتي، لذلك لم أذهب بالسيّارة إلى منزله. بدلًا من ذلك، قدتُ سيّارتي إلى مطعم للوجبات السريعة، وركنتها في موقف السيّارات، ثمّ ركبتُ في سيّارته قبل أن يرانا أحد، وتركت هاتفي خلفي.

فأنا لن أخاطر.

لدى إنزو شقّة صغيرة استأجرها في طابق سفلي في أحد المباني، ولكن لها مدخل خاصّ. قادني إلى مطبخه الصغير الذي يحتوي على طاولة مستديرة وكراسٍ متهالكة، وتأوّه الكرسي مهدّدًا وأنا أجلس عليه. شعرت بشيء من الخجل حيال مدى جمال منزلنا مقارنة بهذا المكان الذي يسكنه، ولكن لا أعتقد أنّ إنزو يكترث لهذه الأمور.

ذهب إلى برّاده وأخرج زجاجة عصير، ثمّ رفعها قائلًا: "ما رأيك بكأس؟".

كنت على وشك أن أرفض، لكن ما لبثت أن غيّرت رأيي. "نعم من فضلك".

عاد إلى الطاولة مع زجاجتين. استخدم فتّاحة معلّقة بسلسلة مفاتيحه ثمّ فتح

إحداها ومرّرها إليّ من فوق الطاولة. وضعت أصابعي على الزجاجة، وشعرت ببرودتها تحت يدي.

قلت: "شكرًا لك".

هزّ كتفيه مجيبًا: "ليس من النوع الممتاز".

"أنا لا أقصد العصير".

طقطق أصابعه. تحرّكت عضلات ذراعيه، بحيث بدا من الصعب عدم ملاحظة مدى جاذبية هذا الرجل. إذا علمت نساء الحيّ أنّني في شقته، سيشعرن جميعًا بغيرة شديدة. ولن يصدّقن أنّني أزوره للحديث وحسب، لا بل سيشعرن ربّما بالغضب لأنّه اختارني من بين كلّ النساء الأخريات الأكثر جاذبية منّي. *بإمكان إنزو الحصول على أفضل من ذلك بكثير.* لكنّهنّ لا يملكن أدنى فكرة عن حقيقة الوضع، الأمر الذي يدعو إلى الضحك تقريبًا... ولكن ليس حقًّا.

قال: "كان لديّ إحساس أنّ زوجك - كنت أشعر أنّه رجل سيّئ".

أخذت جرعة طويلة من العصير. "لم أكن أعرف أنّك تتحدّث الإنكليزية".

ضحك إنزو. إنّه يعمل في حديقتي منذ عامين، وهذه المرّة الأولى التي أسمعه فيها يضحك. "من الأسهل التظاهر بأنّني لا أفهم. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ سيّدات المنازل لا يتركنني وشأني إطلاقًا. هل تفهمينني؟".

على الرغم من كلّ شيء، ضحكت أنا أيضًا. فهو محقّ في ذلك.

"هل أنت إيطالي الأصل؟".

"من صقلية".

رحت أحرّك الزجاجة بيدي قائلة: "إذًا... ما الذي أتى بك إلى هنا؟".

خفض كتفيه مجيبًا: "ليست قصّة جميلة".

"وهل قصّتي أفضل؟".

نظر إلى زجاجته وقال: "كان زوج أختي أنطونيا مثل زوجك، رجلًا سيّئًا. كان رجلًا شريرًا ثريًا وقويًا، وكان يعتقد أنّه يصبح أكثر رجولة بضربها. ومع أنّني

نصحتها بالرحيل عنه... إلّا أنّها لم تفعل. وفي أحد الأيّام، دفعها على السلّم ولم تستيقظ في المستشفى قطّ". أمسك بكمّ قميصه ورفعه، ليكشف الوشم الذي رأيته للقلب مع اسم أنطونيا مكتوبًا فيه.

"هكذا أتذكّرها الآن".

رفعت يدي إلى فمي قائلة: "أوه، أنا آسفة جدًّا".

ازدرد لعابه وتابع القصّة قائلًا: "لا عدالة لرجال مثله، لا سجن، ولا عقاب على قتله أختي. لذلك قرّرت أن أعاقبه بنفسي".

تذكّرت النظرة القاتمة في عينيه عندما أخبرته بما فعله آندي بي. *سأقتله*.

"وهل...؟".

"كلّا". طقطق أصابعه مجدّدًا وتردّد الصوت في الشقّة الصغيرة. "لم أذهب إلى هذا الحدّ، وأنا نادم على ذلك، لأنّ حياتي لاحقًا لم تعد حياتي تساوي شيئًا. اضطررت لأخذ كلّ ما أملك واستخدمته للخروج". أخذ جرعة من شرابه وتابع: "إذا عدت يومًا ما، فسوف أُقتل قبل أن أغادر المطار".

لم أعرف ماذا أقول. "هل كان من الصعب عليكَ الرحيل؟"

"وهل سيكون من الصعب عليكِ الرحيل عن هنا؟"

فكّرت في الأمر للحظة وهززت رأسي نافية. أريد أن أرحل، أريد أن أبتعد لأكبر مسافة ممكنة عن آندرو وينشستر. وإذا كان ذلك يعني الذهاب إلى سيبيريا، فسأفعل.

"ستحتاجين إلى جوازَي سفر لك ولسيسيليا، فضلًا عن رخصة قيادة، وشهادتَي ميلاد، وما يكفي من النقود لتنفقي منها حتّى تجدي عملًا. كما يلزمك بالطبع تذكرتا طائرة".

أخذ قلبي ينبض بسرعة: "إذًا، أنا بحاجة إلى المال..."

قال: "لديّ بعض المدّخرات التي يمكنني إعطاؤك إيّاها".

"إنزو، لا أستطيع–"

لوّح بيده ليمنعني من الاعتراض. "مع ذلك، ليس مبلغًا كافيًا، ستحتاجين إلى المزيد. هل يمكنك تأمينه؟".

عليّ أن أجد طريقة لذلك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

***

بعد بضعة أيّام، اصطحبت سيسيليا إلى المدرسة كما أفعل كل يوم تقريبًا. كان شعرها الأشقر مضفّرًا في جديلتين لا تشوبهما شائبة مثبّتتين خلف رأسها، وترتدي أحد أثوابها الفاتحة ذات الكشاكش والتي تجعلها مختلفة تمامًا عن زميلاتها في المدرسة. ترعبني فكرة أن يسخر منها الأولاد الآخرون بسبب تلك الأثواب، وألّا تتمكن من اللعب بها كما تريد. ولكن إذا رفضَت ارتداءها، فإن آندي يعاقبني على ذلك.

راحت سيسي تنقر بأصابعها على زجاج النافذة الخلفية بشرود بينما كنت أنعطف إلى الشارع المؤدّي إلى أكاديمية وينزر. صحيح أنّها تذهب إلى المدرسة من دون اعتراض، ولكن لا أعتقد أنّها تستمتع هناك. أتمنّى لو كان لديها مزيد من الأصدقاء. كنت قد سجّلتها في كثير من الأنشطة لإلهائها ومساعدتها على تكوين الصداقات، ولكنّ ذلك لم يساعد.

غير أنّ هذا الأمر لم يعد مهمًّا، فقريبًا سيتغيّر كلّ شيء.

قريبًا جدًّا.

عندما وصلنا أمام المدرسة، بقيت سيسي جالسة على مقعدها في الخلف، وقد عقدت حاجبيها الأشقرين. "أنت ستأتين لاصطحابي، أليس كذلك؟ أنت وليس أبي؟".

كان آندي الأب الوحيد الذي عرفته على الإطلاق. ومع أنّها تجهل ما يفعله بي، إلّا أنّها تعلم أنّه في بعض الأحيان، عندما تثير استياءه، فإنّني أختفي لأيّام متتالية. وخلال هذه المدّة، هو الذي يأتي لاصطحابها، وهذا الأمر يخيفها. صحيح أنّها لا تقول ذلك جهرًا، ولكنّها تكرهه.

أجبتها: "سآتي لاصطحابك".

استرخى وجهها الصغير. أردت أن أقول الكلمات بصوت عالٍ: لا *تقلقي يا حبيبتي، سنخرج من هنا قريبًا، ولن يتمكّن من إيذائنا مجدّدًا*، ولكنّني لا أستطيع. لا أستطيع المجازفة، ليس قبل أن يأتي اليوم الذي سأصطحبها فيه من المدرسة ونذهب مباشرة إلى المطار.

بعد أن ترجّلت سيسيليا من السيّارة، استدرت عائدة إلى المنزل. بقي لي أسبوع واحد قبل أن أرحل عن هذا المكان. أسبوع واحد قبل أن أحزم حقيبة، ثمّ أقود السيّارة لمدّة تسعين دقيقة إلى حيث ينتظرني صندوق الأمانات الذي يحتوي على جواز سفري الجديد ورخصة قيادتي الجديدة ومبلغ كبير من النقود. سأشتري التذاكر من المطار نقدًا، لأنّني في المرّة الأخيرة التي اشتريت فيها تذكرة مسبقًا، كان آندي ينتظرني عند البوّابة. غير أنّ إنزو ساعدني على التخطيط للفرار بطريقة تقلّل من فرص اكتشاف آندي لما أقوم به، وحتّى الآن، ما زال في الظلام.

هكذا ظننت، إلى أن دخلت غرفة المعيشة، لأجد آندي جالسًا على مائدة الطعام، ينتظرني.

شهقت قائلة: "آندي، اممم... مرحبًا".

"أهلًا نينا".

ثمّ وقع نظري على الأشياء الثلاثة أمامه. جواز السفر، ورخصة القيادة، وكومة كمن النقود.

أوه كلّا.

"إذًا، ما الذي كنت تخطّطين للقيام به هذه المرّة..." نظر إلى الأسفل، وقرأ الاسم على رخصة القيادة. "تريسي إيتون".

شعرت وكأنّني أختنق. ارتجفت ساقاي، واضطررت للاتّكاء على الحائط لكي لا أنهار. "كيف وجدتها؟".

نهض آندي قائلًا: "ألم تفهمي بعد أنّك لا تستطيعين إخفاء أيّ أسرار عنّي؟".

تراجعت خطوة إلى الوراء. "آندي..."

"نينا، لقد حان وقت للصعود إلى الطابق العلوي".

كلّا، لن أصعد. أنا لن أخلف بوعدي لابنتي التي تنتظر أن أذهب لاصطحابها اليوم. لن أسمح بأن أسجن هناك لأيّام في حين كنت أظنّ أنّني سأصبح حرّة طليقة قريبًا. لن أفعل، لا يمكنني ذلك بعد الآن.

قبل أن يتمكّن آندي من الاقتراب أكثر، هرعت إلى الخارج وعدت إلى سيّارتي، ثمّ أسرعت خارجة بها من الممرّ بحيث كدت أصطدم بالبوّابة في طريقي.

لم تكن لديّ أيّ فكرة إلى أين سأذهب. جزء منّي أراد الذهاب مباشرة إلى مدرسة سيسيليا لإحضارها، والاستمرار بالقيادة حتّى أصل إلى الحدود الكندية، لكن سيكون من الصعب الهرب منه من دون جواز السفر أو رخصة القيادة. وأنا متأكّدة من أنّه يتّصل الآن بالشرطة ويزوّدهم بقصّة عن تعرّض زوجته المجنونة لانتكاسة.

ثمّة جانب إيجابي واحد في هذا الموقف، فقد عثر على صندوق واحد من صندوقَي الودائع. كانت فكرة الصندوقين المنفصلين فكرة إنزو. وقد وجد الصندوق الذي يحتوي على جواز السفر ورخصة القيادة، لكن لا يزال ثمّة مبلغ آخر من النقود لا يعرف عنه شيئًا.

واصلتُ القيادة حتّى وصلت إلى حيّ إنزو. هناك، أوقفت سيّارتي على بعد شارعين من شقّته، ثمّ قطعت بقية المسافة سيرًا على الأقدام. كان يصعد في شاحنته عندما جريت نحوه. "إنزو!".

التفت عندما سمع صوتي، وبدت الخيبة على وجهه عندما رآني. "ماذا جرى؟".

"لقد وجد أحد صندوقَي الودائع". صمتُّ لالتقاط أنفاسي. "لقد... لقد انتهى الأمر. لا يمكنني الرحيل".

قبل أن أتكلّم مع إنزو، كنت قد تقبّلت حياتي. على الأقلّ، حتّى تبلغ سيسيليا الثامنة عشرة. لكن الآن، لم أعد قادرة على الاستمرار. لا يمكنني العيش هكذا بعد اليوم، لا يمكنني ذلك.

"نينا..."

بكيت قائلة: "ماذا سأفعل؟".

مدّ ذراعيه، فاقتربت وتركته يحتضنني. ينبغي أن نكون أكثر حذرًا، خشية أن يرانا أحدهم. ماذا لو ظنّ آندي أنّني أقيم علاقة مع إنزو؟

ما من علاقة بيننا بالمناسبة، ولا حتّى من بعيد. هو يعتبرني مثل أنطونيا، شقيقته التي لم يستطع إنقاذها. ولم يلمسني بأيّ طريقة غير أخوية. هذا آخر ما يفكّر فيه أيّ منّا في الوقت الحالي، إذ أنّ كلّ ما يشغل بالي المستقبلُ الذي أحلم فيه. أمّا الآن، فأظنّ أنّني سأبقى سجينة مع هذا الوحش لعشر سنوات أخرى.

قلت مجدّدًا: "ماذا سأفعل؟".

قال: "الجواب بسيط، سنلجأ إلى الخطّة ب".

رفعت وجهي المبلّل بالدموع وسألته: "وما هي الخطّة ب؟".

"أن أقتل هذا الوغد".

ارتجفت لأنّني عرفت من نظرة عينيه الداكنتين أنّه يعني ذلك. "إنزو..."

"سأفعل ذلك". ابتعد عنّي وقد تصلّب فكه. "هذا المجرم يستحقّ الموت. سأفعل من أجلك ما كان يجب أن أفعله من أجل أنطونيا".

"ونذهب كلانا إلى السجن؟".

"لن تذهبي إلى السجن".

صفعته على ذراعه قائلة: "أنا لست موافقة على أن تدخل السجن أنت أيضًا".

"إذًا ماذا تقترحين؟".

في تلك اللحظة، خطرت ببالي الفكرة. كانت فكرة جميلة وبسيطة للغاية. وعلى الرغم من أنّني أكره آندي، إلّا أنّني أعرفه جيّدًا. الفكرة ستنجح بلا ريب.

الفصل 49

الخطوة الثامنة: ابحثي عن بديلة

لا يمكنني اختيار أيّ امرأة.

أوّلًا، يجب أن تكون جميلة، أجمل منّي، ولا ينبغي لذلك أن يكون صعبًا لأنّني أهملت نفسي عمدًا في السنوات القليلة الماضية. كما يجب أن تكون أصغر منّي سنًّا، لكي تنجب لآندي الأطفال الذين يرغب فيهم بشدّة. عليها أيضًا أن تبدو جميلة باللون الأبيض، فهو يحبّ هذا اللون.

والأهمّ من كلّ ذلك، ينبغي أن تكون يائسة.

ثمّ التقيتُ بويلهلمينا كالواي. كانت تجسّد كلّ ما أبحث عنه. لم تستطع الملابس الرديئة التي أتت بها إلى المقابلة إخفاء صغر سنّها وجمالها. بدت يائسة لإرضائي. وعندما أجريت بحثًا بسيطًا واكتشفت سجلّها الإجرامي، عرفت أنّني وجدت ما أبحث عنه. فلا بدّ أن تكون هذه الفتاة بحاجة ماسّة إلى وظيفة لائقة بأجر مرتفع.

خرجت إلى فناء منزلنا الخلفي لأسأل إنزو عن اسم المحقّق الخاصّ الذي يعرفه، قال: "أنا لست موافقًا على ذلك، فهذا ليس صائبًا".

عندما أخبرته بخطّتي قبل بضعة أسابيع، لم تعجبه. *هل ستضحّين بفتاة أخرى؟* لكنّه لم يفهم.

قلت: "آندي يتحكّم بي بسبب سيسي. أمّا هذه الفتاة فليس لديها أطفال، لا بل ليس لديها أحد، وبالتالي لا يمكنه أن يمسك عليها شيئًا، يمكنها أن ترحل ببساطة".

قال باستياء: "أنت تعلمين أنّ الأمور لا تجري بهذه الطريقة".

"هل ستساعدني أم لا؟".

هزّ كتفيه مجيبًا: "بلى، تعلمين أنّني سأساعدك".

هكذا، استأجرت خدمات المحقّق الخاصّ الذي أوصاني به إنزو بواسطة بعض المال المتبقّي الذي هرّبته. فأخبرني المحقّق كل ما أحتاج إلى معرفته عن ويلهلمينا كالواي. قال لي إنّها طُردت من وظيفتها الأخيرة، وكانوا على وشك استدعاء الشرطة من أجلها. كما أخبرني أنّها تعيش في سيّارتها، وأعطاني معلومة أخرى غيّرت كلّ شيء. وما إن أغلقت الخطّ مع المحقق، حتّى اتّصلت بميلي وعرضت عليها الوظيفة.

كانت المشكلة الوحيدة آندي. فهو لن يوافق على وجود غريبة في منزلنا. سمح على مضض لأشخاص بالدخول لبضع ساعات للتنظيف، لكن كان هذا كلّ شيء. حتّى إنّه لم يسمح لأحد بمجالسة سيسيليا، باستثناء والدته. لكنّ التوقيت يعمل لصالحي. فقد تقاعد والد آندي مؤخّرًا، وبعد تعرّضه لسقطة على بقعة من الجليد، قرّر والداه الانتقال إلى فلوريدا. صحيح أنّ إيفلين ليست متحمّسة للفكرة، كما أنّهما قرّرا الاحتفاظ بمنزلهما القديم للمكوث فيه صيفًا، لكنّ معظم أصدقائهما انتقلوا إلى جنوب فلوريدا الآن. وكان والد آندي توّاقًا لتمضية فترة تقاعده في لعب الغولف كلّ يوم مع رفاقه.

هذا يعني أنّنا بحاجة إلى المساعدة.

كان الجزء الأصعب تخصيص العلّية كغرفة لميلي، فذلك لن يعجبه على الإطلاق. لكن لا بدّ من ذلك، يجب أن يراها هناك إذا أردتُ أن يفكّر فيها كبديلة لي. لا بدّ لي من إغرائه.

قمت بإعداد المسرح قبل أن ألقي بها أمامه. كنت أستيقظ كلّ صباح وأنا أشكو من الصداع النصفي الذي يجعل من المستحيل عليّ الطهي أو التنظيف. بذلت جهدي لترك المنزل في حالة من الفوضى الكاملة. أيّام قليلة أخرى وسيكون منزلنا جاهزًا لاتّخاذ القرار. نحن بحاجة إلى المساعدة، وبشكل يائس.

مع ذلك، ما أن اكتشف آندي أنّني وظّفت ميلي، حتّى حاصرني خارج سيّارتي. ضغط بأصابعه على ذراعي وهزّني بقوّة. "ماذا بحقّ السماء تعتقدين أنّك فاعلة يا نينا؟".

رفعت ذقني بتحدّ قائلة: "نحن بحاجة إلى المساعدة، فوالدتك ليست في الجوار، ونحن بحاجة إلى مَن يراقب سيسي ويساعد في التنظيف".

قال بصوت خشن: "لقد وضعتِها في العلّية، هذه غرفتك. كان عليك وضعها في غرفة الضيوف".

وأين سينام والداك عندما يأتيان لزيارتنا؟ في العلّية، أم على الأريكة في غرفة المعيشة؟".

شدّ على فكّيه وهو يفكّر في ذلك. من المستحيل أن تنام إيفلين وينشستر على أريكة في غرفة المعيشة.

قلت: "دعها تبقى لشهرين وحسب، إلى أن تنتهي السنة الدراسية وأجد مزيدًا من وقت الفراغ للتنظيف، وفي ذلك الوقت ستكون والدتك قد عادت من فلوريدا".

"انسي الأمر".

نظرت إليه قائلة: "إذًا اطردها إذا أردت، لا أستطيع منعك".

"صدّقيني، سأفعل".

غير أنّه لم يفعل. فعندما عاد إلى المنزل في تلك الليلة، وجده نظيفًا للمرّة الأولى منذ مدّة طويلة. كما أنّها قدّمَت له عشاء غير محروق، وكانت شابّة وجميلة.

هكذا، بقيت ميلي وسكنت في العلّية.

ستنجح الخطّة بثلاثة شروط:

إذا حدث انجذاب متبادل بين ميلي وآندي.

إذا كرهتني ميلي لدرجة أن تنام مع زوجي.

إذا تسنّت لهما الفرصة.

الشرط الأوّل سهل. فميلي جميلة جدًّا، حتّى إنّها أكثر جاذبية ممّا كنت عليه في شبابي. وعلى الرغم من أنّ آندي يكبرها بسنوات، إلّا أنه لا يزال وسيمًا على نحو مدمّر. تنظر إليّ ميلي في بعض الأحيان وكأنّها لا تفهم تمامًا ما الذي يراه فيّ. أمّا أنا، فكنت أبذل قصارى جهدي لأكسب مزيدًا من الوزن. وبما أنّ آندي لم يعد لديه خيار حبسي في العلّية، فقد تجرّأت على تفويت موعدي لدى مصفّف الشعر، وتركت الجذور الداكنة تظهر.

الأهمّ من ذلك كلّه، أنّني كنت أعامل ميلي معاملة رهيبة.

لم يكن من السهل عليّ فعل ذلك. ففي أعماقي، أنا إنسانة لطيفة، أو على الأقلّ، هكذا اعتدت أن أكون قبل أن يحطّمني آندي. أمّا الآن، فكلّ ما أفعله ليس سوى وسيلة لتحقيق الغاية المنشودة. ربّما لا تستحقّ ميلي ذلك، ولكنّني لم أعد قادرة على الاستمرار بعد الآن. لا بدّ لي من مغادرة هذا المأزق.

بدأت ميلي تكرهني منذ صباحها الأوّل في منزلنا. فقد حدّدت اجتماعًا مع رابطة الآباء والمعلّمين في المساء، وتوجّهت إلى المطبخ في الصباح الباكر. كنت أذرع الفوضى في المنزل خلال الأسبوعين الماضيين، وقامت ميلي بعمل رائع على صعيد التنظيف، وعملَت بجدّ في تلميع كلّ الأسطح.

شعرت بالذنب حقًّا حيال ما أفعله، فقد دمّرتُ المطبخ. أخرجتُ كلّ الأطباق والفناجين التي عثرت عليها. ورميت القدور والمقالي على الأرض. ولحظة وصول ميلي، كنت أفتح البرّاد. في صغري، تولّيت نصيبي العادل من الأعمال

المنزلية، ومن المؤلم حقًّا أن أتناول علبة الحليب وأرمي بها على الأرض، وأتركه ينسكب في أرجاء المطبخ. غير أنّني أجبرت نفسي على فعل ذلك، فالغاية تبرّر الوسيلة.

عندما دخلت ميلي المطبخ، استدرت ونظرت إليها باتّهام. "أين هي؟".

"أين... أين ماذا؟".

"ملاحظاتي!" رفعت يدي إلى جبيني كما لو أنّ الفكرة بحدّ ذاتها توشك أن تصيبني بالإغماء. " لقد تركت كلّ ملاحظاتي لاجتماع المدرسة هذه الليلة على طاولة المطبخ! والآن اختفت!". ثمّ أضفتُ بنبرة اتّهام: "ماذا فعلتِ بها؟

كنت قد دوّنتُ بالفعل ملاحظات من أجل الاجتماع، ولكنّها مخبّأة بأمان على جهاز الكمبيوتر. لماذا أضع نسختي الوحيدة هنا على طاولة المطبخ؟ هذا غير منطقي، ولكنّني واصلت الإصرار على صحّة كلامي. كانت تعلم أنّني لم أترك ملاحظاتي هنا، ولكنني لم أدعها تشكّ أنّني أعلم ذلك.

صرخت بصوت عالٍ لجذب انتباه آندي، الذي شعر بالأسف من أجلها، وذاب قلبه لأنّني كنت أتّهمها بأمر هو يعرف أنّها لم تفعله. كان ينجذب إليها لأنّني أحوّلها إلى ضحيّة، تمامًا كما كنت ضحيّة عندما وبّخني مديري قبل كلّ تلك السنوات.

تمتمت ميلي: "أنا آسفة جدًّا يا نينا. هل من شيء يمكنني القيام به..."

نظرتُ إلى الكارثة التي تسبّبت بها على أرض المطبخ قائلة: "يمكنك تنظيف هذه الفوضى المقزّزة التي سبّبتِها في مطبخي بينما أعالج هذه المشكلة".

في تلك اللحظة، حقّقت أهدافي الثلاثة جميعًا. أوّلًا، الجاذبية المتبادلة: كانت هي بسروال الجينز الضيّق وجميلة بلا مجهود. ثانيًا، باتت ميلي تكرهني. وثالثًا، عندما خرجتُ من الغرفة غاضبة، تسنّت لهما الفرصة للانفراد ببعضهما البعض.

غير أنّ ذلك ليس كافيًا، وما زال لديّ المزيد في جعبتي.

آندي يريد طفلًا، وهذا ما لن أتمكّن من منحه إيّاه، ليس مع اللولب الذي أخفيته في رحمي. سيكتشف آندي أنّني عاقر، لأنّ المحقق الخاصّ الذي وجده لي

إنزو تمكّن من الحصول على بعض الصور الرائعة لأخصّائي الخصوبة مع امرأة شابّة ليست زوجته. كلّ وما كان على الطبيب الطيب سوى إخبار آندي أنّ فرص حملي معدومة، ليتمّ إلقاء تلك الصور في سلّة المهملات.

في اليوم السابق لموعدنا مع دكتور غيلمان، اتّصلت بإيفلين في فلوريدا. كالعادة، لم تبد عليها البهجة لسماع صوتي.

قالت بجفاف: "أهلًا نينا". بدت وكأنّها تقول، *ماذا تريدين منّي؟*

أجبت: "أردتك أن تكوني أوّل من يعلم. أعتقد أنّني حامل!".

"أوه..." صمتت للحظة، ممزّقة بين رغبتها في أن تتحمّس لحفيدها البيولوجي الأوّل، وكرهها لفكرة أن أكون والدة ذلك الحفيد. "كم هذا جميل".

جميل... الأمر على الأرجح عكس ما تفكّر فيه.

قالت: "آمل أن تكوني قد بدأتِ بتناول فيتامينات متعدّدة لفترة الحمل. كما عليك اتّباع نظام غذائي صارم في هذه الفترة. فالإكثار من الأطعمة الغنية بالسعرات الحرارية، كما تفعلين عادةً، يضرّ بالجنين. آندي متراخٍ معك في هذا الشأن، ولكن لمصلحة الطفل، عليك أن تحاولي السيطرة على نفسك".

"نعم بالطبع". ابتسمت قليلًا، وقد سرّني أنّ إيفلين لن تكون يومًا جدّة لطفلي. "أيضًا، خطر ببالي أنّه... سيكون من الجميل لو ترسلين لنا بعضًا من أغراض آندي القديمة في طفولته. فقد كان يتحدّث قبل أيام عن رغبته في إعطاء بطّانياته القديمة وأشياء كهذه للمولود الجديد. فما رأيك؟".

"نعم، سأتّصل بروبرتو وأطلب منه إرسال الصندوق".

"*هذا جميل*".

صُدم آندي عندما أخبره د. غيلمان بوضعي. شاهدت الخيبة وهي تكتسح وجهه في عيادة الطبيب. *أخشى ألّا تتمكّن نينا من إتمام الحمل حتّى نهايته.* اغرورقت عيناه بالدموع، ولو كان شخصًا آخر، لربّما شعرت بالأسف تجاهه.

في تلك الليلة، تشاجرت معه. ولم يكن شجارًا عاديًا، بل ذكّرته بالسبب الذي يحول دون أن أنجب طفلًا منه.

"الذنب ذنبي!" حاولت استدعاء الدموع بتذكّر المرّة التي حبسني فيها في العلّية وشغّل التدفئة بأعلى درجة، إلى أن أوشكت على الاختناق. "لو كنتَ مع امرأة أصغر سنًّا، لاستطعت إنجاب الطفل الذي ترغب فيه! الذنب ذنبي!".

امرأة أصغر سنًّا كميلي. لم أقلها، لكن لا بدّ أنّه فكّر في ذلك. فقد رأيت الطريقة التي ينظر بها إليها.

"نينا". مدّ يده ليلمسني، ورأيت بقيّة حبّ في عينيه. مع ذلك، أنا أكرهه كثيرًا لأنّه يحبّني. لماذا لم يقم باختيار امرأة أخرى؟ "لا تقولي ذلك، الذنب ليس ذنبك".

"لا بل ذنبي!" اعتمل الغضب بداخلي كالبركان، وقبل أن أدرك ما أفعله، ضربت المرآة بقبضتي. تردّد صدى تحطّم الزجاج في الغرفة، وما لبث الألم أن استبدّ بيديّ، ورأيت الدم يسيل من عقد أصابعي.

شحب وجه آندي: "ربّاه! دعيني أحضر بعض المناديل".

أحضر بعض المناديل الورقية من الحمّام، ولكنّني قاومته. وعندما لفّ يدي أخيرًا، كانت يداه أيضًا قد تلوّثتا بالدماء. وحين ذهب إلى الحمّام ليغسل يديه، سمعت الصوت خارج الباب. هل سمعت سيسيليا شجارنا؟ كرهت فكرة إخافتها بنوبة غضبي.

فتحت الباب، ولكن لم تكن ابنتي هي الواقفة هناك، بل ميلي. عرفت من وجهها أنّها سمعت كلّ كلمة من جدالنا. وما إن رأت الدماء على يديّ، حتّى بدا الرعب في عينيها.

هي تعتقدني مجنونة، لقد أصبح هذا الشعور مألوفًا لديّ.

ميلي تعتقدني مجنونة، وآندي يجدني كبيرة في السنّ. بعد ذلك، أصبحت المسألة مسألة فرصة. سيرغب آندي بشراء تذاكر لحضور العرض المسرحي بعد أن تحدّثت عنه، فهو يحبّ القيام بأشياء لإرضائي، تعويضًا عن الرعب الذي

يعرّضني له. ولكنّ ميلي هي التي ستشاهد العرض ولست أنا. العرض أوّلًا، ومن بعده غرفة الفندق لتلك الليلة. إنّها خطّة مثالية للغاية، تمنحني فرصة لإبعاد سيسيليا من الطريق وإرسالها إلى المخيّم، وبذلك لن يتمكّن آندي من استخدامها ضدّي.

عندما سجّل جهاز التعقّب في هاتف ميلي وجودها في مانهاتن تلك الليلة، أدركتُ أنّني فزت. وحين رأيت الطريقة التي كانا ينظران بها إلى بعضهما البعض بعد ذلك، عرفت أنّ الأمر قد تمّ. إنّه مغرم بها الآن، وهذه مشكلتها.

أنا حرّة.

الفصل 50

لن يحدث ذلك مرّة أخرى. لن يحبسني مجدّدًا في العلّية، ويخبر جميع من في الحيّ أنّني مجنونة وأنّ عليهم مراقبة سلوكي. لن يحبسني مجدّدًا.

بالطبع، وعلى الرغم من أنّه طردني، إلّا أنّني لن أشعر بالثقة التامّة قبل طلاقنا. وعليّ أن أكون حذرة بهذا الشأن. إذ يجب أن يكون هو مَن يطلب الطلاق، لأنّه إذا شعر أنّها فكرتي، فسينتهي كلّ شيء.

استلقيت على سريري الكبير في غرفة الفندق، أخطّط لخطوتي التالية. سأذهب بالسيّارة إلى المخيّم لإحضار سيسيليا غدًا، وبعد ذلك، سنرحل... إلى مكان ما. لا أعرف وجهتي بعد، ولكنّني أحتاج إلى بداية جديدة. حمدًا لله أنّ آندي لم يتبنّها قطّ، ولا يمكنه أن يطالب بها. بإمكاني اصطحابها أينما شئت. ولا حاجة للقلق بشأن الهويّات المزيّفة، لكنّني سأستعيد حتمًا اسمي قبل الزواج. فأنا لا أريد أيّ ذكريات من ذلك الرجل.

سمعت طرقًا على باب الغرفة، وللحظة مروّعة، اعتقدت أنّه آندي بلا شكّ. تخيّلته واقفًا عند باب الغرفة. *هل ظننتِ حقًّا أنّ الأمر سيكون بهذه السهولة يا نينا؟ كفاكِ هراءً.*

هيّا، أمامي إلى العلّية.

سألت بحذر: "من؟".

"أنا إنزو".

عندئذٍ تنفّست الصعداء. فتحت الباب، ووجدته واقفًا هناك بقميصه القطني وسروال الجينز الملوّث بالأتربة، وقد عقد حاجبيه. قال: "إذًا؟".

"انتهى الأمر، لقد طردني".

أشرقت عيناه وسألني: "ماذا؟ حقًّا؟".

مسحت الدموع من عينيّ بظاهر يدي قائلة: "حقًّا".

"هذا... لا يصدّق...".

أخذتُ نفسًا وقلت: "عليّ أن أشكرك. من دونك ما كنت لأتمكّن من ذلك...".

أومأ برأسه ببطء. "كان من دواعي سروري مساعدتك يا نينا. إنّه واجبي. أنا...".

وقفنا هناك لحظة، نحدّق إلى بعضنا البعض. ثم مال إلى الأمام، وبعد ثانية، عانقني.

لم أتوقّع ذلك. أعني، نعم، أنا أجد إنزو جذّابًا، فأنا لست عمياء، ولكنّنا كنّا دائمًا مستغرقَين للغاية في هدفنا المشترك المتمثّل في إبعادي عن آندي. والحقيقة أنّني بعد سنوات من زواجي من هذا الوحش، ظننت أنّني متُّ من الداخل. صحيح أنّ علاقتنا أنا وآندي ما زالت قائمة، لأنّ ذلك كان مطلوبًا منّي، ولكنّها كانت آلية - ربّما لا تختلف عن قيامي بغسل الأطباق أو الملابس. لم أكن أشعر بشيء، ولم أعتقد أنّه من الممكن أن أنجذب إلى شخص آخر بعد الآن. كنت أسعى إلى النجاة وحسب.

ولكن الآن وقد نجوت، اتّضح أنّني لم أمت تمامًا من الداخل، لا بل على العكس.

كان ذلك جميلًا، لا بل أكثر من جميل، كان رائعًا. أحببت أن أكون مع رجل لا أحتقره بكلّ ذرة من كياني، رجل طيب ولطيف ساعد في إنقاذ حياتي، حتّى ولو لليلة واحدة.

"لم أعرف أنّك تفكّر بي بهذه الطريقة".

قال: "لطالما فعلت، منذ أن رأيتك أوّل مرّة. لكنّني حاولت أن أكون، كما تعلمين، رجلًا لائقًا".

"ظننت أنّك تعتبرني كأختك".

بدا مذهولًا: "أختي! كلّا، لست كأختي. حتمًا لستِ كذلك".

ضحكت على تعبير وجهه، ولكن سرعان ما تلاشت ضحكتي. "سأغادر المدينة غدًا. أنت تعلم ذلك صحيح؟".

صمت طويلًا. هل يفكّر في أن يطلب منّي البقاء؟ إنّني أهتمّ لأمره كثيرًا، لكن لا يمكنني البقاء من أجله. لا يمكنني البقاء هنا من أجل أحد. ولا بدّ أنّه يعرف ذلك أكثر من أيّ شخص آخر.

ربّما سيعرض عليّ مرافقتي، غير أنّني لست واثقة من شعوري حيال ذلك. هو يعجبني، ولكنّني أحتاج إلى البقاء بمفردي لبعض الوقت. في الواقع، سيمرّ وقت طويل قبل أن أتمكّن من الوثوق برجل مرّة أخرى، مع أنّني أعتقد إن كان ثمّة من يمكنني الوثوق به، فهو إنزو. لقد أثبت نفسه لي.

غير أنّه لم يطلب منّي البقاء، ولم يعرض مرافقتي، بل قال شيئًا مختلفًا تمامًا:

"نينا، لا يمكننا تركها".

"عفوًا؟".

"أعني ميلي". نظر إليّ بعينيه السوداوين. "لا يمكننا تركها معه. هذا ليس صائبًا، ولن أسمح بذلك".

"لن تسمح بذلك؟" كرّرت كلامه غير مصدّقة وأنا أبتعد عنه. كانت كلّ سعادتي قد تلاشت. "ماذا تقصد بذلك؟".

توتّر فكّه وهو يجيب: "أقصد... ميلي لا تستحقّه أكثر ممّا تستحقّينه أنت".

"إنّها مجرمة!".

"أصغي إلى نفسك، إنّها إنسانة".

جلستُ في السرير وغطّيت نفسي بالبطّانية. كان التوتّر باديًا على إنزو في أنفاسه وفي وريد بارز في عنقه، وأعتقد أنّني لا أستطيع لومه على انزعاجه، لكنّه لا يعرف شيئًا.

أصرّ قائلًا: "علينا إخبارها".

"كلّا، ليس علينا ذلك".

"أنا سأخبرها". انتفضت عضلة في فكّه. "إن لم تفعلي، أنا سأخبرها، عليّ تحذيرها".

امتلأت عيناي بالدموع. "لن تجرؤ..."

"نينا". هزّ رأسه قائلًا: "أنا آسف. أنا... أنا لا أريد إيذاءك، ولكنّ هذا ليس صائبًا. لا يمكننا فعل ذلك بها".

قلت: "أنت لا تفهم".

"أنا أفهم".

"كلّا، أنت لا تفهم".

الجزء الثالث

الفصل 51

ميلي

صرختُ: "آندرو؟ "آندرو!".

لكن كان الصمت جوابي الوحيد.

أمسكت بالمقبض المعدني البارد مجدّدًا وحاولت تحريكه بكلّ ما أوتيت من قوّة، على أمل أن يكون مجرّد التصاق عابر، ولكن عبثًا، كان الباب مقفلًا. ولكن كيف؟

السبب الوحيد الذي أمكنني التفكير فيه أنّه ربّما عندما غادر آندرو الغرفة لينام في سريره (ولا يمكنني لومه حقًّا، نظرًا لمدى عدم ملاءمة هذا السرير لشخص واحد، فما بالك بشخصين)، أَقفل الباب تلقائيًّا، ظنًّا منه أنّه ما زال مخزنًا. وإذا كان شبه نائم، فمن المعقول أن يرتكب خطأ كهذا، على ما أعتقد.

هذا يعني أنّه عليّ الاتّصال به وإيقاظه لإخراجي من الغرفة. لست متحمّسة لإيقاظه، ولكنّها غلطته اللعينة كوني حبيسة هنا. ولن أبقى هكذا طوال الليل، لا سيّما وأنّني بحاجة للذهاب إلى الحمّام.

أضأت المصباح، وعندئذٍ رأيت ثلاثة كتب في وسط غرفتي، على الأرض. كان ذلك غريبًا جدًّا. انحنيت بجانبها، وقرأت عناوين الأغلفة: *دليل السجون الأمريكية*، *تاريخ التعذيب*، ونسخة من دليل الهاتف.

لم تكن هذه الكتب هنا عندما أتيت للنوم الليلة الماضية. هل أحضرها آندرو إلى هنا ووضعها في الغرفة، لأنّني سأنتقل منها في الصباح وسيتمكّن من تحويلها

مجدّدًا إلى مخزن؟ هذا هو التفسير المنطقي الوحيد.

ركلت الكتب الثلاثة من طريقي وبحثت على سطح الخزانة عن الهاتف الذي قمت بتوصيله لشحنه ليلًا، أو على الأقلّ، ظننت أنّني فعلت، فهو لم يعد هناك.

ما الذي يجري؟

أخذت بنطالي الذي تركته على الأرض وبدأ أبحث في جيوبه، لكنّني لم أجد أثرًا لهاتفي. أين وضعته؟ فتحت أدراج الخزانة وبحثت عن ذاك المستطيل الصغير الذي أصبح شريان حياتي. حتّى إنّني نزعت الملاءات والبطانيات عن السرير، متسائلة ما إذا كان قد ضاع بين الأغطية. أخيرًا، ركعت على يديّ وركبتيّ ونظرت تحت السرير، لكن لا شيء.

لا بدّ أنّني تركته في الطابق السفلي، مع أنّني أذكر أنّني استخدمته هنا الليلة الماضية. ربّما لا. يا له من توقيت رهيب لنسيان هاتفي في الأسفل، بينما أنا سجينة هنا في هذه العلّية وعليّ استخدام الحمّام.

جلست على السرير مجدّدًا، محاولة عدم التفكير في مثانتي الممتلئة. لكن لا أعرف كيف سأغفو مجدّدًا. عندما يأتي آندرو بحثًا عنّي هنا في الصباح، لن أغفر له هفوته التي تسبّبت بحبسي هنا.

"ميلي؟ هل استيقظت؟".

فتحت عيني على الفور. لا أدري كيف تمكّنت من النوم، لكنّني فعلت. غير أنّ الوقت لا يزال مبكرًا جدًّا، فالغرفة الصغيرة لا تزال معتمة، مع بضع خيوط من أشعّة الشمس التي بدأت تتسلّل من نافذتي الصغيرة.

"آندرو". جلست في السرير، وقد أصبحت حاجتي لدخول الحمّام أكثر إلحاحًا من ذي قبل. فنهضت وذهبت متعثّرة إلى الباب.

"لقد حبستني هنا ليلة أمس!".

حلّ صمت طويل من الجانب الآخر من الباب. توقّعت اعتذارًا، وصوت مفاتيح وهو يحاول إيجاد المفتاح الذي سيخرجني من هنا، ولكنّني لم أسمع أيًّا من ذلك، بل خيّم الصمت التامّ.

قلت: "آندرو، لديك المفتاح، أليس كذلك؟".

أجاب مؤكّدًا: "أوه، المفتاح معي".

في تلك اللحظة، انتابني شعور بالذعر. في الليلة الماضية، واصلت التأكيد لنفسي أنّها كانت حادثة، لا بدّ أنّها كانت حادثة. ولكن فجأة، لم أعد متأكّدة من ذلك. ففي النهاية، كيف يمكن للمرء ان يحبس حبيبته في غرفة عن طريق الخطأ ولا يدرك ذلك إلّا بعد ساعات؟ "آندرو، هلّا فتحت الباب من فضلك؟".

"ميلي". بدا صوته غريبًا، وغير مألوف. "هل تذكرين بالأمس أنّك كنت تقرأين بعضًا من كتبي التي أحضرتِها من المكتبة؟".

"نعم..."

"حسنًا، لقد أخذتِ بعض الكتب، ثمّ تركتها على الطاولة. تلك كتبي، ولكنّك لم تحسني معاملتها، صحيح؟".

لم أفهم ما الذي يتحدّث عنه. نعم، لقد أخذت بعض الكتب من المكتبة. ثلاثة على الأكثر، وربّما نسيت ولم أرجعها. وهل هذا خطأ كبير؟ لماذا يبدو مستاء إلى هذا الحدّ؟

قلت: "أنا... أنا آسفة".

"همم". ما زال صوته يبدو غريبًا. "تقولين إنّك آسفة، ولكن هذا منزلي. لا يمكنك فعل ما يحلو لك من دون عواقب. ظننت أنّك تعرفين، بما أنّك خادمة وما إلى ذلك".

أجفلت من الطريقة المهينة التي وصف بها وظيفتي، ولكنّني مستعدّة لقول أيّ شيء لكي يهدأ. "أنا آسفة، أنا لم أقصد التسبّب بفوضى. سأذهب وأرتّب كلّ شيء".

"لقد سبق ورتّبتُها، فات الأوان".

"اسمع، هلّا فتحتَ الباب لكي نناقش هذه المسألة؟".

قال: "سأفتح الباب. ولكن عليك فعل شيء من أجلي أوّلًا".

"وما هو؟".

"هل ترين الكتب الثلاثة التي تركتها على أرض الغرفة؟".

كانت الكتب التي تركها في وسط غرفتي، تلك التي كدت أتعثّر بها ليلة أمس، لا تزال حيث تركها تمامًا. "نعم..."

"أريدك أن تستلقي على الأرض وتضعيها على بطنك".

"المعذرة؟".

"لقد سمعتني. أريدك أن تضعي تلك الكتب على بطنك لمدّة ثلاث ساعات متتالية".

حدّقت إلى الباب، وأنا أتخيّل التعبير الماكر على وجه آندرو. "أنت تمزح، صحيح؟".

"بتاتًا".

ليست لديّ أيّ فكرة عن سبب قيامه بذلك، هذا ليس آندرو الذي وقعت في حبّه. يبدو الأمر كما لو أنّه يلعب نوعًا من الألعاب الغريبة. ولا أعرف ما إذا كان يدرك تمامًا مدى انزعاجي. "اسمع يا آندرو، أيًّا يكن ما تريد منّي القيام به، أيًّا تكن اللعبة التي تريد أن تلعبها، اسمح لي على الأقلّ بالخروج من هذه الغرفة ودخول الحمّام".

طقطق بلسانه قائلًا: "هل تريدينني أن أوضح ذلك أكثر؟ لقد تركتِ كتبي بلا مبالاة في غرفة المعيشة، واضطررت لترتيبها بنفسي. لذلك أريدك أن تأخذي هذه الكتب وتتحمّلي ثقلها".

"لن أفعل ذلك".

"حسنًا، هذا أمر مؤسف، لأنّك لن تغادري هذه الغرفة حتّى تنفّذي ما أقوله".

"عظيم، سأتبوّل في سروالي إذًا".

"ثمّة دلو في الخزانة إذا احتجتِ لقضاء حاجتك".

عندما أتيت إلى هنا، لاحظت وجود دلو أزرق في زاوية الخزانة. وقد تركته هناك، ولم أفكّر فيه ثانية. نظرت إلى الخزانة، ووجدته هناك. في تلك اللحظة، تشنّجت مثانتي وشبكت ساقيّ.

"آندرو، أنا أعني ذلك. عليّ حقًّا دخول الحمّام".

"لقد أخبرتك للتوّ بما يمكنك فعله".

إنّه لا يستسلم، ولا أفهم ما الذي يجري هنا. كانت نينا دائمًا هي المجنونة. أمّا آندرو، فكان الشخص العاقل الذي أنقذني عندما اتّهمتني نينا بسرقة ملابسها.

هل هما مجنونان كلاهما؟ هل يعانيان هما الاثنان من المشكلة نفسها؟

"حسنًا". فلننته من هذا. جلست على الأرض وحملت أحد الكتب لكي يسمعني. "حسنًا، لقد وضعت الكتب فوقي. هل يمكنك السماح لي بالخروج الآن؟".

"الكتب ليست فوقك".

"بلى".

"لا تكذبي".

نفخت ساخطة. "وكيف تعلم ما إذا كنت أكذب أم لا؟".

"لأنّني أستطيع رؤيتك".

شعرت أنّ عمودي الفقري أصبح سائلًا. هل يستطيع رؤيتي؟ انتقلت نظراتي من جدار إلى آخر، بحثًا عن كاميرا. منذ متى وهو يراقبني؟ هل كان يتجسّس عليّ طوال فترة وجودي هنا؟

قال: "لن تعثري عليها، فهي مخفيّة جيّدًا. ولا تقلقي، لم أكن أراقبك طوال الوقت، بل منذ بضعة أسابيع وحسب".

نهضت على قدميّ. "ما مشكلتك بحقّ الله؟ أخرجني من هنا حالًا".

قال آندرو بهدوء: "تلك هي المسألة. أنت لست في وضع يسمح لك بطلب شيء".

اندفعت إلى الباب وضربت الخشب بقبضتيّ، إلى أن احمرّت يداي وآلمتني. "اسمع، من الأفضل لك أن تخرجني من هنا! هذا ليس مضحكًا!".

"مهلًا، مهلًا". قاطع صوت آندرو الهادئ طرقاتي. "اهدأي، سأخرجك من هنا، أعدك".

خفضت ذراعيّ إلى جانبيّ وقد آلمتني يداي. "شكرًا لك".

"لكن ليس بعد".

احمرّ خدّاي غضبًا. "آندرو..."

"أخبرتك بما عليك القيام به للخروج. هذه عقوبة عادلة للغاية نظرًا لما فعلته".

ضغطت على شفتيّ، وقد استبدّ بي الغضب.

"لماذا لا أمنحك بعض الوقت للتفكير في الأمر يا ميلي؟ سأعود إليك لاحقًا".

أقسم بالله أنّني كنت لا أزال أعتقد أنّه يمزح إلى أن تلاشى وقع خطواته في الردهة.

الفصل 52

ميلي

مرّت ساعة على رحيل آندرو.

استخدمت الدلو. لا أريد التكلّم عن ذلك، ولكن لو لم أفعل، لتبوّلت على ساقيّ. وأقلّ ما يقال، إنّها كانت تجربة مثيرة للاهتمام.

بعد أن قضيت هذه الحاجة، بدأت معدتي تقرقر. فتحت البرّاد الصغير الذي أحتفظ فيه عادة ببعض الوجبات الخفيفة كالزبادي. لكن بطريقة ما، تمّ إفراغه في الأيّام القليلة الماضية. والشيء الوحيد المتبقّي كان ثلاث زجاجات صغيرة من الماء. قضيت على محتويات اثنتين منها، مع أنّني سرعان ما ندمت بعد ذلك. فماذا لو تركني هنا لعدّة ساعات أخرى، أو ربّما لأيّام؟ قد أحتاج إلى ذلك الماء.

ارتديت سروالي الجينز مع قميص نظيف، ثمّ تفحّصت الكتب على الأرض. قال آندرو إنّه يريد منّي وضعها على بطني لمدّة ثلاث ساعات قبل أن يسمح لي بمغادرة هذه الغرفة. لا أفهم تمامًا الغرض من هذه اللعبة السخيفة، ولكن ربّما يجدر بي تنفيذ طلبه ببساطة. وعندما يُخرجني من هنا، سأغادر هذا المكان إلى الأبد.

استلقيت على الأرض المكشوفة. كنّا في بداية الصيف، ما يعني أنّ جوّ العلّية خانق على نحو لا يطاق، لكنّ أرضها لا تزال باردة. وضعت رأسي على الأرض وتناولت كتاب السجون. كان كتابًا سميكًا يزن عدّة باوندات. حملته ووضعته على بطني.

كان ثقيلًا، ولكنّه ليس مزعجًا تمامًا. أمّا لو قمت بذلك قبل استخدام الدلو، لما استطعت الصمود. لكنّ الأمر ليس بهذا السوء. بعد ذلك، تناولت الكتاب الثاني.

كان هذا الكتاب عن التعذيب. أفترض أنّ عنوان الكتاب ليس محض صدفة، أو ربّما هو كذلك. من يدري؟

وضعت الكتاب الثاني على بطني. هذه المرّة أصبح الضغط غير مريح. فالكتب ثقيلة ونتوء كتفي وعظم الظهر ضغطا على الأرض الصلبة والعارية. لم يكن ذلك ممتعًا، ولكنّه محمول.

غير أنّه أرادني أن أضع الكتب الثلاثة معًا.

تناولت الكتاب الأخير، دليل الهاتف. لم يكن هذا الكتاب ثقيلًا فحسب، بل وضخمًا أيضًا. كان من الصعب رفعه مع كتابين آخرين موضوعَين على بطني. استغرق الأمر بضع محاولات، ولكنّني تمكّنت من موازنة دليل الهاتف فوق الكتابين الآخرَين.

قطع وزن الكتب الثلاثة انفاسي. كان من الممكن احتمال الكتابين الأوّلين، ولكنّ مع إضافة الثالث، أصبح الوزن مريعًا. فقد صعب عليّ أخذ نفس عميق، كما أنّ حافة الكتاب السفلي ضغطت على قفصي الصدري.

كلّا، لا يمكنني فعل ذلك. لا أستطيع.

دفعت الكتب الثلاثة عنّي وأخذت نفسًا عميقًا. لا يمكنه أن يتوقّع منّي إبقاء الكتب الثلاثة عليّ لساعات.

نهضت مجدّدًا، وبدأت أذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا. لا أعرف ما هي اللعبة التي يلعبها آندرو هنا، لكنّني لن أشارك فيها. سيخرجني من هذه الغرفة، وإلّا فسوف أجد طريقة للخروج بنفسي. لا بدّ من وجود مخرج، فهذا ليس سجنًا.

ربّما كان باستطاعتي حلّ مفاصل الباب، أو نزع مسامير المقبض. لدى آندرو عُدّة في الطابق السفلي في المرآب، وأنا مستعدّة لتقديم أيّ شيء لوضع يدي عليها

الآن. لكن لديّ كثير من الأدوات في أدراج الخزانة، وربّما وجدتُ شيئًا يمكنني استخدامه كمفكّ براغٍ.

"ميلي؟".

عاد آندرو، فتوقّفت عن البحث واندفعت إلى الباب. "وضعت الكتب فوقي، من فضلك دعني أخرج".

"قلت لك ثلاث ساعات، لكنّك لم تفعلي ذلك سوى لدقيقة واحدة تقريبًا".

لقد سئمت من هذا الهراء. "دعني أخرج حالًا".

"وإلّا؟" ضحك. "قلت لك ما عليك فعله".

"لن أفعل ذلك".

"حسنًا إذًا، ستبقين محبوسة في مكانك".

هززت رأسي قائلة: "إذًا، ستدعني أموت هنا؟".

"لن تموتي. عندما تنفد المياه، ستعرفين ما عليك القيام به".

هذه المرّة، بالكاد سمعت وقع خطاه وهو يبتعد مع صوت صراخي.

وضعتُ الكتب الثلاثة على بطني لمدّة ساعتين وخمسين دقيقة.

كان آندرو على حقّ. بعد أن قضيت على زجاجة المياه الثالثة، تعاظم يأسي لمغادرة الغرفة بشكل كبير. وعندما بدأت أتخيّل شلّالات المياه تتراقص أمام عينيّ، عرفت أنّه عليّ إتمام المهمّة التي أرادها. بالطبع، ما من ضمانة أنّه سيسمح لي بالخروج إذا نفّذت طلبه، لكنّني آمل أن يفعل.

كانت الكتب مزعجة حقًّا. ولن أكذب، ثمّة لحظات شعرت فيها أنّني لم أعد قادرة على التحمّل لثانية واحدة أخرى، وأنّ الوزن سيسحق حوضي، ولكنّني كنت آخذ نفسًا، بقدر ما أستطيع مع هذه الكتب اللعينة، وأتحمّل. فقد شارفت المدّة على الانتهاء.

وبعد ذلك، سأخرج من هنا...

بعد مرور ثلاث ساعات، دفعت الكتب عن بطني. ويا لها من راحة! ولكن عندما حاولت الجلوس، آلمني بطني بشدّة بحيث دمعت عيناي. لا شكّ أنّها ستخلّف رضّات خلفها. مع ذلك، ضغطت على نفسي، ورحت أضرب على الأرض. صرخت: "لقد فعلتها! لقد انتهيت! أخرجني من هنا!".

لكنّه بالطبع لم يأتِ. ربّما كان قادرًا على رؤيتي، ولكن ليست لديّ أيّ فكرة عن مكانه. أهو في المنزل، أم في العمل؟ من الممكن أن يكون في أيّ مكان. فهو يعرف مكاني، ولكنّني لا أملك الامتياز نفسه.

يا له من وغد.

مرّت ساعة قبل أن أسمع وقع خطاه خارج بابي. في تلك اللحظة، كدت أبكي فرحًا. لم أكن أعاني في السابق من رهاب الأماكن الضيّقة، ولكنّ هذه التجربة غيّرتني. ولست متأكّدة ممّا إذا كنت سأتمكّن من ركوب المصاعد بعد خروجي من هنا.

"ميلي؟".

صرخت بحدّة: "لقد فعلت ما طلبت، أيّها الأحمق، أخرجني من هنا".

"همم". جعلتني نبرته المثيرة للأعصاب أرغب في لفّ أصابعي حول عنقه وخنقه. "أخشى أنّني لا أستطيع ذلك".

"لكنّك وعدتني! قلت إنّني إذا أبقيت الكتب على بطني لمدّة ثلاث ساعات، فإنّك ستسمح لي بالخروج".

"هذا صحيح، ولكن إليك ما حدث. لقد دفعتها عنك قبل دقيقة من انتهاء المدّة. لذلك أخشى أنّك مضطرّة للبدء من جديد".

جحظت عيناي من شدّة الدهشة. ولو كان بإمكاني في تلك اللحظة أن أتحوّل إلى شمشون الجبّار وأخلع الباب من مفاصله، لفعلت. "لا بدّ أنّك تمزح".

"أنا آسف جدًّا، ولكن هذه هي القواعد".

"ولكن... لم يتبقَّ لديّ أيّ ماء".

تنهّد قائلًا: "هذا مؤسف. في المرّة التالية، عليك أن تتعلّمي الحفاظ على ما لديك من الماء".

ركلت الباب قائلة: "في المرّة التالية؟ هل جننت؟ لن تكون ثمّة مرّة تالية".

قال بجدّية: "لا بل أعتقد أنّه ستكون ثمّة مرّات قادمة. أنت في فترة عفو مشروط، أليس كذلك؟ إذا أخذتِ شيئًا من منزلنا - وأنا متأكد من أنّ نينا ستدعمني في ذلك - فأين تعتقدين أنّه سينتهي بك الأمر؟ مخالفة واحدة وتعودين إلى السجن! بينما لا يتعيّن عليك البقاء في هذه الغرفة سوى ليوم أو يومين من وقت إلى آخر إذا أسأتِ التصرّف. وأعتقد أنّ هذه الصفقة أفضل بكثير، أليس كذلك؟".

حسنًا، لا بل هذه هي اللحظة التي سأتحوّل فيها إلى شمشون الجبّار.

قال: "لذلك، سأعود إلى العمل لأنّك قريبًا ستشعرين بالعطش الشديد".

هذه المرّة، انتظرت ثلاث ساعات وعشر دقائق، لأنّني لا أريد أن أمنح آندرو أيّ فرصة لإجباري على القيام بذلك مرّة ثالثة، وإلّا فستكون القاضية.

شعرت وكأنّ أحدهم كان يلكمني على بطني لعدّة ساعات. كان يؤلمني بشدّة، حتّى إنّني لم أستطع الجلوس في البداية. اضطررت للتدحرج على جانبي لأدفع نفسي إلى وضعية الجلوس باستخدام ذراعيّ. وكان رأسي يؤلمني بسبب قلّة الماء. لذلك زحفت إلى السرير ودفعت نفسي إليه، ثمّ جلست هناك بانتظار وصول آندرو.

مرّت نصف ساعة أخرى قبل أن يتناهى إليّ صوته من خلف الباب. "ميلي؟".

"لقد فعلتها". قلت ذلك مع أنّ صوتي كان أقرب إلى همس. حتّى إنّني لم أستطع النهوض.

"رأيتك". كان ثمّة نبرة متعالية في صوته. "لقد قمتِ بعمل رائع".

بعد ذلك، سمعت أجمل صوت في حياتي. كان صوتَ الباب وهو يُفتح. حتّى إنّه كان أفضل من اللحظة التي غادرتُ فيها السجن.

دخل آندرو الغرفة حاملًا كأسًا من الماء. أعطاني إيّاه، وللحظة، فكّرت أنّه قد يحتوي على مخدّر من نوع ما، لكنّني لم أهتمّ، بل تجرّعته بأكمله.

جلس بجانبي على السرير، ووضع إحدى يديه على أسفل ظهري، فانكمشت. "كيف حالك؟".

"بطني يؤلمني".

أمال رأسه جانبًا: "أنا آسف".

"حقًّا؟".

"يجب أن تتعلّمي درسًا عندما تخطئين، فهذه هي الطريقة الوحيدة للتعلّم".

ارتعشت شفتاه قبل أن يضيف: "ولو نفّذت عقابك بالطريقة الصحيحة في المرّة الأولى، لما طلبت منك تكراره".

نظرت إليه وتأمّلت ملامحه الجميلة. كيف وقعت في حبّ هذا الرجل؟ كان يبدو لطيفًا وطبيعيًا ورائعًا، ولم أعرف أيّ وحش هو. هدفه ليس الزواج منّي، بل جعلي أسيرة له.

سألته: "كيف استطعت تحديد المدّة بالضبط؟ من المستحيل أن تتمكّن من رؤية ذلك".

"بل على العكس". أخرج هاتفه من جيبه وفتح تطبيقًا. فظهرت صورة صغيرة لغرفتي وملأت الشاشة. استطعت رؤيتنا نحن الاثنين جالسين على السرير بدقّة لا تصدّق. وظهرتُ في صورتي شاحبة ومحدّبة الظهر، كما بدا شعري مشعّثًا. "أليست صورة رائعة؟ إنّها أشبه بفيلم سينمائي".

ذاك النذل، كان يشاهدني وأنا أعاني طوال اليوم. ولديه كلّ النوايا لفعل ذلك بي مجدّدًا. باستثناء أنّ المرّة القادمة ستكون أطول. والله يعلم ما الذي سيجبرني على فعله في المرّة التالية. لقد كنت بالفعل سجينة ذات مرّة، ولكنّ هذا لن يحدث مجدّدًا، مستحيل.

لذلك مددت يدي إلى جيب سروالي، وأخرجت زجاجة رذاذ الفلفل التي وجدتها في الدلو.

الفصل 53

نينا

مكتبة
t.me/soramnqraa

عندما وظّفت ذلك المحقّق الخاصّ للبحث في ماضي ويلهلمينا كالواي، وجدت بعض المعلومات الشيّقة للغاية.

كنت قد افترضت أنّ ميلي دخلت السجن بسبب جريمة مخدّرات أو ربّما سرقة. لكن لا، دخلت ميلي كالواي السجن لسبب مختلف تمامًا، فقد سُجنت بتهمة القتل.

كانت في السادسة عشرة من عمرها فقط عندما تمّ اعتقالها وأُدخلت السجن في السابعة عشرة من عمرها، لذلك استغرق الأمر بعض الجهد من المحقّق للحصول على كلّ المعلومات. كانت ميلي طالبة في مدرسة داخلية، وليس أيّ مدرسة، بل مدرسة خاصة بالمراهقين الذين يعانون من مشاكل انضباطية.

ذات ليلة، تسلّلت مع إحدى صديقاتها للذهاب إلى حفلة في مهجع الفتيان. وبينما كانت ميلي تمرّ بإحدى غرف نوم، سمعت صديقتها تصرخ طالبة المساعدة من خلف الباب. فدخلت الغرفة المظلمة ووجدت أحد زملائها في الصفّ - لاعب كرة قدم يزن نحو مائة كيلوغرام - يحاول الاعتداء على الفتاة. فما كان من ميلي إلّا أن تناولت ثقّالة ورق من على مكتب وضربت الفتى بها على رأسه عدّة مرّات. قضى الفتى حتّى قبل وصوله إلى المستشفى.

كان لدى المحقّق صور. ومع أنّ محامي ميلي احتجّ أنّها كانت تحاول الدفاع عن صديقتها التي تتعرّض للاعتداء، إلّا أنّ نظرةً إلى تلك الصور تجعل من الصعب

الإثبات أنّها لم تكن تقصد قتله. فقد تحطّمت جمجمته بشكل واضح.

في نهاية المطاف، اعتُبرت مذنبة بتهمة قتل غير متعمَّد، بالنظر إلى سنّها والظروف. كانت عائلة الفتى موافقة، فقد أرادت الانتقام لموت ابنها، ولكنّها لم ترغب أن يوصف أنّه مغتصب عبر الإنترنت.

أمّا ميلي، فوافقت على الصفقة نظرًا لوجود سوابق أخرى من شأنها أن ستخرج إلى العلن لو أنّها خضعت للمحاكمة.

فقد طُردت من المدرسة الابتدائية عندما تشاجرت مع صبيّ صغير في صفّها أقدم على شتمها، فدفعته وتسبّبت بكسر في ذراعه.

في المدرسة الإعدادية، مزّقت إطارات سيّارة مدرّس الرياضيات عندما أعطاها درجة متدنّية. بعد ذلك بوقت قصير، تمّ إرسالها إلى مدرسة داخلية.

ثمّ توالت الأحداث بعد عقوبة السجن. إذ لم يتمّ تسريح ميلي من وظيفتها كنادلة، بل طُردت بعد أن لكمت أنف أحد زملائها في العمل.

تبدو ميلي فتاة لطيفة. هذا ما يراه آندرو عندما ينظر إليها، لكنّه لم يتعمّق في ماضيها كما فعلت أنا، ولا يعرف ما هي قادرة على فعله.

وهذه هي الحقيقة:

أردت في البداية توظيف خادمة على أمل أن تصبح بديلة لي، على اعتبار أنّه إذا وقع آندرو في حبّ امرأة أخرى، فإنّه سيسمح لي أخيرًا بالرحيل. لكن هذا ليس السبب الذي دفعني إلى توظيف ميلي. ليس هذا هو السبب الذي أعطيها لأجله نسخة عن مفتاح الغرفة، ولا هو سبب تركي زجاجة رذاذ الفلفل في الدلو الأزرق في الخزانة.

لقد وظّفتها لقتله.

غير أنّها لا تعرف ذلك.

الفصل 54

ميلي

صرخ آندرو عندما دخل رذاذ الفلفل في عينيه.

كانت الفوهة على بعد نحو ثلاثة إنشات من عينيه، لذلك حصل على جرعة لا بأس بها منه. بعد ذلك، ضغطت مرّة ثانية من باب الاحتراز. وبينما أنا أفعل ذلك، أدرت وجهي جانبًا وأغمضت عينيّ. فآخر ما أحتاج إليه هو دخول رذاذ فلفل في عينيّ، علمًا أنّه من الصعب احتمال مقدار قليل منه.

عندما نظرت إليه مجدّدًا، كان قد رفع يديه إلى وجهه الذي أصبح باللون الأحمر. سقط هاتفه من يديه على الأرض، فأخذته بحذر شديد لكي لا ألمس شيئًا آخر. يجب أن يسير كلّ شيء بشكل صحيح تمامًا خلال الثواني العشرين القادمة. لقد أمضيت أكثر من ستّ ساعات في التخطيط لذلك بينما كانت الكتب الثلاثة موضوعة على بطني.

كانت ساقاي ضعيفتين عندما نهضت، لكنّني استطعت استخدامهما. أمّا آندرو فكان لا يزال يتلوّى على السرير، وقبل أن يتمكّن من استعادة بصره، خرجت من الغرفة، وأغلقت الباب خلفي. بعد ذلك، أخذت المفتاح الذي أعطتني إيّاه نينا وأدخلته في القفل. أدرت المفتاح فيه، ثمّ خبّأته في جيبي، وتراجعت خطوة إلى الوراء.

صاح آندرو من الجانب الآخر من الباب: "ميلي! ماذا فعلتِ بحقّ الجحيم؟".

نظرت إلى شاشة هاتفه. كانت أصابعي تهتزّ، لكنّني استطعت دخول الإعدادات، وعطّلت قفل الشاشة قبل أن يُقفل الهاتف تلقائيًّا، وبذلك لن يتطلب كلمة مرور بعد الآن.

"ميلي!".

تراجعت خطوة أخرى إلى الوراء، كما لو كان قادرًا على الوصول إليّ من خلال الباب. لكنّه لا يستطيع ذلك، أنا بأمان من الجانب الآخر من الباب.

"ميلي". كان صوته أشبه بزمجرة منخفضة الآن. "أخرجيني من هنا حالًا".

أخذ قلبي ينبض بسرعة في صدري. هكذا شعرتُ تمامًا عندما دخلت غرفة النوم قبل كلّ تلك السنوات ووجدت كيلسي تصيح في وجه لاعب كرة القدم النذل ذاك، *ابتعد عنّي!* أمّا دانكان فكان يضحك وهو في حالة ثمالة. وقفت هناك لثانية، وقد شُلّ جسدي، وامتلأ صدري غضبًا. كان أكبر حجمًا بكثير من أيّ منّا، بحيث يستحيل عليّ إبعاده عنها. وكانت الغرفة مظلمة، فتحسّست المكتب إلى أن عثرت على ثقّالة الورق و...

لن أنسى ذلك اليوم ما حييت. كم أمتعني ضرب جمجمة ذلك النذل بثقّالة الورق إلى أن سكن تمامًا. كان الأمر يستحقّ كلّ تلك السنوات في السجن. ففي النهاية، من يدري كم عدد الفتيات الأخريات اللواتي أنقذتهنّ منه؟

قلت: "سأدعك تخرج، لكن ليس بعد".

"لا بدّ أنّك تمزحين". كان الغضب في صوته ملموسًا. "هذا منزلي، ولا يمكنك حبسي رهينة هنا. كما أنّك مجرمة وليس عليّ سوى الاتّصال بالشرطة لتعودي إلى السجن".

قلت: "صحيح ما تقوله، ولكن كيف ستتّصل بالشرطة ما دام هاتفك معي؟".

نظرت إلى شاشة هاتفه، فرأيته واقفًا هناك، وقد كسا الاحمرار وجهه، بسبب رذاذ الفلفل والدموع التي تسيل على خدّيه. تفحّص جيبيه، ثمّ نظر إلى الأرض بعينيه المتورّمتين.

قال بصوت بطيء ومنضبط: "ميلي، أريدك أن تعيدي لي هاتفي".

ضحكتُ بصوت مبحوح. "أنا متأكّدة من ذلك".

"ميلي، أعيدي لي هاتفي حالًا".

"همم، لا أعتقد أنّك في وضع يسمح لك بتقديم مطالب".

"ميلي".

"لحظة واحدة". دسست الهاتف في جيبي. "سأذهب لتناول شيء ما، ثمّ أعود قريبًا".

"ميلي!".

كان يصيح باسمي وأنا أسير في الرواق وأنزل إلى الطابق السفلي. غير أنّني تجاهلته، فما من شيء يمكنه فعله وهو حبيس في تلك الغرفة. كما عليّ التفكير في خطوتي التالية.

أوّل ما فعلته كان ما قلته بالضبط. ذهبت إلى المطبخ، وشربت كأسين مليئين بالماء. بعد ذلك أعددت لنفسي شطيرة بولونيا. كلّا، ليس شطيرة أبالوني، بل بولونيا، مع كثير من المايونيز والخبز الأبيض. وبعد أن أشبعت بطني، شعرت بتحسّن كبير. يمكنني أخيرًا التفكير بشكل سليم.

تناولت هاتف آندرو. كان لا يزال في العلّية، يروح ويجيء، مثل حيوان وقع في فخّ. إذا سمحت له بالخروج، لا يمكنني حتّى أن أتخيّل ما سيفعله بي. مجرّد التفكير في ذلك جعل العرق البارد يسيل في مؤخّر عنقي. وبينما أنا أشاهده، ظهرت رسالة نصّية على هاتفه، من "أمي".

هل سترسل لنينا أوراق الطلاق؟

قرأت بعض الرسائل السابقة. كان آندرو قد أخبر والدته بكلّ شيء عن خلافه مع نينا. عليّ الآن أن أجيبها لأنّني إذا لم أفعل، فقد تأتي إلى هنا، وعندها يُقضى عليّ. لا يجب أن يشكّ أحد في حدوث شيء لآندرو.

نعم، أنا أتحدّث مع محاميّ الآن.

أتى ردّ والدة آندرو على الفور تقريبًا:

هذا جيّد، فأنا لم أحبّها قطّ. لقد بذلت قصارى جهدي مع سيسيليا، لكنّ نينا كانت متساهلة للغاية في مسألة الانضباط وقد أصبحت الفتاة الصغيرة شقية للغاية.

شعرت بموجة من التعاطف تجاه نينا وسيسيليا. فمن السيّئ بما فيه الكفاية ألّا تكون والدة آندرو قد أحبّت نينا قطّ. ولكن أن تتحدّث بهذه الطريقة عن حفيدتها؟ وأنا أتساءل ماذا تقصد والدة آندرو تحديدًا بـ "الانضباط". لأنّه إذا كان يشبه فكرة آندي عن العقاب، فأنا سعيدة لأنّ نينا لم تنفّذ ذلك قطّ.

ارتجفت يداي وأنا أطبع الإجابة:

يبدو أنّك كنت محقّة بشأن نينا.

والآن عليّ التعامل مع ذلك الوغد.

دسست الهاتف في جيبي مجدّدًا، ثمّ صعدت السلم إلى الطابق الثاني، ومنه إلى العلّية. عندما وصلت إلى الطابق الأخير، توقّف وقع الخطى في العّلية. لا بدّ أنّه سمعني.

قال: "ميلي".

أجبته بتصلّب: "أنا هنا".

تنحنح قائلًا: "لقد أوضحتِ وجهة نظرك بشأن الغرفة. أنا آسف على ما فعلت".

"حقًّا؟".

"نعم، أدرك الآن أنّني كنت مخطئًا".

"أنا أرى. إذًا أنت آسف؟".

تنحنح مجيبًا: "نعم".

"قلها".

صمت قليلًا. "ماذا أقول؟".

"قل إنّك آسف لأنّ ما فعلته بي فظيع".

راقبت تعابيره على الشاشة. لم يكن راغبًا في الاعتذار لأنّه ليس آسفًا حقًّا. لا يؤسفه سوى أنّه منحني فرصة للتغلّب عليه.

قال أخيرًا: "أنا آسف جدًّا. لقد كنت مخطئًا تمامًا. ما فعلته بك فظيع، ولن أكرّره ثانية". صمت قبل أن يضيف: "هل ستسمحين لي بالخروج الآن؟".

"نعم سأفعل".

"شكرًا لك".

"ولكن ليس بعد".

استنشق بحدّة. "ميلي...".

"سأسمح لك بالخروج". كان صوتي الهادئ يكذّب خفقان قلبي. "ولكن قبل أن أفعل، يجب أن تعاقب على ما فعلته بي".

هدر صوته قائلًا: "لا تلعبي هذه اللعبة، فأنت لا تملكين الجرأة الكافية".

ما كان ليتحدّث معي بهذه الطريقة لو علم أنّني ضربت رجلًا حتّى الموت بثقّالة ورق. هو لا يملك أدنى فكرة، لكنّني واثقة من أنّ نينا تعرف. "أريدك أن تستلقي على الأرض وتضع هذه الكتب الثلاثة فوقك".

"كفى، هذا سخيف".

"لن أدعك تخرج من هذه الغرفة حتّى تنفّذ ما طلبت".

نظر آندرو إلى الكاميرا. لطالما ظننت أنّ عينيه جميلتان، لكنّ السمّ ظهر فيهما هذه المرّة وهو يحدّق إليّ. ذكّرت نفسي، *ليس إليّ*، بل هو ينظر إلى الكاميرا.

"حسنًا، سأجاريك".

تمدّد على الأرض، ثمّ أخذ الكتب واحدًا تلو الآخر وكدّسها على بطنه، تمامًا كما فعلت قبل ساعات. لكنّه أكبر وأقوى منّي، ولم يبدُ عليه سوى شيء من الإنزعاج مع كلّ تلك الكتب فوقه.

قال: "هل أنت راضية؟".

قلت: "أدنى".

"ماذا؟".

"ادفع الكتب إلى الأسفل".

"أنا لا أفهم ماذا-"

ضغطت جبهتي على الباب وأنا أقول: "أنت تعرف تمامًا ما أعنيه".

حتّى من خلال الباب، استطعت سماع أنفاسه الحادّة. "ميلي، لا يمكنني-"

"إذا كنت تريد الخروج من تلك الغرفة، فستفعل ذلك".

حدّقت إلى شاشة هاتفه أراقبه. دفع الكتب من على صدره إلى أن أصبحت أسفل بطنه. لم يبد عليه أنّه منزعج للغاية من قبل، لكنّ الأمر تغيّر الآن. فقد تجمّد وجهه في تكشيرة.

شهق قائلًا: "يا إلهي".

قلت: "جيد. والآن حافظ على هذه الوضعية لمدّة ثلاث ساعات".

الفصل 55

ميلي

بينما أنا جالسة على الأريكة، أشاهد التلفاز وأنتظر انقضاء الساعات الثلاث للنهوض، رحت أفكّر في نينا.

ظننت طوال الوقت، أنّها هي المجنونة. أمّا الآن، فلم أعد أدري شيئًا. لا بدّ أنّها تركت لي رذاذ الفلفل في تلك الغرفة عمدًا، إذ كانت تشكّ في ما سيفعله بي. الأمر الذي يدفعني إلى الاعتقاد أنّه فعل ذلك بها، وربّما مرّات عديدة من قبل.

هل شعرت نينا بالغيرة حقًّا، أم كان مجرّد تمثيل؟ ما زلت غير متأكّدة تمامًا. أراد جزء منّي الاتّصال بها ومعرفة الجواب، لكنّني شعرت أنّها لن تكون فكرة جيّدة. ففي النهاية، رفضت كيلسي التحدّث إليّ مجدّدًا بعد أن قتلت دانكان. لم أفهم السبب، لا سيّما وأنّني قتلته من أجلها، فقد كان يحاول الاعتداء عليها. ولكن عندما رأيت صديقتي المقرّبة بعد ذلك، نظرت إليّ باشمئزاز.

لم يتفهّمني أحد يومًا. فبعد أن ورّطت نفسي في المشاكل بإقدامي على تمزيق إطارات الأستاذ كافانو، حاولت أن أشرح لوالدتي كيف هدّدني بالرسوب في صفّ الرياضيات ما لم أتركه يتحرّش بي، غير أنّها لم تصدّقني، لم يصدّقني أحد. بدلًا من ذلك، أرسلتني إلى مدرسة داخلية لأنّني لم أكفّ في التورّط في المشاكل. ولم يكن ذلك حلًّا مناسبًا. هكذا، وبعد حادثة المدرسة الداخلية، نفضوا أيديهم منّي نهائيًا.

عندما حصلت أخيرًا على وظيفة لائقة بعد خروجي من السجن، اضطررت للتعامل مع ذلك النذل كايل، الذي حاول التحرّش بي كلّما سنحت له الفرصة. وفي أحد الأيّام، استدرت ولكمته على أنفه. لم يوجّه لي الاتّهامات لأنّه شعر بالإحراج من تعرّضه للضرب من فتاة، ولكنّهم طلبوا منّي عدم العودة. وبعد ذلك بقليل، أصبحت أعيش في سيّارتي.

لا يمكنني الوثوق سوى في نفسي.

تثاءبت وأطفأت التلفاز. مرت أكثر من ثلاث ساعات ولم يتزحزح آندرو عن الأرض. اتّبع جميع القواعد، مع أنّه يتألّم بلا شكّ. أخذت كلّ وقتي في صعود الدرج إلى الطابق العلوي. وبمجرّد وصولي إلى هناك، أزاح الكتب عنه. للحظة، ظلّ مستلقيًا هناك وهو محنيّ على نفسه.

قلت: "آندرو؟".

"ماذا؟"

"كيف تشعر؟".

همّس مجيبًا: "وكيف أشعر برأيك؟ دعيني أخرج من هنا، أيّتها الشقيّة".

لا يبدو هادئًا ومتعجرفًا بقدر ما كان عليه قبل نزولي من هنا، هذا جيّد. اتّكأت إلى الباب وراقبت وجهه على شاشتي. "أنا لا أقدّر الشتائم حقًّا. وقد ظننت، بما أنّك تعتمد عليّ لمساعدتك، أنّه بإمكانك أن تكون أكثر لطفًا بقليل".

"دعيني أخرج". جلس على الأرض وهو يحتضن رأسه بين يديه. "أقسم يا ميلي، إذا لم تسمحي لي بالخروج حالًا، فإنّني سأقتلك".

قال ذلك بطريقة عرضية. *سأقتلك*. حدّقت إلى شاشة هاتفي، متسائلة كم عدد النساء الأخريات اللواتي دخلن هذه الغرفة. ترى كم عدد أولئك اللواتي لفظن أنفاسهنّ الأخيرة في هذه الغرفة.

فهذا محتمل جدًّا.

قلت: "استرخ، سأخرجك".

"هذا جيد".

"ولكن ليس بعد".

قال بصوت غاضب: "ميلي... لقد نفّذت طلبك، ثلاث ساعات كاملة".

"ثلاث ساعات؟" رفعت حاجبيّ مع أنّه لا يستطيع رؤيتي. "أنا آسفة إذا كنت قد سمعت ثلاث ساعات، لأنّني قلت في الواقع خمس ساعات. لذلك أخشى أنّه عليك أن تبدأ من الصفر".

"خمس..." أليتاحت الشاشة الملوّنة بالكامل رؤية الطريقة التي أبيض بها وجهه، وقد أعجبني ذلك. "لا يمكنني، لا يمكنني البقاء خمس ساعات، كفى، عليك إخراجي من هنا، هذه اللعبة انتهت".

قلت بصبر: "نحن لا نتفاوض يا آندرو. إذا أردت الخروج من هذه الغرفة، فعليك إبقاء هذه الكتب فوقك طوال الساعات الخمس التالية. الخيار لك".

"ميلي، ميلي". كان تنفّسه متقطّعًا. "اسمعي، ثمّة دائمًا مجال للتفاوض. ماذا تريدين؟ سأعطيك المال. سأعطيك مليون دولار حالًا إذا سمحت لي بمغادرة هذه الغرفة. ما رأيك؟".

"كلّا".

"مليونان".

من السهل عليه عرض المال الذي لا ينوي إعطائي إيّاه إطلاقًا. "كلّا، لست موافقة. سأذهب إلى الفراش الآن، ولكن ربّما أراك ثانية في الصباح".

"ميلي، كوني منطقية!" صمت قبل أن يضيف: "على الأقلّ، تركت لك بعض الماء. ألا يمكنني الحصول على بعض الماء؟".

"أخشى أنّ هذا ليس ممكنًا. ربّما في المرّة التالية، عليك ترك الفتاة التي تحبسها في الغرفة مع كمّية أكبر من الماء، حتّى يتبقى لك القليل".

وعلى ذلك، عبرت الرواق وهو يصيح باسمي. وما إن وصلت إلى غرفة النوم، حتّى بحثت على محرّك غوغل: *كم يمكن للإنسان أن يعيش بدون ماء؟*

الفصل 56

نينا

عندما وافيت سيسيليا في المخيّم، وجدتها الأسعد منذ مدّة. كانت مع بعض الأصدقاء الجدد الذين تعرّفت إليهم، ووجهها المستدير يشعّ فرحًا. لوّحت الشمس كتفيها وخدّيها، ولاحظت وجود خدش على مرفقها تدلّى منه شريط لاصق. وبدلًا من ارتداء أحد تلك الأثواب الرهيبة ذات الكشاكش التي كان آندي يصرّ دائمًا عليها، كانت ترتدي سروالًا قصيرًا وقميصًا قطنيًا مريحًا. لن أمانع إذا رفضت ارتداء فستان مجدّدًا.

"مرحبًا ماما!" اندفعت نحوي، وراح شعرها المربوط في ذيل حصان يتأرجح خلفها. أخبرتني سوزان أنّه عندما بدأت ابنتها الصغيرة تناديها "ماما" بدلًا من "مامي"، شعرَت كأنّ خنجرًا غُرز في قلبها. أمّا أنا فكنت سعيدة لأنّ سيسي تكبر، هذا يعني أنّها ستصبح قريبًا ناضجة بما فيه الكفاية بحيث لا تعود لديه أيّ سلطة عليها، وعلينا نحن الاثنتين. "لقد جئتِ باكرًا!".

"نعم..."

أصبح أعلى رأسها يصل إلى كتفي الآن. هل كبرت خلال وجودها هنا؟ لفّت ذراعيها النحيلتين حولي، ووضعت رأسها على كتفي. "أين سنذهب الآن؟".

ابتسمتُ لدى سماع سؤالها. فعندما كانت سيسي تحزم أمتعتها للمخيّم، طلبت منها أن تحزم كمّية إضافية من الملابس لأنّني لم أكن متأكّدة ممّا إذا كنّا

سنعود إلى المنزل مباشرة. فربّما نتوجّه إلى مكان آخر بعد انتهاء المخيّم. لذلك كانت بعض حقائبها في صندوق سيّارتي.

لم أكن واثقة ممّا سيحدث، ولم أعرف ما إذا كان كلّ شيء سيسير حسب الخطّة. فكلّما فكّرت بالأمر، امتلأت عيناي بالدموع. نحن حرّتان.

سألتها: "إلى أين تريدين الذهاب؟".

أمالت رأسها مجيبة: "ديزني لاند!".

يمكننا الذهاب إلى كاليفورنيا. فأنا أرغب في وضع مسافة ثلاثة آلاف ميل بيني وبين آندرو وينشستر، تحسّبًا، في حال قرّر أنّه علينا أن نكون معًا من جديد.

تحسّبًا، في حال لم تفعل ميلي ما أتمنّاه.

قلت: "فلنذهب!".

أضاء وجه سيسي، وبدأت تقفز حولي. كانت لا تزال تتمتّع بفرح الطفولة، والقدرة على عيش اللحظة. لم يسرق منها ذلك تمامًا، ليس بعد على أيّ حال.

فجأة، توقّفَت عن القفز وبدت الجدّية في ملامحها. "وماذا عن أبي؟".

"لن يرافقنا".

عكس الارتياح الذي ظهر على وجهها الارتياح الذي أشعر به. لم يضع إصبعًا عليها على حدّ علمي، فقد كنت أراقبها بعناية. ولو رأيت أثر كدمة على طفلتي، لطلبت من إنزو أن يمضي قدمًا ويقتله، لكنّني لم أر شيئًا قطّ. مع ذلك، كانت تعرف أنّ بعض تجاوزاتها تؤدّي إلى عقابي. فهي فتاة ذكية.

بالطبع، فإنّ اضطرارها لأن تكون مثالية جدًّا أمام والدها، جعلها تثور في غيابه. فهي لا تثق بأيّ شخص بالغ سواي، ومن الممكن أن تكون صعبة المراس. سبق ووُصفت بالشقيّة من قبل، لكنّ هذا ليس خطأها، فابنتي تملك قلبًا طيبًا.

ركضت سيسي إلى مقصورتها لإحضار حقائبها. وعندما هممت باللحاق بها، بدأ هاتفي يرنّ في حقيبتي. فبحثتُ بين محتوياتها إلى أن عثرت عليه. كان إنزو.

تردّدتُ في الإجابة. فقد ساعد إنزو في إنقاذ حياتي، ولا يمكنني أن أزعم أنّه

لم يمنحني ليلة لا تُنسى، لكنّني مستعدّة لترك ذلك الجزء من حياتي ورائي. والآن، أنا لا أعرف لماذا يتّصل، ولست واثقة ممّا إذا كنت أريد أن أعرف.

مع ذلك، أنا مدينة له على الأقلّ بردّ.

"ألو؟" خفضت صوتي قليلًا. "ماذا يجري؟".

كانت نبرة إنزو منخفضة وجدّية. "علينا التحدّث يا نينا".

خلال حياتي، لم تفضِ هذه العبارة إلى شيء جيّد.

قلت: "ما الأمر؟".

"عليك العودة إلى هنا، عليك مساعدة ميلي".

ضحكت ساخرة: "هذا مستحيل".

"مستحيل؟" سبق أن سمعت إنزو يتحدّث بغضب من قبل، ولكنّ غضبه لم يكن يومًا موجّهًا ضدّي. هذه المرّةُ الأولى. "نينا، إنّها في ورطة. وأنت من وضعها في هذا الموقف".

"صحيح، لأنّها نامت مع زوجي. هل من المفترض أن أشعر بالأسف تجاهها؟".

"أنت من دفعها إلى ذلك!".

"لم يكن عليها ابتلاع الطعم، لم يلوِ أحد ذراعها. على أيّ حال، ستكون بخير. فآندي لم يفعل بي شيئًا لمدّة أشهر متتالية، وكان ذلك بعد زواجنا". أضفت: "على أيّ حال، سأكتب إليها رسالة بعد الطلاق، اتّفقنا؟ سأحذّرها منه قبل أن تتزوّج به".

صمت للحظات قبل أن يقول: "لم تغادر ميلي المنزل منذ ثلاثة أيّام".

نظرت إلى مقصورة سيسيليا. كانت لا تزال في الداخل تحزم أمتعتها، وربّما تثرثر مع أصدقائها الجدد. ألقيت نظرة على الأهالي الآخرين الذين يصلون لاستلام أولادهم، ثمّ ابتعدت جانبًا وخفضت صوتي أكثر: "ماذا تعني؟".

"كنت قلقًا عليها، فوضعت علامة حمراء على إطار سيّارتها. وقد مضت ثلاثة أيّام وما زالت العلامة في مكانها بالضبط. لم تذهب إلى أيّ مكان منذ ثلاثة أيّام".

تنهّدت قائلة: "اسمع يا إنزو، قد يعني هذا أيّ شيء. ربّما ذهب الاثنان في رحلة معًا".

"كلّا، لقد رأيت سيّارته تتحرّك".

نظرت إلى الأعلى بسأم. "إذًا، ربّما كانا يذهبان بسيّارة واحدة. وربّما لم تشعر بالرغبة في القيادة والذهاب إلى أيّ مكان".

"ضوء العلّية مضاء".

"ضوء-..."، تنحنحت وابتعدت خطوة أخرى عن بقيّة الأهالي. "وكيف عرفت ذلك؟".

"دخلت الفناء الخلفي".

"بعد أن طردك آندي؟".

"كان عليّ أن أتحقّق، ثمّة شخص ما هناك".

ضغطت على الهاتف بشدّة حتّى شعرت بوخز في أصابعي. "وماذا في ذلك؟ كانت العلّية غرفة نومها، فهل ثمّة مشكلة كبيرة في وجودها هناك؟".

"لا أدري، أخبريني أنت".

انتابني إحساس بالدوار. عندما خطّطت لهذا الأمر برمّته، عندما أردت أن تكون ميلي بديلتي، ومن ثمّ عندما أردتها لاحقًا أن تقتل ذلك النذل، لم أفكّر حقًّا في الأمر. تركت لها رذاذ الفلفل وأعطيتها مفتاح الغرفة، واعتقدت أنّها ستكون بخير. ولكنّني بدأت أدرك الآن أنّني ربّما ارتكبت خطأً فادحًا. فحين أفكّر فيها وهي حبيسة في تلك الغرفة، تعاني العقاب الذي ابتكره لها آندي، ينتابني إحساس بالغثيان.

"ماذا عنك؟ ألا يمكنك الدخول للاطمئنان عليها؟".

"قرعت الجرس، لم يجب أحد".

"وماذا عن المفتاح الموجود تحت إناء النباتات؟".

"ليس هناك".

"وماذا عن-"

قال إنزو غاضبًا: "نينا، هل تطلبين منّي اقتحام ذلك المنزل؟ هل تعرفين ماذا سيحدث إذا تمّ القبض عليّ؟ أنت تملكين مفتاحًا، ولديك كلّ الحقّ في الدخول. سأدخل معك، ولكن لا يمكنني الدخول بمفردي".

"ولكن-"

انفجر قائلًا: "هذه مجرّد أعذار! لا أصدّق أنّك ستتركينها تعاني كما عانيتِ".

ألقيت نظرة أخيرة على مقصورة سيسيليا. كانت تخرج للتوّ، وهي تجرّ حقائبها خلفها.

قلت: "حسنًا، سأعود. ولكن بشرط واحد".

الفصل 57

ميلي

عندما استيقظت في غرفة نوم الضيوف في صباح اليوم التالي، تناولت على الفور هاتف آندرو.

فتحت تطبيق الكاميرا في العلّية، وسرعان ما ظهرت الغرفة على الشاشة. حدّقت إليها، وشعرت بالدم يجري باردًا في عروقي. كانت الغرفة ساكنة تمامًا. لم يعد آندرو هناك.

لقد خرج من الغرفة.

تشبّثت بالبطّانية بيدي اليسرى، بينما جال نظري في أرجاء الغرفة بحثًا عنه، خشية أن يكون متربّصًا لي في الظلام. شعرت بحركة مفاجئة عند النافذة، وكدت أصاب بنوبة قلبية قبل أن أدرك أنّه مجرّد طائر.

أين هو؟ وكيف خرج؟ هل ثمّة زرّ ما لم أكن أعرف بوجوده، أو طريقة يمكنه الإفلات بها إن وجد نفسه في هذا الموقف؟ لكن من الصعب تخيّل ذلك. فقد أبقى تلك الكتب على فخذيه لساعات متتالية، وما كان ليفعل ذلك لو كان لديه سبيل للخروج؟

على أيّ حال، إذا كان قد خرج من تلك الغرفة، فلا بدّ أنّه غاضب للغاية. وبالتالي، عليّ مغادرة هذا المنزل، حالًا.

عاد نظري إلى الهاتف، وفجأة، رأيت شيئًا يتحرّك على الشاشة، فتنفّست الصعداء. ما زال آندرو في الغرفة بعد كلّ شيء، ممدّدًا تحت الغطاء على السرير. لم أره لأنّه كان ساكنًا جدًّا.

استخدمت وظيفة إرجاع الفيديو. فشاهدت آندرو مستلقيًا على أرض الغرفة، يئنّ من الثقل الموضوع فوقه. خمس ساعات. فعل ذلك لخمس ساعات متتالية. بالتالي، إذا كنت سأفي بجانبي من الاتّفاق، سيتحتّم عليّ إخراجه الآن.

استغرقت كلّ وقتي للاستعداد. أخذت حمّامًا دافئًا طويلًا، فتلاشى التوتّر من عنقي مع جريان الماء الدافئ على جسدي. أنا أعرف ما عليّ فعله تاليًا، وأنا جاهزة.

ارتديت قميصًا قطنيًا مريحًا وسروال جينز، ثمّ جمعت شعري الأشقر الداكن على شكل ذيل حصان ودسست هاتف آندرو في جيبي. بعد ذلك، حملت شيئًا كنت قد أخذته أمس من المرآب وخبّأته في جيبي الآخر.

صعدت السلّم المؤدّي إلى العلّية على وقع صرير الدرجات. كنت قد استخدمت هذا السلّم بما فيه الكفاية لألاحظ أنّ الصرير لا يصدر عن كلّ الدرجات بل عن عدد منها وحسب. كان صرير الدرجة الثانية مرتفعًا جدًّا على سبيل المثال، وكذلك الدرجة العليا.

عندما وصلت إلى أعلى الدرج، طرقت الباب. نظرت إلى هاتفه، إلى صورة الغرفة الملوّنة، غير أنّه لم يتحرّك عن السرير.

شعرت بالقلق ينتابني على شكل وخز في مؤخّر عنقي. لم يشرب آندرو شيئًا منذ نحو اثنتي عشرة ساعة. ولا بدّ أنّه يشعر بضعف شديد الآن. تذكّرت كيف كنت أشعر بالأمس عندما انتابني العطش الشديد. ماذا لو كان فاقدًا للوعي، ماذا سأفعل عندها؟

لكنّ آندرو تحرّك على الفراش. راقبته وهو يناضل للجلوس، ويفرك عينيه بأسفل كفّيه.

قلت: "آندرو، لقد عدت".

التفت، ونظر مباشرة إلى الكاميرا. فارتجفت وأنا أتخيّل ما سيفعله بي إذا فتحت هذا الباب. إذا فتحت الباب، سيجرّني إلى الداخل من شعري. بعد ذلك، سيجبرني على فعل أشياء فظيعة قبل أن يسمح لي بالخروج، هذا إن فعل.

نهض للوقوف من دون اتّزان. مشى إلى الباب، ثمّ انهار عليه. "لقد فعلتها، دعيني أخرج".

نعم، صحيح.

قلت: "اسمع إذًا. لم أستطع رؤية تسجيل ليلة أمس. هذا محبط، أليس كذلك؟ لذا أخشى أنّك مضطرّ إلى-"

"لن أفعل ذلك مجدّدًا". أصبح وجهه ورديًا فاتحًا، ولم يكن ذلك بسبب رذاذ الفلفل. "عليك إخراجي حالًا، ميلي أنا لا أمزح".

"سأدعك تخرج". صمتُّ مضيفة: "لكن ليس بعد".

تراجع آندرو خطوة إلى الخلف، وهو يحدّق إلى الباب. ثمّ تراجع خطوة ثانية، وثالثة. بعد ذلك، بدأ يجري.

ألقى بنفسه على الباب بقوّة، بحيث اهتزّت مفاصله، لكنّه لم يتزحزح.

ثمّ بدأ يتراجع مجدّدًا. تبًّا.

قلت: "اسمع، سأدعك تخرج، لكن ثمّة أمر واحد عليك القيام به".

"اللعنة عليك، أنا لا أصدّقك".

ألقى بنفسه على الباب مجدّدًا، فاهتزّ ولكنّه لم يتحطّم. كان المنزل جديدًا نسبيًا ومتين الصنع. أتساءل ما إذا كان قادرًا على تحطيم الباب. ربّما في أفضل أحواله، وهو بكامل قواه، ولكن ليس الآن. كما أنّه من الصعب تحطيمه من الداخل لأنّ المفصلات مثبّتة من هناك.

كان يلهث بقوّة. اتّكأ على الباب محاولًا التقاط أنفاسه، وبدا وجهه أكثر احمرارًا من ذي قبل. لا أعتقد أنّه قادر على خلع الباب. قال: "ماذا تريدين منّي أن أفعل؟".

أخرجت من جيبي الشيء الذي أحضرته من المرآب. كنت قد وجدته بين عدّة آندرو، وكان عبارة عن كمّاشة. مرّرتها من تحت عقب الباب.

مدّ يده من الجانب الآخر وتناول الكمّاشة، ثمّ قلّبها بين يديه عابسًا. "لا أفهم. ماذا تريدين منّي أن أفعل؟".

"حسنًا، كان من الصعب تحديد المدّة التي وضعتَ فيها تلك الكتب عليك. أمّا هذا فسيكون أسهل. حركة واحدة".

"لا أفهم".

"الأمر بسيط. إذا أردت الخروج من هذه الغرفة، فما عليك سوى اقتلاع أحد أسنانك".

راقبت وجه آندرو على الشاشة. التوت شفتاه في تكشيرة، ورمى الكمّاشة على الأرض. "أنت تمزحين، هذا مستحيل، أنا لن أفعل ذلك".

قلت: "أعتقد أنّ بضع ساعات أخرى بدون ماء ستجعلك تغيّر رأيك".

تراجع عدّة خطوات أخرى إلى الخلف. استجمع فيها كلّ قوّته، ثمّ ركض إلى الباب وضربه بما استطاع من قوّة. مجدّدًا، اهتزّ ولكنّه لم يتحطّم. شاهدته وهو يرفع قبضته ويضرب بها بالباب الخشبي.

راح آندرو يعوي ألمًا. بصراحة، كان من الأفضل لو اقتلع أحد أسنانه. ففي المطعم الذي كنت أعمل فيه، أكثرَ أحد الرجال من الشرب ولكم الحائط، محطّمًا عظمة في يده. ولن أفاجأ إذا كان آندرو قد فعل الشيء نفسه.

صاح من خلف الباب: "أخرجيني! أخرجيني من هذه الغرفة اللعينة حالًا".

"سأخرجك، أنت تعرف ما عليك القيام به".

أمسك يده اليمنى بيده اليسرى وسقط على ركبتيه، وهو محنيّ على نفسه. شاهدته على شاشة الهاتف وهو يلتقط الكمّاشة بيده اليسرى، فحبست أنفاسي عندما رفعها إلى فمه.

هل سيفعلها؟ لن أحتمل رؤية ذلك. أغمضت عينيّ عاجزة عن المشاهدة.

صاح ألمًا. كان الصوتَ نفسه الذي أصدره دانكان عندما ضربت جمجمته بثقّالة الورق. فتحت عينيّ، لاجد آندرو ساكنًا على الشاشة. كان لا يزال راكعًا على ركبتيه. أخيرًا، حنى رأسه وبكى مثل طفل صغير.

كان الانهيار وشيكًا، لن يتمكّن من الاحتمال. إنّه مستعدّ لانتزاع أحد أسنانه من فمه لمجرّد الخروج من هذه الغرفة.

لكنّه لا يدري أنّها البداية وحسب.

الفصل 58

نينا

لقد حدث خطب ما.

شعرت بذلك في اللحظة التي أوقفت فيها السيّارة أمام منزل آندرو. لقد حدث أمر رهيب في ذلك المنزل. شعرت بذلك بكلّ ذرّة من كياني.

وافقت على العودة إلى هنا بشرط واحد، فقد طلبت من إنزو البقاء مع سيسي وحمايتها بحياته. لم يكن ثمّة أيّ شخص آخر في العالم أثق به لحماية ابنتي. أعرف كثيرًا من النساء في هذه البلدة، وجميعهنّ واقعات تحت سحر زوجي، لذلك لا أثق بأن أيًّا منهنّ لن تسلّمه ابنتي.

لكن هذا يعني أنّني هنا بمفردي.

آخر مرّة جئت فيها إلى هنا كانت قبل أسبوع، ولكنّني شعرت الآن وكأنّ دهرًا قد مضى على ذلك. أوقفت سيّارتي خارج البوّابة، في الشارع خلف سيّارة ميلي، ثمّ انحنيت خلف سيّارتها ولاحظت العلامة الحمراء التي وضعها إنزو على الإطار. كانت لا تزال هناك. أهي في المكان نفسه الذي كانت فيه أمس وما قبله؟ ليست لديّ أيّ فكرة.

"نينا؟ أهذه أنت؟".

كانت سوزان. استقمت، وتراجعت عن سيّارة ميلي. وقفَت على الرصيف، وأمالت رأسها وهي تنظر إليّ بفضول. آخر مرّة رأيتها، بدت أقرب إلى هيكل عظمي، لكن يبدو لي الآن أنّها خسرت المزيد من وزنها.

سألتني: "هل كلّ شيء على ما يرام؟".

رسمتُ ابتسامة على شفتيّ مجيبة: "نعم، بالطبع، ولمَ لا يكون؟".

"كان من المفترض أن نتناول الغداء معًا منذ بضعة أيّام، ولكنّك لم تحضري. لذلك أتيت للاطمئنان عليك".

صحيح، لقد فاتني أمر مواعيد الغداء الأسبوعية مع سوزان. إن كان ثمّة شيء لن أفتقد إليه في هذه الحياة، فهو جلساتنا تلك. "أنا آسفة، أعتقد أنّني نسيت".

زمّت سوزان شفتيها. لن أنسى أبدًا الطريقة التي راحت تهزّ برأسها بتعاطف بينما كنت أعترف بكلّ ما فعله آندي بي، قبل أن تستدير وتشي بي. اختارت أن تصدّقه بدلًا منّي. والمرء لا ينسى هذا النوع من الخيانة.

قالت: "سمعت شائعة عجيبة. سمعت أنّك انتقلت، وتركت آندي. أو أنّه..."

"أنّه هجرني من أجل الخادمة؟" رأيت التعبير الذي ارتسم على وجه سوزان وأدركت أنّني أصبت الهدف. كلّ من في المدينة يتحدّثون عنّا. "أخشى أنّ هذا ليس صحيحًا، فقد أخطأت الشائعات مجدّدًا. لقد ذهبت لإحضار سيسي من المخيّم، هذا كلّ شيء".

"أوه". بدت خيبة أمل عابرة على وجه سوزان. كانت تأمل في الحصول على موضوع دسم للثرثرة. "حسنًا، أنا سعيدة لسماع ذلك، فقد كنت قلقة عليك".

"ما من شيء يدعو للقلق على الإطلاق". بدأ خدّاي يتخدّران من الابتسام. "لقد كانت رحلتي طويلة، لذا إذا سمحت لي..."

تبعتني سوزان بنظرها وأنا أتوجّه إلى باب منزلي. أنا واثقة أنّ أسئلة كثيرة تدور في رأسها. مثلًا، ما دمت قد ذهبت لإحضار سيسيليا من المخيم، فأين هي؟ ولماذا لم أوقف سيّارتي في المرآب بدلًا من الشارع؟ لكن ليس لديّ الوقت لأشرح شيئًا لتلك المرأة الرهيبة، عليّ أن أعرف ما حدث مع ميلي وآندي.

كان الطابق الأوّل من منزلي معتمًا. بما أنّ آخر مرّة كنت فيها هنا، طلب منّي آندي مغادرة منزله، فقد قرعت الجرس أوّلًا بدلًا من اقتحام المنزل فجأة. بعد ذلك، انتظرت أن يفتح لي أحدهما.

مرّت دقيقتان وأنا واقفة هناك.

أخيرًا، أخرجت علّاقة مفاتيحي. كنت قد قمت بهذه الحركة مرّات عديدة من قبل. أمسكت بالمفاتيح، وبحثت عن المفتاح النحاسي الذي نُقش عليه حرف آ، ثمّ أدخلته في القفل. فُتح باب بيتي السابق.

كان داخل المنزل مظلمًا، وصامتًا.

ناديت: "آندي؟".

لكن لم يردّ أحد.

ذهبت إلى باب المرآب وفتحته، فوجدت سيّارة آندي البي إم هناك. بالطبع، هذا لم يجعلني أستبعد أن يكون آندي وميلي قد ذهبا في رحلة معًا. فبإمكانهما استئجار سيّارة أجرة إلى لاغارديا، هذا ما يفعله آندي عادة. وأنا متأكّدة من أنّهما قرّرا أخذ إجازة عفوية معًا.

لكن في أعماقي، عرفت أنّهما لم يفعلا.

ناديت مجدّدًا بصوت أعلى هذه المرّة: "آندي؟ ميلي؟".

لا جواب.

ذهبت إلى السلّم، ونظرت إلى الطابق الثاني، محاولة أن أتبيّن أيّ حركة. غير أنّني لم أرَ شيئًا. مع ذلك، شعرت أنّه ثمّة شخص ما هنا.

بدأت بصعود الدرج. راحت ساقاي ترتجفان وشعرت أنّه من المحتمل جدًّا ألّا تسعفاني إلى الأعلى، ولكنّني واصلت السير. صعدت السلّم إلى أن وصلت إلى الطابق الثاني.

"آندي؟" ابتلعت غصّة في حلقي. "رجاء... إن كان ثمّة أحد هنا، فليجبني..."

عندما لم أحصل على أيّ جواب، بدأت أتحقّق من الغرف. كانت غرفة النوم الرئيسة فارغة، وكذلك غرفة الضيوف، وغرفة سيسي. المسرح أيضًا كان خاليًا.

بقي مكان واحد لم أبحث فيه.

كان باب السلّم المؤدّي إلى العلّية مفتوحًا. لطالما كانت الإضاءة خافتة في ذلك السلّم. فأمسكت بالدرابزين ونظرت إلى الأعلى. كان ثمّة شخص ما هناك، أنا واثقة من ذلك.

لا بدّ أنّ ميلي محبوسة في الأعلى. على الأرجح، هذا ما فعله آندي بها.

ولكن أين آندي إذًا؟ ولماذا سيّارته هنا ما دام غائبًا؟

بالكاد حملتني ساقاي وأنا أصعد الدرجات الأربع عشرة المؤدّية إلى العلّية. في آخر الرواق، تقع الغرفة التي أمضيت فيها أيّامًا مروّعة عديدة خلال زواجي. كانت الغرفة مضاءة، والضوء ينبعث من تحت الباب.

تمتمت قائلة: "لا تقلقي يا ميلي، أنا آتية لإنقاذك".

كان إنزو على حقّ، ما كان يجب أن أتركها هنا. ظننت أنّها أقوى منّي، ولكنّني كنت مخطئة. والآن، كلّ ما يحلّ لها سيثقل ضميري. أتمنّى أن تكون بخير، وسأخرجها من هنا.

أخرجت مفتاح العلّية من حقيبتي، وأدخلتُه في القفل، ثمّ فتحت الباب.

الفصل 59

نينا

همستُ: "يا إلهي".

كان المصباح مضاء في العلّية، تمامًا كما ظننت. كان المصباحان يومضان في السقف. يجب تغيير تلك المصابيح، ولكنّ الضوء كان كافيًا لرؤية آندي.

أعني، ما بقي من آندي.

وقفت هناك لدقيقة كاملة أحدّق إليه. بعد ذلك، ملت إلى الأمام وتقيّأت. من الجيّد أنّني كنت متوتّرة للغاية هذا الصباح ولم أتناول إفطارًا.

"مرحبًا نينا".

كدت أن أصاب بنوبة قلبية عندما سمعت الصوت الآتي من خلفي. فقد هزّني المشهد أمامي لدرجة أنّني لم أسمع وقع الخطى على الدرج المؤدّي إلى العلّية. استدرت ورأيتها هناك. كانت ميلي تحمل بيدها زجاجة رذاذ الفلفل وتوجّهها نحوي.

شهقت: "ميلي".

كانت يداها ترتجفان، وبدا وجهها في غاية الشحوب. شعرت كأنّني أنظر إلى المرآة، لكنّ عيناها كانتا مشتعلتين.

قلت بهدوء قدر المستطاع: "أبعدي رذاذ الفلفل"، غير أنّها لم تمتثل لطلبي. "لن أؤذيك، أعدك بذلك". نظرتُ إلى الجثّة على الأرض ومن ثمّ إلى ميلي. "كم مضى عليه هنا؟".

بدا صوتها فارغًا وهي تقول: "خمسة أيّام؟ ستّة؟ لم أعد أذكر".

"إنّه ميت". قلتها كبيان للواقع، ولكنّ العبارة خرجت كسؤال. "كم مضى عليه وهو ميت؟".

أبقت ميلي رذاذ الفلفل موجّهًا إليّ، بحيث خشيت القيام بأيّ حرة سريعة. فأنا أعرف ما بإمكان هذه الفتاة فعله. سألتني: "هل تعتقدين أنّه مات بالتأكيد؟".

"أستطيع أن أتحقّق، إذا أردتِ".

تردّدَت، ثمّ أومأت برأسها موافقة.

قمت بحركات بطيئة لأنّني خشيت أن أتعرّض لرشّة بالرذاذ، فأنا أعرف تمامًا ما يمكن أن يسبّبه. انحنيت بالقرب من جثّة زوجي الممدّدة على الأرض. لم يبدُ لي حيًا. كانت عيناه مفتوحتين، ووجنتاه غائرتين، وشفتاه منفرجتين. لم يكن صدره يتحرّك، لكنّ الأسوأ كان الدم الجافّ الذي يحيط بفمه ويلوّث قميصه الأبيض. كانت شفتاه منتفرجتين وقد اختفت عدّة أسنان من فمه. فقمعتُ رغبة في التقيّؤ.

مع ذلك، وبينما كنت أمدّ يدي إلى عنقه لفحص النبض، توقّعت أن يمسك بمعصمي. غير أنّه لم يفعل، كان ساكنًا تمامًا. وعندما ضغطتُ على مكان النبض، لم أشعر بشيء.

قلت: "لقد رحل".

حدّقت إليّ ميلي للحظة، ثمّ خفضت رذاذ الفلفل. جلسَت على السرير النقّال ودفنت وجهها بين يديها. بدا لي أنّها أدركت للتوّ مدى فداحة ما حدث، وما فعلَته. "يا إلهي، أوه كلّا...".

"ميلي...".

"أنت تعرفين ما يعنيه ذلك". نظرت إليّ بعينيها المحتقنتين بالدماء. كان الغضب قد زال منهما ولم يتبقَّ سوى الخوف. "لقد قضي عليّ، سأعود إلى السجن لأمضي فيه بقيّة حياتي".

سالت الدموع على خدّيها، واهتزّ كتفاها بصمت. إنّها الطريقة نفسها التي تبكي بها سيسي عندما لا تريد أن يعرف أحد. بدت ميلي صغيرة على نحو مؤلم فجأة. كانت مجرّد فتاة.

عندئذٍ حسمت أمري.

جلست بجانبها على السرير، وأحطت كتفيها بذراعي بحذر شديد. "كلّا، لن تذهبي إلى السجن".

"ما الذي تقولينه يا نينا؟". رفعَت وجهها المبلّل بالدموع قائلة: "لقد قتلته! تركته يموت محبوسًا في هذه الغرفة لمدّة أسبوع! كيف يعقل ألّا أذهب إلى السجن؟".

قلت: "لأنّك لم تكوني هنا أساسًا".

مسحت عينيها بظاهر يدها. "ما الذي تقولينه؟".

حبيبتي سيسي، *أرجو أن تسامحني على ما أنوي القيام به*. "سترحلين من هنا، وسأخبر الشرطة أنّني كنت هنا طوال الأسبوع. سأقول إنّني أعطيتك أسبوع إجازة".

"ولكن-"

قلت بحدّة: "إنّها الطريقة الوحيدة. أنا أملك فرصة، أمّا أنت، فلا. لقد... لقد سبق ودخلتُ المستشفى بسبب مشاكل عقلية. وفي أسوأ الأحوال...". أخذت نفسًا عميقًا. "سأعود إلى مستشفى الأمراض العقلية".

عبست ميلي، وبدا أنفها ورديًا. "أنت من ترك لي رذاذ الفلفل، أليس كذلك؟".

أومأتُ برأسي.

"كنت تأملين أن أقتله".

أومأت مجدّدًا.

"لماذا إذًا لم تقتليه بنفسك؟".

أتمنّى لو كانت الإجابة سهلة عن هذا السؤال. كنت أخشى أن يتمّ الإمساك بي. كنت أخشى الذهاب إلى السجن، وما سيحلّ بابنتي من دوني.

لكنّ الحقيقة أنّني لم أستطع. لم أجد الجرأة لوضع حدّ لحياته. غير أنّني ارتكبت أمرًا فظيعًا: حاولت خداع ميلي لكي تقتله بنفسها.

وقد فعلَت.

والآن ستمضي بقيّة حياتها تدفع ثمن تلك الجريمة إن لم أفعل شيئًا لمساعدتها.

"أرجوك يا ميلي، غادري هذا المكان بينما لا يزال بإمكانك ذلك". بدأت الدموع تملأ عينيّ. "اذهبي قبل أن أبدّل رأيي".

لم أضطرّ لتكرار الطلب مجدّدًا. إذ نهضَت واقفة، وأسرعت لمغادرة الغرفة. اختفى وقع خطواتها أسفل الدرج. وعندما أُغلق الباب الأمامي، بقيت بمفردي في المنزل، وحدنا أنا وآندي، الذي يحدّق إلى السقف بعينيه الخاليتين من الحياة. لقد انتهى كلّ شيء، انتهى حقًّا. ولم يتبقَّ عليّ سوى فعل أمر واحد.

حملت هاتفي، واتّصلت بالشرطة.

الفصل 60

نينا

لن أغادر هذا المنزل إلّا بالأغلال. لا أرى سبيلًا آخر إلى ذلك.

ما زلت جالسة على أريكتي الجلدية، ممسكة بركبتيّ، أتساءل ما إذا كانت هذه المرّةَ الأخيرة التي سأجلس فيها هنا، بينما أنتظر عودة المحقّق إلى الطابق السفلي. كانت محفظتي على طاولة القهوة، فأخذتها تلقائيًّا. ربّما يجدر بي أن أجلس هنا بهدوء، مثل أيّ مشتبه بها صغيرة في جريمة قتل، ولكنّني لم أستطع المقاومة. أخرجت هاتفي، وفتحت قائمة المكالمات الأخيرة، ثمّ اخترت الرقم الأوّل في القائمة.

"نينا؟ ماذا يجري؟". كان صوت إنزو مليئًا بالقلق. "ماذا يحدث هناك؟".

قلت والغصّة تخنقني: "الشرطة لا تزال هنا. أنا... الوضع لا يبدو جيّدًا بالنسبة إليّ. يعتقدون...".

لا أريد قول الكلمات بصوت عالٍ. يعتقدون أنّني قتلت آندي، غير أنّني لم أقتله مباشرة. لقد مات بسبب الجفاف. لكنّهم يظنّونني أنا المسؤولة.

يمكنني وضع حدّ لكلّ هذا إن أخبرتهم عن ميلي، ولكنّني لن أفعل.

قال: "بإمكاني أن أشهد لصالحك، بإمكاني إخبارهم بما فعله بك. لقد رأيتك وأنت سجينة هناك".

كان يعني ذلك. سيفعل أيّ شيء لمساعدتي. ولكن إلى أيّ مدى ستكون الشهادة مجدية من رجل سيُصوَّر بالتأكيد أنّه عشيقي السرّي؟ ولا يمكنني حتّى إنكار ذلك. لقد أقمت بالفعل علاقة مع إنزو.

سألته: "هل سيسي بخير؟".

"إنّها بخير".

أغمضتُ عينيّ، محاولة أن أبطئ من وتيرة قلبي. "هل تشاهد التلفاز؟".

"التلفاز؟ لا، إطلاقًا. أنا أعلّمها الإيطالية، إنّها متحدّثة طبيعية".

على الرغم من كلّ شيء، ضحكت، وإن بصوت ضعيف. "هل يمكنني التكلّم معها؟".

بعد صمت قصير، تناهى إليّ صوت سيسي من الطرف الآخر من الخطّ. "*تشاو* ماما!".

ابتلعت غصّة وأجبت: "مرحبًا يا حبيبتي، كيف حالك؟".

"بينيه. متى ستأتين لاصطحابي؟".

كذبتُ مجيبة: "قريبًا. استمرّي بالعمل على لغتك الإيطالية، وسأكون عندك بأسرع ما يمكن." أخذت نفسًا قبل أن أضيف: "أنا.. أنا أحبّك".

"وأنا أحبّك أيضًا، ماما!".

كان المحقّق كونورز يهبط الدرج، وبدت خطواته أشبه بطلقات نارية. دسست هاتفي مجدّدًا في حقيبتي وألقيتها على طاولة القهوة. يبدو أنّه ألقى نظرة فاحصة على جثّة آندي، وأنا واثقة من أنّه يملك الآن مجموعة جديدة من الأسئلة. استطعت رؤيتها على وجهه وهو يعود للجلوس أمامي.

قال: "إذًا، هل تعرفين شيئًا عن الرضوض التي تكسو جسد زوجك؟".

سألته محتارة: "رضوض؟". أعلم أنّه قد خسر عددًا من أسنانه، ولكنّني لم أضغط على ميلي لمعرفة مزيد من التفاصيل حول ما حدث في تلك العلّية.

قال كونورز: "لديه رضوض أرجوانية عميقة على أسفل بطنه، وعلى... أعضائه. إنّها سوداء تقريبًا".

"أوه..."

"ما سببها بحسب ظنّك؟".

رفعت حاجبيّ. "هل تعتقد أنّني ضربته؟" كانت الفكرة مثيرة للضحك. فآندي أطول منّي بقدر لا بأس به، وعضلاته قوية، على عكسي أنا.

"ليست لديّ أيّ فكرة عمّا حدث هناك". التقت نظراتنا وحاولت ألّا أشيح بنظري. "بحسب رويتك، لا بدّ أنّ زوجك حُبس في العلّية عن طريق الخطأ، ولسبب ما، لم تدركي أنّه غائب، هذا صحيح؟".

أجبت: "ظننت أنّه كان في رحلة عمل. فهو يستقلّ سيّارة أجرة عادة إلى المطار".

"ولم يحدث تبادل للرسائل النصّية أو الاتّصالات بينكما خلال هذا الوقت، لكنّ ذلك لم يسبّب لك القلق. علاوة على ذلك، لدى حديثنا مع والديه، بدا أنّه طلب منك الانتقال من هنا في الأسبوع الماضي".

لا أستطيع إنكار ذلك الجزء. "نعم صحيح، لهذا السبب لم نتحدّث".

"وماذا عن المدعوّة ويلهلمينا كالواي؟" أخرج ورقة صغيرة من جيبه وراجع الملاحظة التي دوّنها. "كانت تعمل لديك، أليس كذلك؟".

رفعت أحد كتفيّ مجيبة: "أعطيتها أسبوع إجازة. فقد كانت ابنتي في المخيّم، ولذلك شعرت أنّنا لا نحتاج إليها. لم أرها طوال الأسبوع".

أنا متأكّدة من أنّهم سيحاولون الاتّصال بميلي، لكنّني أبذل جهدي لإخراجها من قائمة المشتبه بهم. فهذا أقلّ ما يمكنني فعله بعد المأزق الذي ورّطتها فيه.

"إذًا أنت تخبرينني أنّ رجلًا بالغًا حبس نفسه بطريقة ما في العلّية – من دون هاتفه – وهذا على الرغم من أنّ الغرفة لا تُقفل سوى من الخارج؟" ارتفع حاجبا كونورز إلى خطّ شعره. "وبينما هو هناك، قرّر فجأة خلع أربعة من أسنانه؟".

عندما قال ذلك بتلك الطريقة...

قال المحقّق: "سيدة وينشستر، هل تعتقدين حقًّا أنّ زوجك هو من نوع الرجال الذين يقدمون على شيء كهذا؟".

استندتُ إلى ظهر الأريكة، محاولة ألّا أظهر مدى ارتعاش جسدي. "ربّما، فأنت لا تعرفه".

قال: "في الواقع، هذا ليس صحيحًا تمامًا".

نظرت إليه بحدّة. "المعذرة؟".

يا إلهي، الأمر يزداد سوءًا. فقد كان المحقّق، بشعره الأشيب، في السنّ المناسبة ليكون أحد أصدقاء والد آندي في لعبة الغولف، أو مستفيدًا آخر من كرم الأسرة الهائل. بدأت أشعر بوخز في معصميّ، مستبقة إقفال الأصفاد حولهما.

قال كونورز: "أنا لم أعرفه شخصيًا، بل ابنتي".

"ابنتك؟".

أومأ برأسه مجيبًا: "اسمها كاثلين كونورز. في الواقع، هذا العالم صغير، فقد كانا هي وزوجك مخطوبين منذ وقت طويل".

حدّقتُ إليه بذهول تامّ. كاثلين، الخطيبة التي انفصل عنها آندي قبل لقائنا. تلك التي حاولت مرارًا العثور عليها، ولكن دائمًا من دون جدوى. كاثلين ابنة هذا الرجل، لكن ماذا يعني ذلك؟

خفض صوته عدّة درجات، حتّى اضطررت إلى أن أصيخ السمع. "كان الانفصال قاسيًا عليها. رفضَت التحدّث عن ذلك حتّى هذا اليوم. كما انتقلت بعيدًا، حتّى إنّها غيّرت اسمها. ولم تواعد رجلًا منذ ذلك الحين".

تسارع نبضي. "أوه، أنا...".

"لطالما تساءلت عمّا فعله آندرو وينشستر بابنتي بالضبط". ضغط على شفتيه إلى أن تحوّلتا إلى خطّ مستقيم. "لذلك، عندما تمّ نقلي إلى هنا منذ عام، بدأت أبحث، ولفتني زعمك أنّه كان يحبسك في العلّية، ولكن لم يتمكّن أحد من التحقّق من صحّة روايتك. علمًا أنّه في الواقع، لم يبذل أحد على ما يبدو أيّ جهد

للمحاولة. فنفوذ آل وينشستر كان واسعًا هنا قبل أن ينتقل الزوجان إلى فلوريدا، ولا سيّما على بعض رجال الشرطة". صمت قليلًا قبل أن يضيف: "ولكن ليس عليّ أنا".

كان فمي جافًّا تمامًا لأتمكّن من قول شيء. اكتفيت بالتحديق إليه فاغرة الفاه.

قال: "لو سألتني، فإنّ تلك العلّية تشكّل خطرًا. إذ يبدو أنّه من السهل لأيّ كان أن يُحبس فيها". أسند ظهره مجدّدًا، وعاد صوته إلى نبرته الطبيعية. "ما حدث لزوجك مؤسف للغاية. أنا واثق من أنّ صديقي في مكتب الطبّ الشرعي سيوافقني أيضًا. يجب أن تكون هذه الواقعة تحذيرية، أليس كذلك؟".

قلت أخيرًا: "نعم، واقعة تحذيرية".

ألقى عليّ المحقّق كونورز نظرة طويلة أخيرة، ثمّ عاد إلى الطابق العلوي للانضمام إلى زملائه. وعندئذٍ أدركت أمرًا لا يصدّق.

لن أخرج من هنا بالأغلال في النهاية.

الفصل 61

نينا

لم أتخيّل قطّ أنّني سأحضر ليلة دفن آندي.

فقد تخيّلت نهايات عديدة لمحنتي، ولكنّني لم أعتقد يومًا أنّها ستنتهي بموت آندي. كنت أعلم أنّني في أعماقي لا أملك الجرأة لقتله، وحتّى لو حاولت، بدا لي أنّ محاولاتي للتخلّص منه ستبوء بالفشل. فقد بدا واحدًا من أولئك الأشخاص الذين لا يموتون بسهولة. وحتّى الآن، بينما أنظر إلى وجهه الوسيم في النعش الخشبي المفتوح، بشفتيه المغلقتين لإخفاء الأسنان الأربعة المفقودة التي أجبرته ميلي على خلعها من فمه، كنت واثقة من أنّه سيفتح عينيه ويعود إلى الحياة ليخيفني مرّة أخيرة.

هل ظننتِ حقًّا أنّني متّ؟ حسنًا، مفاجأة، مفاجأة. لم أمت! أمامي إلى العلّية يا نينا.

كلّا، أبدًا، لن يحدث ذلك مجدّدًا.

أبدًا.

"نينا". شعرت بيد على كتفي. "كيف حالك؟".

نظرت إلى الأعلى، لأجد أمامي سوزان، صديقتي المقرّبة سابقًا، المرأة التي وشت بي لآندي عندما أخبرتها أنّه وحش.

قلت: "بخير". شددت قبضتي على المنديل في يدي اليمنى، والمخصّص للعرض وحسب. لم أذرف سوى دمعة واحدة طوال اليوم، وكان ذلك عندما رأيت

سيسيليا بفستان أسود بسيط اشتريته لها من أجل الجنازة. كانت جالسة بجانبي بالفستان نفسه، بشعرها الأشقر المتشابك. لو كان آندي حيًا، لثار غضبًا بسبب ذلك.

"كانت صدمة كبيرة". أمسكت سوزان بيدي، وتطلّب الأمر منّي كثيرًا من ضبط النفس لكي لا أسحب يدي من يدها. "يا له من حادث مروّع".

كان ثمّة تعاطف وشفقة في عينيها. فهي سعيدة لأنّ زوجي هو الذي توفّي وليس زوجها. مسكينة نينا، *يا لها لحظّها السّيئ*. لكنّها لا تعرف شيئًا.

تمتمت: "كان رهيبًا".

ألقت سوزان نظرة أخيرة على آندي، ثم ابتعدَت عن النعش وعن حياتي. أظنّ أنّ الجنازة غدًا ستكون آخر مرّة أراها فيها، وهذا لا يحزنني ولو قليلًا.

نظرت إلى حذائي الأسود البسيط، وأنا أحمل كأسي في هدوء غرفة المشاهدة. كم أكره التحدّث إلى المعزّين، وتقبّل تعازيهم، والتظاهر بأنّني محطّمة لوفاة هذا الوحش. لا أطيق الانتظار حتّى ينتهي كلّ ذلك وأمضي قدمًا في حياتي. غدًا ستكون آخر مرّة أضطرّ فيها للعب دور الأرملة الحزينة.

نظرت إلى الباب لدى سماع وقع أقدام تقترب. ألقى إنزو ظلًّا طويلًا عبر المدخل، وبدت خطواته أشبه بطلقات نارية في ردهة القاعة الهادئة. كان يرتدي بدلة داكنة، وبدا وسيمًا بقدر ما كان وهو يعمل في حديقة منزلي، وأفضل بمائة مرة بالبدلة. التقت نظرات عينيه السوداوين الرطبتين بنظراتي.

قال بصوت خافت: "أنا آسف، لا أستطيع".

غاص قلبي. لم يكن يخبرني أنّه آسف بسبب آندي، فما من أحد منّا يشعر بالأسف حيال موته. كان آسفًا لأنّني سألته أمس ما إذا كان يودّ مرافقتي بعد انتهاء كلّ هذا للعيش في الجانب الآخر من البلاد على الساحل الغربي، بعيدًا جدًّا من هنا. ومع أنّني لم أتوقّع منه الموافقة، إلّا أنّ رفضه أحزنني مع ذلك. فقد ساعد هذا الرجل في إنقاذ حياتي - إنّه بطلي، هو وميلي.

"ستبدأين حياة جديدة". ظهر عبوس صغير بين حاجبيه. "هذا أفضل".

قلت: "نعم".

إنّه على حقّ، فثمّة كثير من الذكريات الرهيبة بيننا. ومن الأفضل أن أبدأ حياة جديدة. لكنّ هذا لا يعني أنّني لن أفتقد إليه. كما أنّني لن أنسى يومًا ما فعله من أجلي.

قلت: "أبقِ عينك على ميلي، اتّفقنا؟".

أومأ قائلًا: "سأفعل، أعدك".

مدّ يده ليلمس يدي مرّة أخيرة. تمامًا مثل سوزان، قد لا أراه مرّة أخرى. كنت قد عرضت المنزل الذي عشنا فيه أنا وآندي للبيع، وكنّا نقيم أنا وسيسي في فندق لأنّني لا أحتمل دخول ذلك المكان. فأنا متأكّدة بنسبة ثمانين بالمائة أنّ منزلنا القديم مسكون.

نظرت إلى سيسيليا، التي كانت تتململ في مقعد على بعد أمتار قليلة منّي. نمنا في غرفة الفندق في الليلة الماضية، وتشاركنا سريرًا مزدوجًا، وأنا أحتضن جسدها النحيل. كان بإمكاني الحصول على سرير إضافي، ولكنّها أرادت النوم بجانبي. ما زالت لا تفهم تمامًا ما حدث للرجل الذي اعتبرته والدها ولم تسأل، بل شعرت بالارتياح وحسب لرحيله.

قلت: "إنزو، هلّا أخذت سيسي؟ إنّها هنا منذ مدّة طويلة ولا بدّ أنّها تشعر بالجوع. فهلّا اصطحبتها لتناول بعض الطعام؟".

أومأ برأسه موافقًا ومدّ يده لابنتي. "تعالي سيسي، فلنذهب لتناول قطع الدجاج المقليّة والمثلّجات".

لم يكن بحاجة لتكرار الطلب، فقد هبّت سيسيليا واقفة على الفور. كانت مطيعة بجلوسها هنا معي، ولكنّها لا تزال فتاة صغيرة. سأتعامل مع هذا الظرف بمفردي.

بعد بضع دقائق من مغادرة إنزو مع سيسي، فُتحت أبواب صالة الجنازة مجدّدًا. فتراجعتُ تلقائيًا إلى الخلف عندما رأيت من وقف بالباب.

كانا الزوجين ونشستر.

حبست أنفاسي مع دخول إيفلين وروبرت وينشستر الغرفة. كانت المرّة الأولى التي أراهما فيها منذ وفاة آندي، لكنّني كنت أعلم أنّ هذه اللحظة آتية. لقد عادا من فلوريدا لتمضية الصيف هنا منذ بضعة أسابيع فقط، لكنّني لم أقابل إيفلين بعد. تحدّثت إليها مرّة واحدة فقط عندما اتّصلت بي لتسألني عمّا إذا كنت بحاجة إلى المساعدة في تنظيم الجنازة، فأخبرتها أنّني لست بحاجة إلى شيء.

غير أنّ الحقيقة أنّني لم أكن متحمّسة للتحدّث معها، لكوني مسؤولة عن وفاة ابنها الوحيد.

وفى المحقّق كونورز بكلّ وعوده. فقد اعتُبرت وفاة آندي حادثًا، ولم يتمّ التحقيق لا معي ولا مع ميلي على الإطلاق. كانت الرواية أنّ آندي حُبس عن طريق الخطأ في العلّية في غيابي وتوفّي بسبب الجفاف. غير أنّ ذلك لا يفسّر الكدمات والأسنان المفقودة. كان لدى المحقّق كونورز أصدقاء في الطبّ الشرعي، ولكنّ عائلة وينشستر من أقوى العائلات وأكثرها نفوذًا في الولاية.

هل يعرفان؟ هل لديهما أيّ فكرة عن مسؤوليتي في وفاته؟

عبرت إيفلين وروبرت الغرفة باتّجاه النعش. بالكاد أعرف روبرت، الذي لا يقلّ وسامته عن ابنه، وكان يرتدي بدلة سوداء اليوم. ارتدت إيفلين الأسود هي أيضًا، وتناقض اللون بحدّة مع بياض شعرها، وكذلك مع حذائها الأبيض. كانت عينا روبرت منتفختين، لكنّ إيفلين بدت بحالة ممتازة، كما لو أنّها تلقّت للتوّ علاجًا في منتجع صحي.

خفضت نظري وهما يقتربان منّي، ثمّ نظرت إلى روبرت عندما تنحنح قائلًا بصوته العميق والأبح: "نينا".

ازدردت لعابي وقلت: "روبرت..."

تنحنح قائلًا: "نينا، أريدك أن تعلمي..."

أنّنا نعلم أنّك قتلت ابننا. نحن نعلم ماذا فعلت يا نينا. ولن نرتاح حتّى تمضي بقيّة حياتك وأنت تتعفّنين في السجن.

قال: "أريدك أن تعلمي أنّني أنا وإيفلين موجودان دائمًا من أجلك. نحن نعلم أنّك وحيدة، وإذا احتجتِ لأيّ شيء أنت وسيسيليا ما عليك سوى أن تطلبي".

"شكرًا لك يا روبرت". وجدت بعض الدموع طريقها إلى عينيّ. كان روبرت دائمًا رجلًا لطيفًا، إن لم يكن أعظم أب في العالم. بحسب ما أخبرني آندي، لم يكن متواجدًا كثيرًا في طفولته، ذلك أنّه انهمك في الغالب بالعمل بينما تولّت إيفلين تربيته. "أنا أقدّر ذلك".

مدّ روبرت يده ولمس كتف ابنه بلطف. أتساءل ما إذا كانت لديه أيّ فكرة أنّ آندي كان مجرّد وحش. لا بدّ أنّه يعرف القليل، أو أنّ آندي كان بارعًا في إخفاء ذلك. ففي النهاية، لم أستطع أن أتبيّن شيئًا إلى أن رحتُ أخدش باب العلّية بأظافري.

رفع روبرت يده إلى فمه، ثمّ هزّ رأسه وقال لزوجته: "المعذرة"، قبل أن يسرع خارجًا من الغرفة، ليتركني وحدي مع إيفلين.

من بين كلّ الأشخاص الذين لم أكن أرغب في التواجد معهم بمفردي اليوم، تصدّرت إيفلين القائمة. فإيفلين ليست غبيّة، ولا بدّ أنّها تعرف المشاكل التي واجهتها في زواجي. على غرار روبرت، ربّما لم تكن تعرف ما فعله بي، ولكن لا بدّ أنّها شعرت بوجود خلافات بيننا.

لا بدّ أنّها شعرت بحقيقة شعوري تجاهه.

قالت بجفاف: "نينا".

قلت: "إيفلين".

نظرَت إلى وجه آندي، فحاولتُ قراءة تعابيرها، لكنّ ذلك كان صعبًا. لا أعرف ما إذا كان البوتوكس هو السبب أم أنّها بدت كذلك طوال الوقت.

قالت: "في الواقع، تحدّثت إلى صديق قديم في مركز الشرطة بخصوص آندي".

انقبضت معدتي. فبحسب المحقّق كونورز، تمّ إغلاق القضية. ومع أنّ آندي أخبرني عن رسالة مزعومة موجّهة إلى الشرطة سيتمّ إرسالها في حال وفاته، إلّا أنّ تلك الرسالة لم تظهر على الإطلاق. ولست متأكّدة ما إذا كان ذلك بسبب عدم وجود رسالة في الأساس أم أنّ المحقّق تخلّص منها.

"أوه؟". كان ذلك كلّ ما استطعت قوله.

تمتمَت: "نعم. أخبروني كيف كان عندما عثروا عليه". اخترقني نظر عينيها الحادّتين. "وأخبروني عن أسنانه المفقودة".

يا إلهي، إنّها تعلم.

لا شكّ في أنّها تعلم. كلّ من كان على علم بحالة فم آندي عندما عثرت عليه الشرطة يعلم بلا شكّ أنّ وفاته لم تكن ناتجة عن حادثة. فما من أحد ينتزع أسنانه بالكمّاشة، ليس بملء إرادته.

لقد قضي عليّ. عندما أخرج من هذه القاعة، من المحتمل أن تكون الشرطة بانتظاري. سيضعون الأصفاد حول معصميّ وسيقرؤون عليّ حقوقي. وبعد ذلك، سأمضي بقيّة حياتي في السجن.

مع ذلك، لن أخبر أحدًا عن ميلي. فهي لا تستحقّ أن تتورّط في هذه القضيّة هي الأخرى. لقد أعطتني فرصة التحرّر من محنتي، لذلك سأتركها خارج القضيّة.

قلت بغصّة: "إيفلين، أنا... أنا لا...".

عاد نظرها إلى وجه ابنها، إلى عينيه اللتين أغمضتا إلى الأبد. أخيرًا، زمّت شفتيها وقالت: "لطالما أخبرته عن مدى أهمّية نظافة الأسنان. قلت له إنّ عليه أن يغسل أسنانه كلّ ليلة، وإن لم يفعل، فالعقاب ينتظره. ثمّة عقاب دائمًا عندما تُنتهك القواعد".

ماذا؟ عمّ تتحدّث؟

"إيفلين..."

تابعَت: "إذا لم تعتني بأسنانك، فإنّك ستخسرين امتياز امتلاك أسنان".

"إيفلين؟".

"كان آندي يعرف ذلك، كان يعرف أنّ هذه قاعدتي". نظرت إليّ مجدّدًا. "وعندما خلعتُ أحد أسنانه اللبنية بالكمّاشة، ظننتُ أنّه فهم".

حدّقت إليها، عاجزة تمامًا عن الكلام. كنت خائفة جدًّا من الكلمات التالية التي ستخرج من فمها. وعندما لفظتها أخيرًا، تركتني في حالة ذهول تامّ:

قالت: "إنّه لأمر مخزٍ ألّا يكون قد تعلّم قطّ. وأنا سعيدة لأنّك تدخّلتِ ولقّنتِه درسًا".

فغرتُ فاهي من شدّة الذهول، بينما كانت إيفلين تجري تعديلات أخيرة على ياقة قميص ابنها الأبيض. بعد ذلك، خرجت من القاعة وتركتني وراءها.

الخاتمة

ميلي

"أخبريني عن نفسك يا ميلي".

اتّكأتُ على منضدة المطبخ الرخامية أمام ليزا كيليفر. ليزا نفسها كانت بكامل أناقتها هذا الصباح. فقد جمعت شعرها الأسود اللامع في عقدة متقنة خلف رأسها، بينما راحت أزرار قميصها الكريمي قصير الكمّين تلمع بفعل أشعّة الشمس المتسلّلة من نوافذ المطبخ الذي جُدّد حديثًا.

إذا حصلتُ على هذه الوظيفة، فإنّها ستكون الأولى لي منذ ما يقرب من عام. تولّيت بعض الوظائف المتنوّعة هنا وهناك بعد ما حدث في منزل آل وينشستر، لكنّني أعيش من وديعة راتب عام وضعتها نينا في حسابي المصرفي بعد فترة وجيزة من وفاة آندرو، التي اعتُبرت ناتجة عن حادث.

ما زلت لا أفهم تمامًا كيف تمكّنَت من ذلك.

قلت: "حسنًا... لقد نشأتُ في بروكلين. تولّيت كثيرًا من وظائف تدبير المنازل، كما ترين من سيرتي الذاتية. وأنا أحبّ الأطفال".

"هذا رائع!".

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيّ ليزا. كانت حماستها منذ لحظة دخولي إلى هنا مثيرة للاستغراب، نظرًا لأنّها تملك بلا شكّ عشرات المرشّحات اللواتي تقدّمن لشغل هذه الوظيفة. حتّى إنّني لم أتقدّم بطلب لهذه المقابلة، بل كانت ليزا

هي التي اتّصلت بي على موقع الويب الذي نشرتُ عليه إعلانًا يعرض خدمات تنظيف منازل ورعاية أطفال.

كان الراتب عظيمًا، وهو أمر ليس مستغربًا، نظرًا لمدى ثراء هذه الأسرة الواضح. إذ يحتوي المطبخ على أحدث الأجهزة، وأنا متأكّدة تمامًا من أنّ الفرن قادر على إعداد العشاء بنفسه من الصفر من دون أيّ تدخل. أنا أرغب حقًّا في هذه الوظيفة، وأحاول أن أُظهر أنّني موضع ثقة. حاولت التفكير في الرسالة النصّية التي تلقّيتها من إنزو هذا الصباح:

بالتوفيق يا ميلي. تذكّري أنّهم سيكونون محظوظين بوجودك.

ومن بعدها:

أراك الليلة بعد أن تنالي الوظيفة.

سألتها: "ما الذي ترغبين فيه بالضبط؟".

"أوه، الأمور المعتادة". مالت ليزا فوق منضدة المطبخ بجواري وشدّت ياقة قميصها. "شخص يحافظ على نظافة المنزل، ويهتمّ بالغسيل، ويقوم بطهي بعض الوجبات الخفيفة".

قلت: "يمكنني القيام بذلك"، مع أنّ وضعي لم يتغيّر كثيرًا عمّا كان عليه قبل عام. فما زالت لديّ مشكلة التحقّق من تاريخي، ذلك أنّ سجلّي الإجرامي لن يختفي أبدًا.

مدّت ليزا يديها بشرود إلى علبة السكاكين على منضدة المطبخ. راحت أصابعها تعبث بمقبض إحدى السكاكين، قبل أن تسحبها للخارج بما فيه الكفاية ليلمع النصل في الضوء. تململت في وقفتي، وشعرت فجأة بعدم الارتياح. قالت أخيرًا: "أوصتني بك نينا وينشستر بشدّة".

ذُهلت تمامًا لدى قولها ذلك، فهذا آخر ما توقّعته. أنا لم أسمع عن نينا شيئًا منذ وقت طويل، فقد انتقلت إلى كاليفورنيا مع سيسيليا بعد فترة وجيزة من انتهاء الإجراءات المتعلّقة بوفاة آندرو. لم يكن لها أيّ أثر على وسائل التواصل الاجتماعي، ولكن قبل بضعة أشهر، أرسلت إليّ صورة لها ولسيسيليا على الشاطئ معًا، وقد لوّحتهما الشمس، وبدتا سعيدتين. كما أرسلت معها بضع كلمات:

شكرًا لك على هذا.

لذا، أعتقد أنّها تحاول أن تشكرني أيضًا بالتوصية بي لوظائف التدبير المنزلي. شعرت بالتفاؤل أكثر في أنّ ليزا ستوظّفني.

قلت: "أنا سعيدة جدًّا لسماع ذلك. كان العمل لدى نينا... رائعًا".

أومأت ليزا برأسها وأصابعها ما زالت تعبث بتلك السكّين. "أنا أوافقك، إنّها رائعة بالفعل".

ابتسمَت، ولكن كان ثمّة شيء غريب في وجهها. راحت تشدّ ياقة قميصها مجدّدًا بيدها الأخرى، ومع تلك الحركة، رأيت أمرًا.

كان ثمّة كدمة أرجوانية داكنة على أعلى ذراعها، على شكل أصابع شخص ما.

نظرتُ من فوق كتفها إلى البرّاد، لأرى مغناطيسًا عُلّقت تحته صورة لليزا مع رجل طويل ممتلئ الجسم، ثبّت نظره على الكاميرا. فتخيّلت أصابع ذلك الرجل ملتفّة حول ذراع ليزا النحيلة، تشدّ بقوّة لتترك تلك العلامات الأرجوانية الداكنة.

راح قلبي ينبض بقوّة حتّى شعرت بالدوار. الآن فهمت، فهمت لماذا أوصت بي نينا هذه المرأة بشدّة. إنّها تعرفني، وربّما أفضل ممّا أعرف نفسي.

"إذًا" - أعادت ليزا إدخال السكّين في مكانها واستقامت، وبدا القلق في نظرات عينيها الزرقاوين الكبيرتين - "هل يمكنك مساعدتي يا ميلي؟".

قلت: "نعم، أعتقد أنّه بإمكاني ذلك".

رسالة من فريدا

أعزّائي القرّاء،

أودّ أن أشكركم لاختياركم قراءة *الخادمة*. إذا كنتم قد استمتعتم بهذه الرواية، وأردتم مواكبة أحدث إصداراتي، فما عليكم سوى الاشتراك على الرابط التالي. لن تتمّ مشاركة عنوان بريدكم الإلكتروني مطلقًا ويمكنكم إلغاء الاشتراك في أيّ وقت.

www.bookouture.com/freida-mcfadden

أتمنّى أن تعجبكم الرواية، وسأكون ممتنّة إذا كتبتم آراءكم بها. فأنا أحبّ سماعها، كما أنّ ذلك سيساعد القرّاء الجدد حتمًا على اكتشاف أحد كتبي للمرّة الأولى.

أنا أحبّ سماع آراء قرّائي! لذا أرسلوا إليّ بريدًا إلكترونيًا على العنوان التالي fizzziatrist@gmail.com، ولا تُفاجأوا عندما أجيب! يمكنكم أيضًا التواصل معي من خلال صفحتي على فيسبوك.

اطّلعوا على موقع الويب الخاصّ بي: www.freidamcfadden.com

لمزيد من المعلومات حول كتبي، يرجى متابعتي على أمازون! كما يمكنكم متابعتي على Bookbub!

شكرًا!

فريدا

مكتبة
t.me/soramnqraa

«أهلاً بك بيننا». قالت نينا وينشستر ذلك وأنا أصافح يدها المزيّنة بطلاء الأظافر. ابتسمتُ بأدب ونظرتُ حولي إلى الردهة الرخامية. كان العمل هنا فرصتي الأخيرة للفوز ببداية جديدة. فبإمكاني التظاهر بما أريد. غير أنّني سأكتشف قريباً أنّ أسرار آل وينشستر أكثر خطورة بكثير من أسراري...

كلّ يوم، أقوم بتنظيف منزل الزوجين وينشستر الجميل من أعلاه إلى أسفله. أُحضر ابنتهما من المدرسة، وأحضّر وجبة لذيذة لأفراد الأسرة، قبل التوجّه لتناول الطعام بمفردي في غرفتي الصغيرة في الطابق العلوي.

أحاول أن أتجاهل كيف تنشر نينا الفوضى لمجرّد مشاهدتي وأنا أنظّف، وكيف تروي أكاذيب غريبة عن ابنتها، وكيف يبدو زوجها آندرو أكثر كآبة يوماً بعد يوم. لكن عندما أنظر إلى عينَي آندرو البنّيتين الجميلتين، والمليئتين بالألم، من الصعب ألّا أتخيّل نفسي وأنا أعيش حياة نينا؛ غرفة الملابس، والسيارة الفاخرة، والزوج المثالي.

ذات يوم، أجرّب أحد أثواب نينا البيضاء، فقط لأرى كيف يبدو عليّ، لكنّها سرعان ما تكتشف ... وحين أدرك أنّ باب غرفة نومي في العلّية لا يقفل سوى من الخارج، يكون الأوان قد فات.

مع ذلك، آل وينشستر لا يعرفون من أكون حقّاً.

لا يعرفون ما أنا قادرة على فعله...

فريدا مكفادين، التي تتصدّر قائمة الكتّاب الأكثر مبيعاً في أمازون، طبيبة ممارِسة متخصّصة في إصابات الدماغ. ألّفت عديداً من روايات التشويق النفسيّة وروايات الفكاهة الطبّية الأكثر مبيعاً على جهاز كيندل. تعيش مع عائلتها وهرّتها السوداء في منزل من ثلاثة طوابق، عمره قرون، يطلّ على البحر، مع سلالم تصرّ وتئنّ مع كلّ خطوة، ولا يمكن لأحد أن يسمعك إذا صرخت. اللهمّ إن لم تصرخ بصوت عالٍ حقّاً.

telegram @soramnqraa

ISBN: 978-614-01-3538-3
9 786140 135383

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com